١١٧- باب استحباب الثوب الأبيض، وجواز الأحمر والأخضر والأصفر والأسود، وجوازه من قطن وكتان وشعر وصوف وغيرها إلاّ الحرير

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾[الأعراف: ٢٦]، وقال تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾[النحل: ٨١].

الحديث رقم (٧٧٩)

٧٧٩- وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمْ الْبَيَاضَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ**)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب خبري خالٍ من المؤكدات؛ لأن الراوي في نقله للحديث لا يواجه بشك أو إنكار، والقول المحكي عن الرسول ﷺ يبدأ بأسلوب إنشائي، وهو الأمر (البسوا) وهو أمر إرشاد، وتوجيه لما فيه سعادة المؤمن في الدنيا، ورضا الله الذي يضمن سعادة الآخرة، وقوله (من ثيابكم) من للتبعيض أي بعض ثيابكم، وقوله: (فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ) هذه الجملة تعليل بالنسبة لما قبلها، وترغيب بالنسبة لما بعدها، وكثافة المؤكدات في هذه الجملة تنادي بأهمية الخبر وقد صعَّد هذا المعنى بشبه جملة (من خير) التي تجعل الأفضلية لها، وفي إضافة الثياب لكاف الخطاب، وميم الجمع إشارة إلى عدم تكلف ما لا يجد، وقوله (وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ) أمر إرشاد وتوجيه

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٧٨)، والترمذي (٩٩٤) ولفظهما سواء. وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٤٢٣)، وقال الحاكم (١/٣٥٤): هذا حديثٌ صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٠٢).

كسابقه، وتقديم الجار والمجرور (فيها) على المفعول به قد يكون للاختصاص، وقد يكون لمجرد العناية والاهتمام، وفي إضافة الموتى لكاف الخطاب، وميم الجمع إشارة إلى موتى المسلمين، وتوجيه الكلام لضمير الجمع من بداية الحديث إلى نهاية تعميم للحكم.

فقه الحديث[1]

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- حكم الألبسة من حيث مادتها، وألوانها، وهيئتها:

أ- أما من حيث مادة الصنع: فالأصل في اللباس الحل مهما كانت المادة التي صنع منها، إلا ما ورد نص بتحريمه كالحرير للذكور، وكذلك ما كان من جلود الميتة وما لا يذكى، فإذا دبغت طهرت، وحلّ لبسها ولو في الصلاة. وأما الملابس المصنوعة من الصوف أو الشعر أو الوبر، فإن كانت من مأكول اللحم، فهي طاهرة حلال، سواء أخذت منه في حياته أو بعد تذكيته أو بعد موته، وفيما أخذ من غير ما مأكول اللحم، أو من نجس العين تفصيل وخلاف[2].

ب-من حيث ألوانها: أما "اللون الأبيض" فقد اتفق الفقهاء على استحباب لبس ما كان أبيض اللون من الثياب[3] وتكفين الموتى به[4].

---

(١) رقم ٧٧٩، ٧٨٣.

(٢) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٥٨/٨، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٣/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٤٩/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٢/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية.

(٣) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٩/٨، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٠/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٢/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١٠/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤١/٢.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٢٦/٢، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ١٤٢/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٨/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٤/٢.

أما "اللون الأسود" فلا خلاف بين الفقهاء على جواز الألبسة سوداء اللون، بلا كراهة للرجال والنساء على حد سواء[١].

أما "اللون الأحمر" فقد ذهب بعض الحنفية والحنابلة إلى القول بكراهة ما كان أحمر اللون من الثياب، للرجال دون النساء، ما لم يكن مشوبًا بلون آخر، بينما ذهب بعض الحنفية، والمالكية، والشافعية، إلى جواز لبس الثوب الأحمر الخالص غير المزعفر والمعصفر[٢].

أما "اللون الأخضر" فقد ذهب الفقهاء إلى استحباب اللباس الأخضر، بل قال الحنفية: إنه سنة، لأنه لباس أهل الجنة[٣]، قال تعالى: ﴿عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾[٤].

وأما "المخطط من الألوان" فقد ذهب الفقهاء إلى جواز ما كان مخطط اللون من الثياب، بلا كراهة، وهو ما يسمى من الثياب الحبرة[٥].

---

(١) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٩/٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٢/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٢/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٣/٦.

(٢) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٥٠/٨، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٠/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٢/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٠٩/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٢/٦.

(٣) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٩/٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٢/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١٠/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٢/١.

(٤) سورة الإنسان، الآية: ٢١.

(٥) رد المحتار ٣٥٨/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٢/٤، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١٠/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٣/١.

ج-من حيث هيئتها: فقد ذهب العلماء إلى جواز اللباس على أي هيئة كان، حلة، أو بردة، أو جبة، أو قباء، أو قميص، أو رداء، أو إزار، وكل ما تيسر منه، ما لم يكن حرامًا، أو فيه إسراف أو مخيلة[1].

٢-حكم لبس العمامة، وإرخاء طرفها، ومقداره: يستحب لبس العمامة، لأنها أفضل زي يلبس في الرأس، وهي تيجان العرب، يقول الإمام مالك: لم أدرك أحدًا من أهل الفضل إلا وهم يتعممون.

كما يستحب إرخاء الذؤابة بما يليق بلابسها، ويكره إطالتها طولاً فاحشًا، لأنه من الإسبال المنهي عنه، وقد ورد في إرخائها أحاديث كثيرة، منها ما يدل على إرخائها بين كتفيه، ومنه ما يدل على إرخائها بين يدي المتعمم ومن خلفه، ومنها ما يدل على إرخائها من الجانب الأيمن، وأصحها جميعًا ما جاء في الإرخاء بين الكتفين[2].

حكم الألبسة التي عليها نقش أو صور: يكره عند الحنفية "تحريمًا" والمالكية "في ظاهر المدونة" لبس الثياب التي فيها الصور، صلى فيها أو لا. لكن تزول الكراهة عند الحنفية بما لو لبس الإنسان فوق الصورة ثوبًا آخر يغطيها، فإن فعل فلا تكره الصلاة فيه.

وعند الشافعية وأصبغ من المالكية: يجوز لبس الثياب التي فيها صور حيث نصوا على أن الصورة في الثوب الملبوس منكر، لكن اللبس امتهان له فيجوز حينئذ. كما لو كان ملقى بالأرض ويداس.

أما الحنابلة: فقد اختلف قولهم في لبس الثوب الذي فيه الصورة على وجهين:

---

(١) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٧/٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٦٨/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٢/١.

(٢) الاختيار ٤٩/٤، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٣٠٢/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٧/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤١/١.

أحدها: التحريم، وهو قول أبي الخطاب قدّمه في الفروع والمحرر.

والآخر: أنه مكروه فقط وليس محرمًا، قدّمه ابن تيمية.

ووجه القول بالتحريم أن النبي ﷺ قال: "لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة"(١).

ووجه القول بعدم التحريم أن النبي ﷺ قال: ((إلا رقمًا في ثوب)) (٢) (٣). والظاهر كما قال النووي: أن تصوير صور الحيوان حرام شديد التحريم، وهو من الكبائر، لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور في الأحاديث، وسواء صنعه بما يمتهن أو بغيره، فصنعته حرام بكل حال، لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى، وسواء ما كان في ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها، أما تصوير صورة الشجر، ورحال الإبل، وغير ذلك مما ليس فيه صورة حيوان، فليس بحرام. أما اتخاذ المصور فيه صورة حيوان، فإن كان معلقًا على حائط أو ثوبًا ملبوسًا أو عمامة ونحو ذلك مما لا يعد ممتهنًا فهو حرام، وإن كان في بساط يداس ومخدة ووسادة ونحوها مما يمتهن فليس بحرام اهـ(٤).

٣- حكم التفات المؤذن عند الحيعلتين: أجمع الفقهاء على أنه من السنة أن تستقبل القبلة بالأذان(٥)، واختلفوا في التفات المؤذن عند الحيعلتين، فذهب الحنفية، والشافعية والحنابلة إلى أنه يستحب للمؤذن الالتفات يمينًا وشمالاً، عند قوله: حي على الصلاة، حي على الفلاح.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٢٥، ومسلم ٨٣ - ٢١٠٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٢٦، ومسلم ٨٥ - ٢١٠٦.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٤٥/٤، ومنح الجليل ٢٩٢/٧، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦٥/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١٣/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٣٣/١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٦/١٤.

(٥) الإجماع لابن المنذر ٧.

واختلفوا هل يستدير ببدنه كله، أم بوجهه فقط وقدماه ثابتتان مكانهما؟

فذهب الحنفية، وأحمد في رواية "هي الأصوب والمعمول به" إلى أنه يلتفت بوجهه فقط، وقدماه مكانهما، ليبقى مستقبل القبلة بالقدر الممكن، ولا يدور إلا إذا كان على منارة لقصد إسماع أهل الجهتين.

وذهب الشافعية وأحمد في رواية "هي المذهب" إلى أنه يلتفت في الحيعلتين بعنقه لا بصدره، ولا يدور ولا يستدير سواء كان على الأرض أو على المنارة، محافظة على الاستقبال.

بينما ذهب المالكية: إلى أنه يؤذن مستقبل القبلة، ولا يدور ولا يلتفت إلا أن يريد إسماع الناس، فيدور ويؤذن كما تيسير له، ولوأدى إلى استدبار القبلة بجميع بدنه[1].

٤- حكم اتخاذ السترة للمصلي: يسن للمصلي إذا كان فذًا "منفردًا" أو إمامًا أن يتخذ أمامه سترة تمنع المرور بين يديه، وتمكنه من الخشوع في أفعال الصلاة، أما المأموم فلا يستحب له اتخاذ السترة اتفاقًا، لأن سترة الإمام سترة لمن خلفه. أو لأن الإمام سترة له، على اختلاف عند الفقهاء. وقد اتفق الفقهاء على أنه يصحّ أن يستتر المصلي بكل ما انتصب من الأشياء كالجدار والشجر والأسطوانة والعمود، أو بما غرز كالعصا والرمح والسهم وما شاكلها، وينبغي أن يكون ثابتًا غير شاغل للمصلي عن الخشوع[2].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٦٤٣/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٣٤٦/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٣٦/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٧٥/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٦٣/٢.

(٢) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٦٥/٢، والقوانين الفقهية ٥٣، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١٠٨/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٩٥/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٧/٢٤-١٧٨.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الثياب البيض.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أمر رسول الله ﷺ بتكفين الموتى في الأبيض من الثياب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في قوله ﷺ "البسوا من ثيابكم البياض" وقوله "وكفنوا فيها موتاكم" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من بيان أوجه الخير للمدعوين وحملهم على الاتيان بها، وقد انتهج القرآن أسلوب الأمر في كثير من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الثياب البيض:

إن التجمل والتزين مطلب شرعي، قال تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ وبين رسول الله ﷺ في مجال اللباس أولوية وأفضلية لبس البيض من الثياب كما في الحديثين "البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم"، وقد جاء بيان فضل الثياب البيض صريحًا في قوله ﷺ "فإنها من خير ثيابكم"، وقوله ﷺ: "البسوا البياض" وجاء التعليل في قوله ﷺ "فإنه أطهر وأطيب" أطهر لنقائها بما يظهر ما يخالطها من الدنس وإن قل، وأطيب لسلامتها غالبًا عن الخيلاء الذي يكون في لبس الملونات[٣].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٧٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٨٠).

(٢) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٢٧، ١٠٢٨.

ومن أوجه بيان فضل الثياب البيض نزول جبريل عليه السلام في صورة رجل يلبس الثياب البيض، كما جاء في الحديث المشهور ((بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ))[١]. فدلت الأحاديث على أن لبس الثياب البيض خير من لبس غيرها من الثياب، لما فيها من إيناس وانشراح، وحسن مظهر، وإن كان لبس غيرها جائزًا وخيرًا أيضًا، وجاء في الحديث بيان سبب تفضيل الثياب البيضاء على غيرها، وهو نقاؤها من الدنس لظهوره وتكشفه، وسلامتها من الخيلاء، لما تشتمل عليه من البساطة وتفاؤلاً بنظافة القلب ونقاء الضمير، وملاءمتها لحال المؤمن[٢].

وقال القاري: (الثياب البيض من أفضل الثياب، وهي لباس الملائكة الذين نصروا رسول الله ﷺ يوم أحد وغيره، وكان ﷺ يلبس البياض ويحض على لباسه، ويأمر بتكفين الأموات فيه) [٣].

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: أمر الرسول ﷺ بتكفين الموتى في الأبيض من الثياب:

جاء في صريح الحديثين أمر رسول الله ﷺ بتكفين الموتى في الثياب البيض فقال ﷺ "وكفنوا فيها موتاكم" وذلك اعتبارًا للكفن باللباس في الحياة[٤]. وقال النووي: (واستحباب التكفين في الثياب البيض مجمع عليه)[٥] وقد كُفِّن رسول الله ﷺ في ثياب بيض، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كُفِّنَ رَسُولُ الله فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ، مِنْ كُرْسُفٍ))[٦] وقوله "سحولية" قال ابن الأعرابي وغيره هي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن، والكرسف هو القطن[٧].

---

(١) أخرجه مسلم ٨.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٥٦.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٧/٢٢.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ج١/١٠٧٤.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٠٥.

(٦) أخرجه مسلم ٩٤١.

(٧) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٥، ٦٠٦.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ:

لقد أمر الله تبارك وتعالى بالاستجابة لأوامر رسول الله ﷺ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[1] وقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[2] وأمرنا بالاقتداء به فقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[3] وذكر القرآن من لوازم محبة الله وصدق المحبة اتباع رسول الله ﷺ فقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

ومن ذلك اتباع رسول الله ﷺ في سنته في اللبس كما جاء في الحديثين "البسوا من ثيابكم البياض"، وقوله ﷺ: "البسوا البياض"، فإن التأسي بالنبي ﷺ لا يقتصر على مجرد أداء الفرائض، وإنما يمتد ليشمل التأسي والاقتداء في كافة أمور الدين واجبها ومندوبها، كما يشمل التأدب بآدابه، والتخلق بأخلاقه ﷺ[5]. فإن في سرعة الاستجابة لما ورد عن رسول الله ﷺ دليلاً على حسن الإسلام وقوة الإيمان، فينبغي على المسلم الاستجابة لله وللرسول ﷺ والتأسي به، والحرص على شرع الله والاستجابة له، والعمل بالأفضل والأكمل والأحوط للدين.

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٥) انظر: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداء، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ١٢٣، ١٢٤.

الحديث رقم (٧٨٠)

٧٨٠- وعن سَمُرَة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الْبَسُوا[١] البَيَاضَ؛ فَإنَّهَا أطْهَرُ وَأطْيَبُ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ)) رواه النسائيُّ والحاكم[٢]، وقال: (حديث صحيح).

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٥٨).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه من حيث الموضوع؛ فهو من باب الترغيب في لبس البياض مع بعض الاختلاف في أسلوبه ففيه إيجاز في قوله (البياض) أي من ثيابكم، وقد تركّب من أسلوبين إنشائيين، تخللتهما جملة جاءت بمثابة تعليل للأولى، وترغيب للثانية، فقد بدأ بالأمر (البسوا) توجيها، وإرشاداً تلته جملة تعليلية تحقق الإقناع القلبي، والعقلي تصدرتها الفاء التعليلية، وتبعها حرف التوكيد (إن) المتصل بالضمير العائد على البياض، تأكيداً للخبر بغرض الترغيب فيه، وقوله (أطهر، وأطيب) أفعل تفضيل للمبالغة في الصفة، والجملة الأخيرة كسابقتها في الحديث المتقدم.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) عندهما زيادة: (الثياب). ولا توجد الزيادة عند المنذري في ترغيبه.

(٢) النسائي في الكبرى (٩٥٦٤)، والحاكم (٣٥٤/١) ولفظهما بتقديم: (وكفنوا فيها موتاكم) على قوله: (فإنها أطهر وأطيب). وفي موضع آخر عند الحاكم (١٨٥/٤) كما هنا، قال الحاكم (١٨٥/٤): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال في (٣٥٤/١): حديث صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٠٣).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٨١)

٧٨١- وعن البراء رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ مَرْبُوعًا ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أحْسَنَ مِنْهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

مربوعًا : ليس بالطويل البائن ولا بالقصير[2].

الحلّة: ثوبان لا يكون واحدًا وهما إزار ورداء ونحوهما. أو هي ثوب له ظهارة وبطانة من جنس واحد[3].

الشرح الأدبي

الحديث خبري الأسلوب خلى من المؤكدات في بدايته يتصدره فعل الكينونة الماضي الذي يوحي بخبر طريف واقع يتلوه، وهو ما يجعل المخاطب في ترقب، وانتظار لما يسفر عنه هذا الفعل، زاد الأمر تشويقاً بكون اسمها رسول الله ﷺ مما يعني ذكر خبر المحبوب، بالإضافة إلى أنه المشرع، وكل ما يقوله تشريع مأمور بالعمل به على الفرض، أو الاستحباب، وقوله: (ولقد رأيته) الفعل الماضي يفيد تحقق الوقوع؛ لأنه إخبار بحدث تم في الماضي، وقد أكد الفعل بـ (قد) التي تفيد تأكيد تحقق الوقوع بدخولها عليه، أضف إلى ذلك أن رأى هنا بصرية، والرؤية من أقوى طرق العلم، وقوله (في حلة حمراء) حرف الجار (في) يفيد الظرفية التي تؤكد إحاطة الظرف بالمظروف، وتؤكد ارتداءه للحلة الحمراء، وقوله: (مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قط أَحْسَنَ مِنْهُ) أسلوب نفي لرؤية

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٨٤٨، ومسلم ٢٣٣٧/٩١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥٧/١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٩٤، ودليل الفالحين، ابن علان ١٠٣٨، وانظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ل ل).

ما هو أحسن منه ﷺ في هذه الحلة، والجملة مفعمة بالمؤكدات إحساساً من الراوي بعظمة الرسول ﷺ واستشعاراً لجماله مختلطاً بجلاله متصعداً من قلبه على لسانه في هذه العبارة الدقيقة، ومن هذه المؤكدات التعبير بالرؤية، وصياغته في ثوب الماضي الذي يفيد تحقق الوقوع، ثم تنكير كلمة (شيئاً) وهي في سياق النفي تفيد العموم، ثم توكيد الجزم بلفظ (قط) وأفعل التفضيل التي تفيد المبالغة في الصفة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هيئة النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان لباس النبي ﷺ.

ثالثًا: من آداب الداعية: حسن الهيئة والملبس.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هيئة النبي ﷺ:

حيث ذكر البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ كان مربوعًا، أي ليس بالطويل البائن، ولا القصير[(١)]، وفسر ذلك في حديث آخر عن البراء: (كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا. وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ البائن وَلاَ بِالْقَصِيرِ)[(٢)].

ولقد منح الله سبحانه وتعالى نبينا محمدًا ﷺ من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره من قبله أو بعده[(٣)].

ومن ذلك خصال الكمال التي هي غير مكتسبة، وفي جبلة الخلقة - الهيئة - قال القاضي عياض: (إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة في جبلة الخلقة وجدته ﷺ حائزًا لجميعها، محيطًا بشتات محاسنها، دون خلاف بين نقله الأخبار لذلك، بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع. أما الصورة وجمالها، وتناسب أعضائه وحسنها، فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك)[(٤)].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٣٥.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٣٥٤٩، ومسلم ٢٣٣٧.

(٣) نور اليقين، محمد الخضري ص ١٦٥.

(٤) الشفا ١٥٠.

وقد بوب البخاري بابًا بعنوان: صفة النبي ﷺ[١]، ذكر فيه الأحاديث الواردة في أوصاف النبي ﷺ الجسدية والجمالية.

كما خرّج مسلم مجموعة من الأحاديث في أوصاف النبي ﷺ الجسدية والجمالية بوّب عليها النووي مجموعة أبواب، منها: باب في سدل النبي ﷺ شعره وفرقه[٢]، وباب: في صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجهًا[٣].

وباب: صفة شعر النبي ﷺ[٤]، وباب: صفة فم النبي ﷺ وعينيه وعقبيه[٥]، وباب: كان النبي ﷺ أبيض مليح الوجه[٦]، وباب: صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه[٧].

كما اعتنى بذكر أوصاف النبي ﷺ العلماء الذين اهتموا بذكر الشمائل النبوية، ومن هؤلاء: البيهقي، حيث أفرد مجموعة من الأبواب في كتاب دلائل النبوة في ذكر أوصاف النبي ﷺ الجسدية والجمالية بما يبين ويوضح هيئته ﷺ[٨].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان لباس النبي ﷺ:

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ حريصين كل الحرص على بيان أحوال النبي ﷺ، وأوصافه وملابسه، وفي هذين الحديثين[٩] أخبر البراء بن عازب أنه رأى النبي ﷺ يلبس حلة حمراء، كما أخبر رفاعة التيمي أنه رأى النبي ﷺ وعليه ثوبان أخضران، وفي ذلك بيان لبعض ألوان الأثواب التي كان يرتديها النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: ٢٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٢٤.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٢٥.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٢٦.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٢٧.

(٦) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٢٨.

(٧) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٣١.

(٨) انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ١/١٩٤ - ٣٠٨.

(٩) حديث رقم (٧٨١)، (٧٨٣).

وقد قال ابن القيم ﴿ في بيان الحديث الأول: (ولبس حُلة حمراء، والحلة: إزار ورداء، ولا تكون الحُلة إلا اسمًا للثوبين معًا، وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتًا لا يُخالطها غيره، وإنما الحلةُ الحمراء: بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود، كسائر البرود اليمنية، وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط الحمر، وإلا فالأحمر البحتُ منهي عنه)[1].

أما اللباس الأخضر فقد لبسه النبي ﷺ كما أخبر به رفاعة التيمي، وهو لباس محبوب إلى النفس، وخاصة أنه لون لباس أهل الجنة كما قال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾[2]، قال السعدي: (أي قد جللتهم ثياب السندس والإستبرق الأخضرين)[3].

ثالثًا – من آداب الداعية: حسن الهيئة والملبس:

إن الداعية مبلغ للدعوة، وهو رجل إعلامي من الدرجة الأولى يعلم الناس بما جاء في كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، والناس يرونه قبل أن يستمعون إليه، لذا كان من الواجب عليه العناية بحسن الهيئة واللباس، وليكن له في رسول الله ﷺ - الذي كان أحسن الناس هيئة وملبسًا - القدوة والأسوة، وكما في الحديثين قول البراء بن عازب رضي الله عنه "وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت قط شيئًا أحسن منه"، وقول أبي رمثة رفاعة التيمي رضي الله عنه: "رأيت رسول الله ﷺ وعليه ثوبان أخضران"، فقوله ما رأيت قط شيئًا أحسن منه إيماء إلى انفراده ﷺ بالمحاسن[4].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/١٣٧، ولكن ينبغي التنبيه على أن لبس الأحمر البحث مسألة خلافية بين الفقهاء بين الجواز والكراهة، وسبق ذكره في الشرح الفقهي.

(٢) سورة الإنسان، آية: ٢١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٩٠٢.

(٤) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٣٨.

وقدندب الإسلام لمن آتاه الله مالاً، أن يظهر أثر نعمة الله عليه بلبس الجميل من الثياب من غير إسراف ولا مخيلة، ولا يشدد على نفسه، أو يبخل بمال، بل يلبس الجديد والجميل والنظيف من الثياب، إظهارًا لنعمة الله عليه[1]، فعن أبي الأحوص عن أبيه قال: ((أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي ثَوْبٍ دُونٍ فقالَ: أَلَكَ مَالٌ؟ قال: نَعَمْ، قال: مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟ قال: قَدْ آتَانِي اللهُ مِنْ الإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَالْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ، قال: فإِذَا أَتَاكَ اللهُ مَالاً فَلْيُرَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ))[2]. فينبغي للداعية إلى الله أن يكون حريصًا دائمًا على حسن الهيئة واللباس عند لقاء الناس، وخاصة عند ملاقاة كبار الناس وسادتهم، فمما هو متفق عليه (استحباب التجمل بالثياب ونحوها، خاصة عند لقاء الأئمة والكبار احترامًا لهم)[3].

(١) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ٢٧٠.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٠٦٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٢٨).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٢.

الحديث رقم (٧٨٢)

٧٨٢-وعن أَبي جُحَيفَةَ وَهْب بن عبد الله رضي الله عنه ، قَالَ: رَأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بمكّةَ وَهُوَ بالأبْطَحِ في قُبَّةٍ لَهُ حَمْرَاءَ مِنْ أدمٍ، فَخَرَجَ بِلاَلٌ بِوَضُوئِهِ، فَمِنْ نَاضِحٍ وَنَائِلٍ، فَخَرَجَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وعليه حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، كَأنِّي أنْظُرُ إلَى بَيَاضِ سَاقَيْهِ، فَتَوَضّأ وَأذَّنَ بِلاَلٌ، فَجَعَلْتُ أتَتَبَّعُ فَاهُ هاهُنَا وَهَاهُنَا ، (يقولُ يَمِيناً وَشِمَالاً): حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، حَيَّ عَلَى الفَلاَحِ، ثُمَّ رُكِزَتْ لَهُ عَنَزَةٌ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ[١] لاَ يُمْنَعُ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

(العنَزة) بفتح النون: نحو العُكَازَة.

ترجمة الراوي:

أبو جُحَيفة السُّوائي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٩).

غريب الألفاظ:

الأبطح: مسيل الوادي بمكة[٣]. وهو المُحصَّب، بينه وبين منى قدر ميل.

قُبَّة: خيمة صغيرة[٤].

أَدَم: جمع أديم، وهو الجلد المدبوغ[٥].

ناضح: من ينضح عليه غيره شيئًا مما ناله ويرش عليه بللاً مما حصل له[٦].

نائل: ينال منه شيئًا[٧].

الحُلَّة: الثوب الجيد الجديد[٨].

---

(١) لفظ مسلم: (الحمار والكلب) بتقديم وتأخير.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦٦)، ومسلم واللفظ له (٥٠٣/٢٤٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ط ح).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ب ب).

(٥) دليل الفالحين، ابن علان ١٠٣٩.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٩٤.

(٧) المرجع السابق ص ٣٩٤.

(٨) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ل ل).

ركزت: غرزت له في الأرض[١].

عنزة: نحو العكّازة[٢].

الشرح الأدبي

الراوي يسوق أحداثاً للنبي ﷺ وأصحابه بأسلوب وصفي استخدم فيه عدة ألوان بلاغية لتقرير المعاني التي أرادها منها: الأسلوب الخبري في بداية الحديث والذي استهله بالإخبار برؤيته للنبي ﷺ في الحالة التي يصفها بالجمل الوصفية، وشبه الجمل، كقوله (وهو بالأبطح) وذكر المسند إليه هنا مع تقدم ذكره لتأكيده، وتقريره، والفصل بين الصفة، والموصوف بالجار والمجرور في قوله (في قبة له حمراء) لإفادة الاختصاص أي له لا لغيره، وقوله (من أدم) من بيانية، والأدم الجلد المدبوغ، وقوله (فخرج بلال بوضوئه فمن نائل، وناضح) الفاء عاطفة، وقوله بوضوئه فيه إيجاز بالحذف أي: بماء ليتوضأ، وأيضاً في قوله) فمن نائل، وناضح) أي انقسم الناس فبعضهم نال بعض الماء من وضوئه، ومنهم من نضح من غيره ممن نال، وهذه العبارة كناية عن محبة الصحابة لرسول الله ﷺ واستشعار لمنزلته، وبيان لعلو مكانته في قلوب الأمة التي جعلت الناس أحد قسمين متسابقين إلى فضلة النبي ﷺ.

وقوله (عليه حلة حمراء كأني أنظر إلى بياض ساقيه قال فتوضأ) فِيهِ تَقْدِيم وَتَأْخِير تَقْدِيره فَتَوَضَّأَ فَمِنْ نَائِل بَعْد ذَلِكَ وَنَاضِح تَبَرُّكًا بِآثَارِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقوله (كأني أنظر إلى بياض ساقيه) استحضار للصورة الذهنية بين يدي الحديث يجعل المخاطبين كأنهم يشاركونه الرؤية، ويؤكد تمام وضوح الصورة في ذهنه، وقوله (وأذن بلال قال فجعلت أتبع فاه ههنا، وههنا) قوله: (ههنا وههنا) كناية عن الجهات أي يتوجَّه إليها، وقوله (حي على الصلاة حي على الفلاح) أسلوب إنشائي قصد به الأمر؛ لأن معنى حي اسم فعل أمر بمعنى أقبل، واستعمال اسم فعل الأمر بدلا من الأمر الصريح؛ لأن اسم فعل الأمر مع تضمُّنه لمعنى الأمر فيه إيجاز من ناحية وفيه

---

(١) رياض الصالحين ٣٢٨.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ع ن ز).

ترغيب بالإشعار بأن في الصلاة حياة، وخصب، ونماء، وحركة لازمة، وهو ما يقرره التكرار من ناحية، ويقرره لفظ الفلاح - من ناحية - بما له من إيحاء، ودلالة تقرع سمع المؤمن بين الفينة، والفينة لتقطع غفلته عن ربه، وانشغاله بدنياه لتنبهه إلى الفلاح الحق بدعوته إلى الإقبال على الله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على وصف أحوال النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل بلال ﷺ.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تبرك الصحابة ﷺ بآثار النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على وصف أحوال النبي ﷺ:

لقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم كل الحرص على نقل كل ما رأوه من رسول الله ﷺ حتى هيئته وملبسه وألوان ثيابه كما في الحديث "رأيت النبي ﷺ بمكة وهو بالأبطح في قبة له حمراء من أدم"، قال ابن عثيمين: (رأى وهب بن عبدالله السوائي أبو جحيفة ﷺ، النبي ﷺ وذلك في الأبطح في حجة الوداع، فإن النبي ﷺ لما قدم مكة في حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة، قدمها يوم الأحد، الرابع من ذي الحجة، ونزل إلى المسجد الحرام، فطاف وسعى ثم خرج إلى الأبطح، فنزل فيه إلى اليوم الثامن، وكان في هذه القبة التي ضربت له ﷺ).

يقول: فخرج، يعني حين زالت الشمس، النبي ﷺ وعليه حلة حمراء كأني انظر إلى بياض ساقيه.

وذكر وهب ﷺ خروج بلال بما بقي من وضوء النبي ﷺ وتبرك الصحابة ﷺ به، وخروج النبي ﷺ من القبة، وأذان بلال، ثم ركز العنزة - رمح في طرفه زج - يعني رمح في طرفه حديدة محددة، كان النبي ﷺ يصحبها معه في السفر، ركزت العنزة من أجل أن يصلي فتقدم فصلى) [1]، وكان يمر بين يديه الكلب والحمار لا يمنع.

فإذا نظرنا إلى هذا الحديث وجدنا أن وهب بن عبدالله ﷺ كان حريصًا على

(١) شرح رياض الصالحين ١٠٨٨/٢ - ١٠٨٩.

وصف حال النبي ﷺ وكل ما يحيط به حرصًا شديدًا، حتى وصل الوصف إلى بياض ساقيه، وأذان بلال رضي الله عنه، وتتبعه فاه، وهذا كان دأب الصحابة رضي الله عنهم إذ أنهم كانوا حريصين على وصف أحوال النبي ﷺ.

وقد أعانهم على ذلك حبهم لشخصية رسول الله ﷺ، وطول صحبتهم له ﷺ فحفظوا عنه أقواله وأفعاله، ونومه ويقظته، وحركته وسكونه، وقيامه وقعوده، وأكله وشربه، وهيئته وملبسه[(١)].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل بلال رضي الله عنه:

إن لبلال رضي الله عنه فضائل جمة، ومنها ما أشير إليها في الحديث من اتخاذ الرسول ﷺ له مؤذنًا "وأذن بلال" فأذن رضي الله عنه طيلة حياة النبي ﷺ ثم أذن لأبي بكر رضي الله عنه حياته[(٢)] وقدم للإسلام الكثير، وكان من السابقين إليه الذين أوذوا في سبيله. وذلك فضلاً عما اشتهر به واعترف له بالمناقب الحسان، فهو مؤذن رسول الله ﷺ وخازنه على بيت ماله أحد السابقين الأولين إلى الإسلام، وممن أوذي وعذب في دينه من قريش، ولم يتخلف عن رسول الله ﷺ في مشهد من المشاهد[(٣)]. وقد بشر بالجنة في حياته رضي الله عنه فعن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أنّ النبيَّ ﷺ قال لبلالٍ عند صلاةِ الفجرِ: يا بلالُ حدِّثني بأرجى عملٍ عملتَهُ في الإسلامِ، فإني سمعتُ دَفَّ نَعليكَ بينَ يدَيَّ في الجَنَّة. قال: ما عملتُ عَملاً أرجى عندي أني لم أتطهَّرْ طَهُورًا في ساعةِ ليلٍ أو نهارٍ إلا صلَّيتُ بذلكَ الطُّهورِ ما كُتِبَ لي أن أصلِّي))[(٤)].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: تبرك الصحابة رضي الله عنهم بآثار النبي ﷺ:

لقد اتفق العلماء على مشروعية التبرك بآثار النبي ﷺ وأورد علماء السيرة والشمائل والحديث أخبارًا كثيرة تمثل تبرك الصحابة الكرام رضي الله عنهم بأنواع متعددة من

---

(١) انظر: السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٦٨.

(٢) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٨٢.

(٣) عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ص ١/ ٥٢٦.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٩.

آثاره ﷺ فجاء في صريح الحديث ما يدل على تبرك الصحابة رضوان الله عليهم بآثار النبي ﷺ وإقراره لهم على ذلك، ومن ذلك التبرك بآثار وضوئه ﷺ "فخرج بلال بوضوئه، فمن ناضح ونائل، قوله فمن ناضح أي من رجل مبتل أصاب بعض البلل من ذلك ومن نائل من النيل أي أصاب منه ماله وقع"[1].

قال ابن عثيمين: (خرج بلال رضي الله عنه بوضوء النبي ﷺ يعني ما بقي من مائه الذي توضأ به، فجعل الناس يأخذون منه من ناضح ونائل، يعني بعضهم أخذ كثيرًا وبعضهم أخذ قليلاً، يتبركون بفضل وضوئه ﷺ)[2].

وقد جاء التصريح بذلك في روايةالبخاري "ورأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء، فمن أصاب منه شيئًا تمسح به، ومن لم يصب منه شيئًا أخذ من بلل يد صاحبه" والأحاديث الدالة على تبرك أصحاب النبي ﷺ بآثاره وتصويبه لهم ذلك وإقرارهم عليها كثيرة منها ما رواه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كَانَ النَّبِيُّ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا وَلَيْسَتْ فِيهِ . قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا. فَأُتِيتْ فَقِيلَ لَهَا: هذَا النَّبِيُّ نَامَ فِي بَيْتِكِ، عَلَى فِرَاشِكِ. قَالَ: فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ، وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أَدِيمٍ، عَلَى الْفِرَاشِ. فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذٰلِكَ الْعَرَقَ فَتَعْصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا. فَفَزِعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَصْنَعِينَ؟ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا. قَالَ: أَصَبْتِ))[3].

وكان النبي ﷺ يوزع شعره بين الصحابة عندما يحلق رأسه الشريف، وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون كل الحرص على أن يحصلوا شيئًا من شعره ﷺ ويحافظون على ما يصل إلى أيديهم منه للتبرك به، فروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ((أن رسول الله ﷺ اتى منى. فَأَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا . ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمِنًى وَنَحَرَ. ثُمَّ قَالَ لِلْحَلاَّقِ: خُذْ

(١) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٣٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٠٨٨/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٨١، ومسلم ٢٣٣١.

وَأَشَارَ إِلَىٰ جَانِبِهِ الأَيْمَنِ. ثُمَّ الأَيْسَرِ. ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ))[١]. قال النووي: (وفيه التبرك بشعره ﷺ وجواز اقتنائه للتبرك)[٢]، وقال القاضي عياض (وقسمته شعره ﷺ على الناس تبركًا به واستشفاعًا إلى الله)[٣]. كما ثبت كذلك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على اقتناء ملابسه وأوانيه ﷺ للتبرك بها والاستشفاء، ومن ذلك ما روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: ((أنها أخرجت جبة طيالسة وقالت: إن رسول الله ﷺ كان يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها))[٤].

---

(١) أخرجه مسلم ١٣٠٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨١٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤/٢٨٦.

(٤) أخرجه مسلم ١٩١٥.

الحديث رقم (٧٨٣)

٧٨٣-وعن أَبي رِمْثَة رِفَاعَةَ التَّيْمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ وعليه ثوبانِ أخْضَرَان. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[(١)] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

رفاعة التيمي: هو أبو رمْثَة التيمي، ويقال التميمي من تيم الرِّباب.

اختلف في اسمه، فقيل هو رفاعة بن يثربي، وقيل يثربي بن عوف وقيل حيان بن وهب، وقيل حبيب بن حيان، وقيل خَشْخاش

له صحبة ورواية عن رسول الله ﷺ. وقد قدم على النبي ﷺ مع أبيه، فقال له رسول الله ﷺ ((آبنك هذا؟)) قال: إي ورب الكعبة! قال: ((حقًا))، قال: أشهدُ به، فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكًا من ثَبْتِ شبهي في أبي ومن حَلْفِه عَليَّ، ثم قال له ((أما إنَّه لا يجني عليك ولا تجني عليه)) وقرأ رسول الله ﷺ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[(٢)] [(٣)].

وكان عدادُه في الكوفيين، وقد روى عنه إياد بن لقيط وثابت بن منقذ[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٠٦٥، والترمذي ٢٨١٢ واللفظ له، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٥٩٩٥. وقال الحاكم ٦٠٧/٢: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٤.

(٣) أخرجه أبو داود، رقم ٤٤٩٥ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٧٧٣).

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٥١/٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٤٧٢، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٠٥-٨٠٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٠٨/٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٠٩/٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٢٢/٤.

الشرح الأدبي

الحديث قائم على الأسلوب الخبري الخالي من المؤكدات التي تقرر أنه لا يتوقع معارضة، أو إنكار، لأنه يخبر عن رؤيته هو للرسول ﷺ على تلك الحالة، وهو ما يؤكد الخبر لاعتماده أقوى طرق العلم، وهو الرؤية، وقوله) وعليه ثوبان أخضران) الواو للحال أي حالة كونه علي هذه الهيئة، وظاهره إباحة لبس الأخضر مع إباحة لبس الثوبين إذا دعت حاجة إلى ذلك، والتعبير بـ (على) الذي يفيد الاستعلاء، فيه دلالة على التمكن كأنه مشتمل بهما، وتقديم الجار والمجرور (عليه) يفيد الاختصاص، أو العناية، والاهتمام به.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٧٨٣) مع المضامين الدعوية للحديث (٧٨١).

الحديث رقم (٧٨٤)

٧٨٤-وعن جابر رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاء. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣).

الشرح الأدبي

اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بنقل دقائق حياة الرسول ﷺ وتسجيل تفاصيلها لأنها تشريعات للأمة ، وقد صاغ الصحابي المعنى في أسلوب خبري مؤكد بأكثر من مؤكد تعظيماً للخبر، ولمن يخبر عنه، وتربيةً للمهابة في قلوب السامعين، وقوله (يوم فتح مكة) يشير إلى أن الحدث مشهود ، وأنه في جمع عظيم؛ لأن عدد المسلمين الذين كانوا مع الرسول ﷺ يوم فتح مكة بلغ عشرة آلالاف، ولذلك نص عليه تنبيهاً إلى اشتهار الخبر، وأنه معلوم لا يقبل شكاً ، وقوله:) وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ (الواو للحال، وتقديم الجار، والمجرور لإفادة التخصيص، أو للعناية والاهتمام وفيه إباحة لبس العمامة السوداء.

المضامين الدعوية[٢]

أولاً : من تاريخ الدعوة: فتح مكة.

ثانيًا : من موضوعات الدعوة: بيان وصف عمامة النبي ﷺ.

ثالثًا: من آداب الداعي: حسن الهيئة واللباس والاقتداء بالنبي ﷺ في ذلك.

رابعًا: من وسائل الدعوة: الخطبة.

أولاً - من تاريخ الدعوة: فتح مكة:

لقد أشير في الحديث إلى فتح مكة في قول جابر رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة" وكان فتح مكة سنة ثمان من الهجرة، وكان النبي ﷺ قد سار إليها

---

(١) برقم ١٣٥٨/٤٥١ وزاد في آخره: (بغير إحرام).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٧٤- مع المضامين الدعوية للحديث (٧٨٥).

ومعه عشرة آلاف رجل، فكان الفتح الأعظم، وكسرت الأصنام، وعلت كلمة التوحيد في سماء مكة المكرمة[١] وقال عنه ابن القيم: (هو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين، من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجًا، وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجًا)[٢]. ونزل فيه قول الله عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾[٣].

قال ابن كثير: والمراد بالفتح هاهنا فتح مكة قولاً واحدًا، فإن أحياء العرب كانت تتلوّم بإسلامها فتح مكة، يقولون إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجًا، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانًا، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام ولله الحمد والمنة[٤]، وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال: ((وكانتِ العربُ تَلوَّمُ[٥] بإسلامهم الفتحَ فيقولون اتركوهُ وقومهُ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادق. فلما كانت وقعة أهلِ الفتح بادرَ كلُّ قوم بإسلامهم))[٦].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان وصف عمامة النبي ﷺ:

جاء في الحديثين ذكر عمامة رسول الله ﷺ فقال جابر بن عبدالله "... وعليه عمامة سوداء" وكذلك في رواية أبي سعيد عمرو بن حريث "كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وعليه عمامة سوداء" قال ابن علان: (ولبسه العمامة السوداء يومئذ إشارة إلى

---

(١) أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبوخليل ص ١٩٣.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٦٠/٢.

(٣) سورة النصر، الآيات: ١-٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥١٣/٨.

(٥) تَلَوَّم: بفتح أوله واللم وتشديد الواو أي: تنتظر. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٧/٧.

(٦) أخرجه البخاري ٤٣٠٢.

أن هذا الدين لا يتغير كالسواد بخلاف سائر الألوان[١] وفي ذلك جواز لباس الثياب السود ولبسه في الخطبة، وإن كان الأبيض أفضل منه، فإنما لبس العمامة السوداء في هذا الحديث بيانًا للجواز[٢].

قال ابن عثيمين: وفيه دليل على جواز لبس العمامة، وأن من الأفضل أن يجعل الإنسان ذؤابة، وأن يرخي طرفها من خلف، كما فعل النبي ﷺ[٣] ولم يَأْلُ العلماء والمحدثون الأُوَل في تسجيل ما كان يستعمله النبي ﷺ من ملابس وغيرها، وعقدوا لذلك أبوابًا ككتاب الشمائل للترمذي، والشفا للقاضي عياض، وأخلاق النبي ﷺ وآدابه للأصبهاني وغيرها.

ثالثًا – من آداب الداعي: حسن الهيئة واللباس والاقتداء بالنبي ﷺ في ذلك:

إن من الصور الجمالية التي حث الإسلام أتباعه عليها، أن يحسنوا لباسهم ويجمّلوها وأن يصلحوا رحالهم وينظموها، حتى وهم على سفر حتى يبدو المسلمون في المجتمع الإنساني عنوانًا على الذوق والنظافة، ومدعاة للارتياح النفسي والجمال الظاهر، ويحث الإسلام أتباعه على أن يكونوا قمة في الكمال الإنساني في كل شيء حتى إنه ليدعوهم إلى اتخاذ النعال في أرجلهم، في بيئة كان معظم من فيها حفاة، فقرًا وجهلاً وطبيعة حياة[٤].

وجاء في الحديث بيان لحال النبي ﷺ في دخوله مكة واهتمامه بحسن مظهره وتعممه "دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء" لذا كان من الواجب على الداعية الاهتداء بسنته ﷺ في حسن الهيئة والاهتمام بالملبس، وذلك مما حث عليه الإسلام، حتى قبل الإسلام كان أهل الجاهلية يستحسنون من الخطيب أن يكون

(١) دليل الفالحين، ابن علان ١٠٤٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص٨٥٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٩٠.

(٤) مجتمع الذوق الرفيع، يوسف العظم ص ١١، ١٢.

رابط الجأش قليل اللحظ، جهير الصوت متخير اللفظ قوي الحجة، نظيف الثياب كريم الأصل[١].

رابعًا – من وسائل الدعوة: الخطبة:

ورد في الحديث الإشارة إلى الخطبة كوسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى: "أن رسول الله ﷺ خطب الناس" ولقد استعمل النبي ﷺ الخطبة في نشر دعوته لكثرة فائدتها وعظيم جدواها، ذلك أن الخطابة علم من العلوم المهمة التي تساعد على الاتصال الجماعي، ولها أكبر الأثر في تبليغ الدعوة[٢]. إذ أن الخطبة منذ أقدم العصور تعتبر أقوى وسائل الإعلام والدعاية والاتصال بالناس للتأثير في مشاعرهم وإيقاظ ضمائرهم، ولأهمية الخطابة عدها الإسلام من شعائره، كخطب الجمعة والعيدين والاستسقاء وغيرها[٣]. والخطبة في الإسلام من أبرز وسائل الإعلام الديني، وليس من قبيل المبالغة إذا اعتبرناها من أهم عوامل نجاح هذا النوع من العمل الدعوي والإعلامي الذي مارس دوره على مر العصور منذ انبثاق نور الدعوة الإسلامية، فلم تستطع ولن تستطيع عوامل الزمن وتعاقب الدول والحكومات، أن تنال من قدرتها الدعوية والإعلامية[٤].

---

(١) فن الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ ص ٢٣.

(٢) الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش ص ٤١٩ ص ٤٢٢.

(٣) انظر: الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ١٠٦، ١٠٧.

(٤) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، د. محيي الدين عبدالحليم ص ١٥٨.

الحديث رقم (٧٨٥)

٧٨٥- وعن أَبي سعيد عمرو بن حُرَيْثٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَأنّي أنْظُرُ إِلَى رسول الله ﷺ وعليه عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ، قَدْ أرْخَى طَرَفَيْهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ. رواه مسلم[١].

وفي روايةٍ لَهُ[٢]: أنَّ رسول الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ.

ترجمة الراوي:

عمرو بن حريث المخزومي: هو عمر بن حريث بن عمرو بن عثمان القرشي المخزومي كنيته: أبو سعيد.

له ولأبيه وأخيه سعيد صحبة. ولد قبل الهجرة بسنتين، وأسلم في فتح مكة أو بعدها فانتقل إلى المدينة حيث أكرمه النبي ﷺ: قال: انطلق بي أبي إلى رسول الله ﷺ وأنا غلام شاب فدعا لي بالبركة، ومسح رأسي، وخطّ لي دارًا بالمدينة بقوس، ثم قال: ألا أزيدك[٣].

فانتفع بدعائه ﷺ فبارك الله في بيعه وشرائه وكسب مالاً عظيمًا، وكان من أغنى أهل الكوفة، حيث سكنها، وابتنى دارًا بها، فكان أول قرشي يتخذ بها دارًا، وكان له فيها قدر وشرف، وولي إمارتها في أيام زياد وابنه.

كان عمره لما توفي النبي ﷺ ١٢ سنة، وشارك في الفتوحات، فشهد القادسية وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وأمره عمر بن الخطاب أن يؤم النساء في رمضان. وقد روى عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعليّ وابن مسعود، وبلغ مسنده ١٨ حديثًا، وتوفي بمكة عام ٨٥هـ[٤].

---

(١) برقم ١٣٥٩/٤٥٢.

(٢) برقم ١٣٥٩/٤٥٢.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٠٦٠ مختصرًا والبيهقي في السنن الكبرى ١٤٥/٦ وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في التلخيص ٦٣/٣-٦٤.

(٤) الطبقات ٢٣/٦، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٩٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٠٠/٤، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٦٦، والسير ٤١٧/٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٠٢/٥ وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٦٣/٣ والأعلام، خير الدين الزركلي ٧٦/٥ وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٤٠٩/٢.

الشرح الأدبي

يصف الصحابي ﵁ حال لباس رسول الله ﷺ بأسلوب خبري استهله بأداة التشبيه (كأن) التي تُلحق حالة بحالة، حالة حكايته لنظره للرسول ﷺ على الهيئة الموصوفة بحالة رؤيته يوم رآه، والغرض بيان حال المشبه، وهذا الأسلوب يجعل المخاطبين يشاركونه الحدث، ويعيشونه في وجدانهم، وكأنهم يرون الرسول ﷺ على الهيئة الموصوفة في الحديث برؤية هذا الصحابي، ولذلك قال (كأني أنظر) واستخدم المضارع الذي يستحضر الصورة، وحرف الجر إلى في قوله (إلى رسول الله) يصوب النظر إلى أعظم منظور إليه من البشر، وقوله: (على المنبر) يفهم منه اشتهار الخبر، وأنه من الوضوح بحيث لا يجهل، ولا ينكر، وقوله: (قَدْ أَرْخَى طَرَفَيْهَا) المعنى محقق من جهتين من ناحية (قد) ومن ناحية كون الفعل في صيغة الماضي، وقوله: (بَيْنَ كَتِفَيْهِ) تكميل بلاغي؛ لأنه استكمل وصف الهيئة، ثم زاد معنى جديداً عن طريق هذه الجملة بتحديد الموضع.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٨٦)

٧٨٦- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثةِ أثوابٍ بيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلاَ عِمَامَةٌ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

"السَّحُولِيُّة" بفتح السين وضمها وضم الحاء المهملتين: ثياب تنسب إلى سَحول: قرية باليمن. "والكُرْسُف": القطن.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

قميص: ما يلبسه الإنسان مما يلي الجِلْد[٢].

الشرح الأدبي

تحكي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هيئة كفن الرسول ﷺ لونه، ومقداره، وكل ما يتعلق به، لأنه منهاج لأمته من بعده، وقد صاغت المعنى في أسلوب خبري يتسم بسكون يناسب الموقف النفسي لحالة الزوجة الصالحة التي انبعثت تحكي بعض تفاصيل ذكرى موت أحب الناس إليها، وقد بدأت بجملة فعلية (كُفن رسول الله) بني الفعل فيها لما لم يسم فاعله، وهو المناسب لأنه لا يتعلق بذكره غرض في الكلام، ولضيق المقام بالضجر وقولها (في ثلاثةِ أثوابٍ بيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ) فيه تطبيق لسنته، وتنفيذ لوصيته وترغيب في تكفين الموتى في البياض، والسحولية نسبة لقرية في اليمن، والكرسف القطن، وقولها (لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلا عِمَامَةٌ) أسلوب نفي مَعْنَاهُ لَمْ يُكَفَّن فِي قَمِيص وَلا عِمَامَة وَإِنَّمَا كُفِّنَ فِي ثَلاثَة أَثْوَاب غَيْرهمَا وَلَمْ يَكُنْ مَعَ الثَّلاثَة شَيْء آخَر.

(١) أخرجه البخاري ١٢٦٤، ومسلم ٩٤١/٤٥ واللفظ له.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٣٨.

فقه الحديث

هذه الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

صفة الكفن: اتفق الفقهاء على أنه يستحب في الكفن أن يكون من قطن أبيض[(1)].

واختلفوا فيما عدا ذلك: فذهب الحنفية إلى أن الكفن إزار وقميص ولفافة للرجل، وليس فيه عمامة في ظاهر الرواية، وللمرأة إزار وقميص وخمار وخرقة تربط بها ثدياها ولفافة.

وذهب المالكية إلى أنه قميص وعمامة وإزار ولفافتان، للرجل والمرأة معًا.

وذهب الشافعية إلى أنه ثلاث لفائف للرجل، فإن زيد كانت الزيادة قميصًا وعمامة، أما المرأة فإزار وخمار وقميص ولفافتان.

وقال الحنابلة هو للرجل ثلاث لفائف ليس فيها قميص ولا عمامة، أما المرأة فتكفن في إزار ودرع وخمار ولفافتان[(2)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان وصف كفن النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: اتباع السنة في تكفين الميت.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان وصف كفن النبي ﷺ:

جاء في الحديث وصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لكفن رسول الله ﷺ فقالت:

---

(1) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٢٦/٢، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ١٤٢/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٨/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٤/٢.

(2) الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري، أبو بكر بن علي اليمني ٤٠٧/١-٤١٠، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤١٢/٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٨/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٨٧/٢، ٣٩١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٤/٢، ١٢٧.

"كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف، ليس فيها قميص ولا عمامة" وذلك أفضل الكفن للرجل، وتقرير الاستدلال به أن الله تعالى لم يكن ليختار لنبيه إلا الأفضل[1] وفي الحديث إشارة إلى عدة أمور هي:

أ- عدد الأثواب التي كفن فيها رسول الله ﷺ "كفن في ثلاثة أثواب".

ب- لونها "بيض".

ج- نوعها: "سحولية من كرسف" قال النووي: (وهي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن)[2].

د-خلو الثياب من الملحقات "ليس فيها قميص ولا عمامة".

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: اتباع السنة في تكفين الميت:

إن مما ينبغي فعله في تكفين الميت اتباع السنة، وفعل الأفضل، وفي الحديث إشارة إلى أفضل الكفن وهو ما كفن في جنسه رسول الله ﷺ "كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيهما قميص ولا عمامة" قال ابن عثيمين: (وفيه دليل على أن الأفضل أن يكفن الأموات في الثياب البيض، ولا يجعل على الميت قميص ولا عمامة[3] فينبغي اتباع السنة في تكفين الأموات، فإن كفن السنة هو أكمل الأكفان[4] وذلك لأن لبس الأبيض مأمور به بالنص من قوله ﷺ ((البَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمْ البَيَاضَ فإنَّها مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ وكفِّنُوا فيها مَوْتَاكُمْ))[5] وبالقياس على تكفينه ﷺ[6]. فاستدل مما سبق على أن الأولى في الكفن البياض[7].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٦٢/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٩٠/٢، ١٠٩١.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢٣٩/١٣.

(٥) أخرجه أبو داود ٣٨٧٨، والحديث صححه الألباني (صحيح سنن أبي دواد ٣٢٨٤).

(٦) انظر: دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٤١.

(٧) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٥٨.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد أسلوب الإخبار في بيان أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ووصفها لكفن رسول الله ﷺ وفي ذلك إخبار عن كفن النبي ﷺ لعمل المسلمين في تكفين الموتى بمثل ما كفن فيه رسول الله ﷺ، فقالت: "كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب سحولية من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة".

وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية في إبلاغ وبيان أحكام الدين، ونقل سنة النبي ﷺ وأحواله في الحياة، وأثناء الموت - من الغسل والتكفين وغيره - للمدعوين حتى يقتدوا به، ويأخذوا بسنته، فيكون في ذلك الخير العظيم.

الحديث رقم (٧٨٧)

٧٨٧- وعنها، قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات غَدَاةٍ، وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مرَحَّلٌ مِنْ شَعرٍ أسْوَد. رواه مسلم[1].

"المِرْط" بكسر الميم: وهو كساء، "والمُرَحَّل" بالحاء المهملة: هو الذي فيه صورة رِحال الإبل، وهي الأكوار.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس[2].

الشرح الأدبي

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من أكثر المؤمنين رواية للحديث عن رسول الله ﷺ وقد روت عنه تفاصيل حياته الدقيقة التي لم يعلمها كثير من الصحابة، والتي صارت تشريعات للأمة إلى يوم القيامة، وكان الصحابة يرجعون إليها فيما أشكل عليهم كما ورد عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: (مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلاَّ وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا) [3].

وقد روت هذا الخبر للدلالة على إباحة هذا النوع من الثياب، وقد ساقت المعنى في صورة الخبر المجرد عن أساليب التوكيد لعدم اقتضاء المقام، (وعليه مرط مرحل من شعر أسود)، الواو للحال والجملة بيان لإباحة النوع، وهو نوع من الثياب يؤتزر به، ومرحل مخطط، أو موشى، وإباحة اللون، وهو الأسود، ولكن تبقى الأفضلية للبياض من الألوان.

---

(١) برقم ٢٠٨١/٣٦، و٢٤٢٤/٦١. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٧٨.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ د و).

(٣) سنن الترمذي حديث (٣٨١٨).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: وصف عائشة رضي الله عنها للباس رسول الله ﷺ.

ثانيًا: من صفات الداعية: التواضع.

أولاً - من موضوعات الدعوة: وصف عائشة رضي الله عنها للباس رسول الله ﷺ:

ورد في الحديث وصف عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لأحد الأكسية التي ارتداها رسول الله ﷺ فقالت "خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مِرط مرحل من شعر أسود" والمِرط: كساء ويكون من صوف وربما كان من خَزٍّ أو غيره[1] مرحل أي فيه صورة رحال الإبل وفي ذلك دليل على حل تصوير ما لا روح فيه، ولا بأس في ذلك، إنما البأس في الحيوان[2] وإن ما جاء في وصف عائشة رضي الله عنها لملبس رسول الله ﷺ أحد الشواهد على حرص الصحابة رضي الله عنهم على حفظ ونقل أقواله وأفعاله ﷺ، ونومه ويقظته وحركته وسكونه، وأكله وشربه ولبسه وغير ذلك[3].

وذلك دليل على حفظ المسلمين الأُوَل لسنة رسول الله ﷺ ونقلها إلى مَنْ بعدهم. حتى في الملابس والمشارب، والتي هي في مجملها حث للمسلمين على أن يكونوا قمة في الكمال الإنساني في كل شيء، فلقد حثّ الإسلام الناس على الزينة والظهور بالمظهر الحسن المقبول، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[4] وإذا ما عرفنا أن الإنسان يسجد لله فريضة خمسة أوقات في اليوم والليلة، أدركنا مدى حرص الإسلام على أن يظل المسلم دومًا في أحسن حال من الذوق والأناقة والنظافة[5].

ثانيًا - من صفات الداعية: التواضع:

نلمس هذا الخلق في الحديث من حيث بساطة ملابسه ﷺ وعدم مغالاته فيها،

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ر ط).

(٢) انظر شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣١٩، دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٤٢.

(٣) انظر: السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٦٨.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٥) مجتمع الذوق الرفيع، يوسف العظم ص ١١.

تواضعًا منه ﷺ وغرسًا لهذا الخلق في نفوس أتباعه "خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود" وأولى المؤمنين بالتخلق بهذا الخلق هو الداعية، يتواضع للمدعوين ولا يتعالى عليهم، وأن يكون ممن يألفون ويُألفون، فلا يكون جافيًا خشنًا قاسيًا، ولا يظهر التعالي عليهم بعلمه، أو بتقواه، أو بقدرته وكفاءته الخطابية، ونحو ذلك مما يشعرهم أن له فضلاً عليهم، ولكي يُعِن الخطيب نفسه على الحرص والالتزام بالتواضع، أن يستحضر دائمًا فضله، وما ورد في الكتاب والسنة من الحث عليه قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

ويستحضر أيضًا فعله ﷺ وتخلقه بالتواضع للمدعوين[2]، فعن أبي رفاعة قال: ((انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ وَهُوَ يَخْطُبُ. قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ. جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ. لاَ يَدْرِي مَا دِينُهُ. قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ. وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ. فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا. قَالَ فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ. وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّه. ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا))[3].

قال النووي: (وفيه تواضع النبي ﷺ ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم[4] فالتواضع خلق كريم من أخلاق المؤمنين ودليل محبة رب العالمين)[5].

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٍ فَخُورٍ﴾[6] وقال النبي ﷺ: ((ألا أُخبرُكم بأهل الجنَّة؟ كلُّ ضعيفٍ مُتضعِّف لو أقسَمَ على الله لأبرَّه. ألا أخبرُكم بأهل النار؟ كلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ مُستكبرٍ))[7].

(١) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

(٢) خطبة الجمعة، دراسة دعوية، د. سليمان بن عبدالله الحبس ص ٨٨، ٨٩.

(٣) أخرجه مسلم ٨٧٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٥.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ١٢٦٨/٤.

(٦) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٧) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٠٧١، ومسلم ٢٨٥٣.

الحديث رقم (٧٨٨)

٧٨٨- وعن المغيرة بن شُعْبَةَ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رسول الله ﷺ ذاتَ لَيْلَةٍ في مسير، فَقَالَ لي: ((أمَعَكَ مَاءٌ؟)) قلتُ: نَعَمْ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَمَشَى حَتَّى تَوَارَى في سَوَادِ اللَّيْلِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ مِنَ الإدَاوَةِ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا حَتَّى أخْرَجَهُمَا مِنْ أسْفَلِ الْجُبَّةِ، فَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ أهْوَيْتُ لأَنْزَعَ خُفَّيْهِ، فَقَالَ: ((دَعْهُمَا فَإنِّي أدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ)) وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

وفي رواية[٢]: وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ شَامِيَّةٌ ضَيِّقَةُ الكُمَّيْنِ.

وفي رواية[٣]: أنَّ هذِهِ القَضِيَّةَ كَانَتْ في غَزْوَةِ تَبُوكَ.

ترجمة الراوي:

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٨).

غريب الألفاظ:

تواري: استتر[٤].

الإداوة: إناء صغير يحمل فيه الماء وهو من الجلد[٥].

الجبة: ثوب سابغ يُلبس فوق الثياب[٦].

أهويت: مددت يدي لآخذه[٧].

غزوة تبوك: تبوك: بلدة بين وادي القرى والشام، وقد توجه إليها النبي ﷺ سنة ٩هـ، وهي آخر غزواته[٨].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٩٩، واللفظ له ومسلم ٢٧٤/٧٩.
(٢) أخرجها مسلم ٢٧٤/٧٧.
(٣) أخرجه البخاري ٤٤٢١ من حديث يحيى بن بكير، عن الليث، ولفظه: (لا أعلمه إلا قال: في غزوة تبوك).
(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ر ي).
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ د و).
(٦) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ١٣٨.
(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (هـ و ي).
(٨) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٨٩.

الشرح الأدبي

يبدأ الحديث بأسلوب خبري في نقل أحداث القصة التي كان طرفيها الرسول ﷺ - والراوي، وقوله (كنت مع النبي ﷺ ذات ليلة في سفر) الفعل الماضي مع إفادته التحقيق يحقق التشويق لما بعد لاسيما إن كان القصة رسول الله ﷺ، وقوله: ذات ليلة، تحديد، وتوقيت للحدث، وقوله (في سفر) بيان لملابسات الحدث، وذكر الحدث، وظرفه الزماني، والمكاني، وما يحيط به من الأمور الشائعة في رواية الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ لشدة حرصهم على رصد كل شيء عنه ﷺ لأنها أمور تساعد في معرفة خلفيات النص، وما يحيط به من دلالات.

وقوله (فَمَشَى حَتَّى) إشارة إلى أدبه ﷺ حيث ابتعد مسافة تستره عن الناس وقوله: (تَوَارَى عَنِّي فِي سَوَادِ اللَّيْلِ) كناية عن ابتعاده أي: استتر في ظلامه حتى يقضي حاجته، (ثم جاء فأفرغت عليه الإداوة) تنبيء (ثم) بوقت قد يطول، أو يقصر هو وقت قضاء الحاجة، والفاء تفيد مبادرة الصحابي الرسول ﷺ فور قدومه وقوله: (وعليه جبة من صوف) يشير إلى رقة حاله، وزهده في الدنيا، وهو خير من مشى على ظهرها، يدل على ذلك قوله (فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلَ) إشارة إلى أن الجبة كانت ضيقة، وقوله: (ثُمَّ أَهْوَيْتُ لأَنْزِعَ خُفَّيْهِ فَقَالَ دَعْهُمَا (التعبير بـ (أهوى) يشير إلى النزول بخفة، وسرعة، وهو يفيد حفاوة الصحابي بالرسول ﷺ وتفانيه في خدمته.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- حكم الاستعانة بالغير على الوضوء: يسن للمتطهر أن يتولى وضوءه بنفسه، من غير أن يعاونه على وضوئه أحد، فإن عاونه بالصب عليه من غير عذر فهو مباح، والترك أفضل، أما إذا كان ذلك لعذر كمرض، فلا تكون مكروهة، دفعًا للحرج والمشقة، بل قد تجب إذا لم يمكنه التطهر إلا بها، ولو بذل على ذلك أجرة مثلاً[1].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٢٣/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ١٩٠/٢ وما بعدها، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦١/١، والمغني، ابن قدامة ١٣٨/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي ١٢٤/١ وما بعدها.

٢- المسح على الخفين: أجمع فقهاء الأمصار على أنه جائز[١]. وإن كانوا قد اختلفوا في أيهما أفضل؟ المسح على الخفين، أم نزعهما وغسل القدمين.

فذهب الجمهور إلى أن الغسل أفضل، لأنه المفروض في كتاب الله عز وجل، والمسح رخصة، بينما ذهب أحمد في الصحيح من المذهب، وابن المنذر إلى أن المسح أفضل[٢].

قال ابن المنذر: لأجل من طعن فيه من أهل البدع من الخوارج والروافض، وإحياء ما طعن فيه المخالفون من السنن أفضل من تركه.

كما أجمعوا على أن جواز المسح مختص بالحدث الأصغر، ولا يجزئ المسح في جنابة، ولا غسل واجب، ولا مستحب[٣].

كما أجمعوا على اشتراط تقدم الطهارة لجواز المسح، فمن أكمل طهارته ولبس خفيه، ثم أحدث فله أن يمسح عليهما[٤].

---

(١) الإجماع لابن المنذر ٥، والاختيار ٣٢/١، وبداية المجتهد ٢٨/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦٣/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٤/١.

(٢) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ١٢٦/١، والشرح الصغير ٢٢٧/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦٣/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٥/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٢٦٩/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥١/١، والاختيار ٣٢/١، وحاشية الصاوي ٢٥٣/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦٤/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٥٦/١.

(٤) الإجماع لابن المنذر ٥، والاختيار ٣٢/١، وبداية المجتهد ٣٢/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦٥/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٥/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على مصاحبة الرسول ﷺ في السفر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من صفات الداعية: التواضع وعدم التعالي.

رابعًا: من آداب المدعو: احترام وخدمة أهل الإيمان والفضل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على مصاحبة الرسول ﷺ في السفر:

جاء في الحديث ما يدل على حرص الصحابة ﷺ على مصاحبة رسول الله ﷺ وملازمته في أحواله كلها في السفر والحضر، فقال المغيرة بن شعبة "كنت مع النبي ﷺ ذات ليلة في مسير" ولقد عُرِفُ كثير منهم وحدثوا عن أنفسهم بمصاحبتهم لرسول الله ﷺ، فروي عن ابن عمر ﷺ قال: ((إِنِّي صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي السَّفَرِ. فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ...))[1] وقد كان لصحبة الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ وملازمتهم له أكبر الفضل في حفظ السنة (وهي المصدر الثاني الذي يلي القرآن في تبيان عقائد الإسلام وعباداته وآدابه وشرائعه ومناهجه)[2].

لذا كان الصحابة ﷺ أولى الأمة استحقاقًا لفضل الله ورضوانه، لسبقهم في الخيرات، وحفظهم للدين والذود عن حياضه، والعمل على نشره وسطوع نوره، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3].

ففي هذه الآية إخبار من الله عن رضاه عن الصحابة ورضاهم عنه، بما أعد لهم من

---

(١) أخرجه مسلم ٦٨٩.

(٢) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ٨٦.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

جنات النعيم، والنعيم المقيم، وعلى رأسهم السابقون من المهاجرين والأنصار[١]. فقد رضي الله عن الجميع، ورضى الله عنهم، عنايته بهم وإكرامه إياهم، ودفاعه أعداءهم، وأما رضاهم عنه فهو كناية عن كثرة إحسانه إليهم، حتى رضيت نفوسهم لما أعطاهم ربهم[٢].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث في سؤال النبي ﷺ للمغيرة بن شعبة "أمعك ماء؟ قلت: نعم" وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة المفيدة، لما فيه من إثارة عقل المدعو وإعمال فكره، ومشاركة الداعي في الحوار، مما يكون له بالغ الأثر في قبول الدعوة والاقتناع بها. وتظهر أهمية طرح الداعية واستخدامه لأسلوب السؤال والجواب في شد انتباه المدعوين لما سوف يقوله من حديث، فالسؤال يجعل المدعوين يشاركون المتحدث في التفكير ويتعاونون معه، ويتهيئون للإجابة ومعرفة الغرض من السؤال، لذا ينبغي للداعية ألا يغفل أسلوب السؤال والجواب في مجالسه وأحاديثه.

ثالثًا - من صفات الداعية: التواضع وعدم التعالي:

نلمس تلك الصفة في تواضعه ﷺ في ملبسه، وإلى ذلك أشار قوله "وعليه جبة من صوف" تواضعًا منه ﷺ[٣] مع أنه ﷺ كان بإمكانه أن يلبس الغالي النفيس، لذا كان من أهم الصفات البارزة في حياة الدعاة التواضع، فهو سبيل للقرب من الله، ومن ثمَّ القرب من الناس[٤] وإقبالهم عليه والالتفاف حول دعوته، فالتواضع يمكن الدعاة من جمع الأنصار، ويحببهم إلى الناس، فيستمعون إليهم، ويتأثرون بهم، ويتأسون

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٠٣/٤.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٩/١١/٥.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢٨٠/١٠.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٢٦٨/٤.

بأفعالهم، وهو موجب للرفعة، مبعث للتآلف، محقق للحب والود[1].

ولكن ينبغي التأكيد على أن لبس الصوف فقط ليس من السنة أو من التواضع المحمود، فقد كان ﷺ يلبس هو وأصحابه ما نسج من القطن، وربما لبسوا ما نسج من الصوف والكتان، ذكر أبو إسحاق الأصبهاني بإسناد صحيح عن جابر بن أيوب قال: دخل الصَّلْتُ بن راشد على محمد بن سيرين وعليه جُبة صوف، وإزارُ صوف، وعمامة صوف، فاشمأزَّ منه محمد، وقال: أظن أن أقوامًا يلبسون الصوف ويقولون: قد لبسه عيسى ابن مريم عليه السلام، وقد حدثني من لا أتهم أن النبي ﷺ قد لبس الكتان والصوف والقطن، وسُنَّةُ نبينا أحقُّ أن تُتَّبَعَ. ومقصود ابن سيرين بهذا أن أقوامًا يرون أن لبس الصوف دائمًا أفضلُ من غيره، فيتحرَّونه ويمنعون أنفسهم من غيره، وكذلك يتحرَّون زِيًا واحدًا من الملابس، ويتحرَّون رسومًا وأوضاعًا وهيئاتٍ يرون الخروج عنها منكرًا، وليس المنكرُ إلا التقيد بها، والمحافظة عليها، وترك الخروج عنها.

والصواب أن أفضل الطرق طريقُ رسول الله صلى الله عليه وسلم التي سنها، وأمر بها، ورغَّب فيها، وداوم عليها، وهي أن هديَه في اللباس: أن يلبس ما تيسر مِنَ اللباس، من الصوف تارة، والقطن تارة، والكتان تارة.

ولبس البرود اليمانية، والبردَ الأخضر، ولَبسَ الجبة، والقَباء، والقميص، والسراويل، والإزار، والرداء، والخف، والنعل، وأرخى الذؤابة من خَلْفِه تارة، وتركها تارة. وكان يتحلى بالعمامة تحت الحنك[2].

وليعلم المسلم أن التواضع ليس في لبس الدني من الثياب؛ لأن لبس الدني من الثياب يذم في موضع ويحمد في موضع، فيُذم إذا كان شهرة وخُيلاء، ويمدح إذا كان تواضعًا واستكانة، كما أن لبس الرفيع من الثياب يذم إذا كان تكبرًا وفخرًا وخيلاءً، ويمدح إذا كان تجملاً وإظهارًا لنعمة الله[3].

---

(١) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار ص ٥٧.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/١٤٢ - ١٤٣.

(٣) المرجع السابق ١/١٤٦.

لذا كان التواضع ليس باللباس فقط، ولكنه بالحرص على التحلي به مع الناس؛ إذ أنه من طبائع الناس أنهم لا يقبلون من يستطيل عليهم، ويبدو منه احتقارهم أو استصغارهم، ولو كان ما يقوله حقًا وصدقًا، بل إن الاستعلاء سبب ظاهر في كره الحق ورفضه.

ومن أجل ذلك فإن التواضع ثمرة المعرفة بالله وبالنفس، وقد خاطب الله نبيه محمدًا ﷺ بقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[1].

ومما يلحق بهذا الباب، العلم بأن من طبائع النفوس النفرة ممن يكثر الحديث عن نفسه، أو يستجلب الثناء عليها، أو يستدر لها المديح. فالفضل من الله، ومن تحدث إلى الناس فليتحدث إليهم بفضل الله لا بفضل نفسه[2].

رابعًا – من آداب المدعو: احترام وخدمة أهل الإيمان والفضل:

جاء في الحديث الدلالة على استحباب خدمة أهل الإيمان والفضل، وذلك في حكاية المغيرة بن شعبة لخدمته لرسول الله ﷺ "ثم جاء فأفرغت عليه من الإدواة... ثم أهويت لأنزع خفية فقال دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين" وذلك لون من ألوان الاعتراف بالجميل، فإنه لا يقتصر على مجرد النطق باللسان، بل يشمل العمل بالجوارح والأركان[3] وقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في الأدب مع النبي ﷺ واحترامه. قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[4].

قال ابن كثير: (هذه آداب أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به رسول

---

(١) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٢) معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبدالله بن حميد ص ٣٠، ٣١.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٤٠٩/٢.

(٤) سورة الحجرات، آية: ٣.

الله ﷺ من التوقير والاحترام، والتبجيل والإعظام، لذا ينبغي على المدعو التأسي بهديهم والاحتذاء بحذوهم، في احترام أهل الإيمان والفضل، والقيام بخدمتهم)[١].

وأفضل منازل الخلق وأولاهم بالاحترام والتوقير الأنبياء والمرسلون فهم الوسائط بين الله وخلقه، في إبلاغ رسالاته، والتعريف به وبأسمائه وصفاته ودينه وشرعه فهم أكمل الخلق علومًا وأعمالاً وأشرفهم أخلاقًا، وأشرف الناس بعدهم مرتبة العلماء، الذين يقومون بتعليم الأمة وإرشاد الضال، وتعليم الجاهل، ونصر المظلوم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهؤلاء أفضل أتباع الأنبياء، وهم ورثتهم حقًا دون الناس، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[٢] وقال النبي ﷺ ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمسُ فيه عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))[٣] فقد جعل الله العلماء حراسًا لدينه، وحفظة لشريعته، ورجومًا لأعدائه وأعداء رسله[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦٤/٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٤) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، ١٦٠٦/٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

سماحة الإسلام في الملبس تتجلى في أنه لم يأمر بلون معين أو يحرم لوناً معيناً، وبهذا ترك الألوان للأعراف والتقاليد والمستجدات، توسيعاً ورحمة، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية الجمالية والعناية بالمظهر:

نرى ذلك في أحاديث الباب والتي تدعو وترغب في البيض من الثياب لما فيها من زيادة على مثيلاتها من زيادة الطهارة والنقاء وحسن المظهر وانشراح الصدر، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في قوله: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ».

إن تفضيل الألوان الهادئة والبيضاء ونحوها فيه إشارة إلى ما عليه حياة المؤمن من البساطة واليسر وتفاؤلٌ بنظافة الصدر ونقاء السريرة.

لقد ربى الإسلام أتباعه على التجمل والتزين وتذوق الجمال "وذلك في كل شيء يسر العين ويسري في النفس إحساساً بالراحة والمتعة سواء أكان ذلك في الشكل أم اللون أم السلوك أم ما شاكل ذلك، إذ أن تنمية الجانب الجمالي والنظافي من الناحية التربوية لا يقل أهمية في تكوين شخصية الإنسان عن أي جانب آخر كالعقلي أو الجسمي أو الاجتماعي، أو الروحي"[١].

إنه ينبغي على المسلم سواء أكان مربياً أو متربياً أن يُعني بظاهره وباطنه معاً، ولتتوافق عنايته بالمظهر مع الجوهر، وذلك من باب إظهار نعمة الله -سبحانه- وشكرها، ومن الجوانب المتعلقة بالنظافة الحرص على نظافة الملبس وبياضه ونقائه، وبمثل هذه الأمور وغيرها تكون طهارة الظاهر، ومنها حسن المظهر وطيب الرائحة ليكون المسلم محبوباً من إخوانه يأنسون به ويألفونه ويسعدون بجلوسهم معه ويقبلون على سماع كلامه[٢].

---

(١) انظر: أصول التربية، د. إبراهيم عصمت مطاوع ص١٨٤.

(٢) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي ص١٤٥-١٤٩.

ثانياً: غرس القيم الحميدة والخلال الكريمة في النفوس:

إن مما ينبغي على المربين أن يحرصوا عليه: غرس القيم الحميدة والخلال الكريمة في نفوس من يربونهم، فيربونهم على التقوى والحلم والصدق والأمانة والعفة والصبر والبر والصلة، والجهاد والعلم، فيكون ذلك سبباً في محبتهم لمعالي الأمور ومكارم الأخلاق[1].

ومن أبرز تلك المكارم وأفضل تلك الأخلاق لزوم التواضع، ويمكن أن نلحظ ذلك المضمون في تواضعه ﷺ في شؤونه كلها ومنها ملبسه ﷺ، ومن ذلك لبسه الصوف الخشن، كما جاء في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: «فَغَسَلَ وَجْهَهُ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا، حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلِ الْجُبَّةِ...».

إن التواضع "دليل على كِبَر النفس وعلو الهمة، وهو سبيل لاكتساب المعالي والترقي في الكمالات، فهو خلق يرفع من قدر صاحبه ويكسبه رضا أهل الفضل ومودتهم ويبعثه على الاستفادة من كل أحد وينأى به عن الكِبْر والتعالي"[2].

ثالثًا- إشباع حاجات الفرد المشروعة:

من الأمور التي تساعد على التربية واستجابة الفرد لها إشباع حاجات الفرد المشروعة، ومن ذلك تطلعه إلى تنوع الملابس وتعدد ألوانها، وذلك ليس بمحظور، فقد رأينا في أحاديث الباب تعدد ملابس الرسول ﷺ فلبس الحلة، ولبس الجبة، ولبس الثوب، والمرط، كما تعددت الألوان التي لبسها ﷺ ما بين أبيض وأحمر وأخضر، وغير ذلك، ومن تلك النصوص:

"ولقد رأيته في حلة حمراء"، "وعليه حلة حمراء".

"وعليه ثوبان أخضران".

"وعليه عمامة سوداء".

---

(١) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد ص١٣٦.

(٢) المرجع السابق ٥٣١.

"وعليه مرط مرحل من شعر أسود".

"وعليه جبة من صوف".

"إن الإسلام لم يستهدف كبت الشهوات أو حرمان الإنسان من التمتع بها، فهو دين الوسطية، لا يحرم الإنسان من إشباع حاجاته المشروعة، وإنما يدعوه إلى التوسط والاعتدال بلا إفراط ولا تفريط"[1].

وهذا مما يجعل المسلم حريصاً على التأسي بالنبي ﷺ، في جمال الهيئة والمظهر والحرص على نظافة الثياب وطهارتها، واختيار الألوان المناسبة التي تبعث على انشراح النفس، وجلب السرور، وتشعر المسلم بالراحة النفسية التي من أسبابها البساطة والانتقاء الجيد لنوعية وألوان الملابس التي يلبسها، لأن الإسلام يحب كل جميل من الأخلاق والسلوك والعادات والمستجدات المنسجمة مع مبادئه.

رابعًا: من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يستفاد منها في التربية والتعليم، منها:

أ-التعليل، كما في قوله ﷺ: "البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم" وقوله ﷺ: "البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب".

وقوله ﷺ للمغيرة بن شعبة رضي الله عنه لما أهوى يريد أن ينزع خفيه ﷺ: "دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين" ومسح عليهما.

ومما لا شك فيه أن تعليل الأحكام وبيان أسبابها -إن اقتضى الأمر ذلك- يدفع إلى مزيد من الامتثال والاستجابة.

ب-الملاحظة: كقول أبي جحيفة رضي الله عنه: "فخرج النبي ﷺ وعليه حلة حمراء، كأني أنظر إلى بياض ساقيه، فتوضأ وأذن بلال، فجعلت أتتبع فاه ههنا وههنا يقول يميناً وشمالاً: حي على الصلاة حي على الفلاح".

والملاحظة تفيد المتعلم في الاقتداء ويستخدمها المعلم لتقويم تصرفات المتعلمين ومتابعتهم.

---

(١) النظرية التربوية، د. محمد سيف الدين فهمي ص٦٧.

ج-توجيه الأسئلة: كما في قوله ﷺ للمغيرة بن شعبة "أمعك ماء؟".

والمعلم يمكن أن يستخدم الأسئلة في معرفة ما لدى المتعلمين من معارف ومعلومات، وفي تقويمهم وتقويم أفكارهم أيضًا، كما يمكن للمعلم أن يدفع طلابه أن يوجهوا له أسئلة تتعلق بعناصر الدرس وهو يجيب عليها. وهذا يؤدي إلى ثبات المعلومات سواء القديمة أو الجديدة.

والمعلم البارع هو من يمزج بين الأساليب التعليمية حتى ينجح في أداء رسالته النبيلة.



١١٨- باب استحباب القميص

الحديث رقم (٧٨٩)

٧٨٩-عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها ، قالت: كَانَ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى رسول الله ﷺ الْقَمِيص. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[١] ، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

القميص: ثوب مخيط بكمين غير مفرج يلبس تحت الثياب[٢] .

الشرح الأدبي

تروي الحديث أم سلمة رضي الله عنها وقد ساقت المعنى في ثوب خبري دون مؤكدات سوق الخبر المعلوم المأنوس إلى النفوس، وقد بدأت بفعل الكينونة لتدخل عن طريقه بوابة الزمن رجوعاً في الماضي، وهو ما يحدث نوعاً من التشويق يبعث على الترقب، زادت الأمر تشويقاً بأفعل التفضيل المضافة للثياب، ثم بتعلقها بالرسول ﷺ، وقولها (القميص) وهو: ثَوْبٌ مَخِيطٌ بِكُمَّيْنِ غَيْرُ مُفْرَجٍ يُلْبَسُ تَحْتَ الثِّيَابِ، وَلا يَكُونُ إِلاَّ مِنْ الْقُطْنِ، وفي الحديث إِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ تَعْيِينَ الأَحَبِّ فَالْقَمِيصُ خَبَرُهُ وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ بَيَانَ حَالِ الْقَمِيصِ عِنْدَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَهُوَ إِسْمُهُ.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- حكم لبس القميص وكم طول كمه: يستحب لبس القميص، لأنه يستر عورته، ويباشر جسمه، فهو أمكن في الستر من الرداء والإزار اللذين يحتاجان كثيرًا إلى الربط والإمساك وغير ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٢٥)، والترمذي (١٧٦٢) ولفظهما سواء، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وقال الحاكم (١٩٢/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٠٥).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٣٩/٢.

والسنة أن يكون طول الكم إلى الرسغ لا يتجاوزه، وأن يكون واسعًا باعتدال من غير تفريط، أما الأكمام الواسعة الطوال التي هي كالأخراج، فهي مخالفة للسنة، لم يلبسها النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه البتة، لأنها من الخيلاء.

فالمكروه كل ما زاد على العادة، وعلى المعتاد في اللباس من الطول والسعة، وما كان على طريق العادة فلا[1].

٢- حكم لبس العمامة، وإرخاء طرفها، ومقدارها: وقد سبق بيانه في الأحاديث رقم (٧٧٧، ٧٨٥).

٣- طول الإزار: اتفق الفقهاء على أنه يستحب للرجل أن يكون إزاره إلى أنصاف ساقيه، وإن أراد تطويله فإلى الكعبين، فذلك أنقى لثوبه، وأتقى لربه، ويكره له ما زاد على ذلك إلا لعذر، كمن برجله جراح يؤذيه الذباب، وأسبل إزاره ليسلم من أذاها، فلا يكره، أما المرأة فقد اتفقوا على أنه يستحب لها ذيلها أسفل الكعبين بقدر شبر، فإن زدن على ذلك فمبقدار ذراع لا أكثر[2].

٤- حكم الإسبال: أجمع العلماء على أن إسبال الإزار، ونحوه إذا كان على سبيل الخيلاء يعد كبيرة، ومن أعظم الذنوب، فيحرم على الرجل جر ثوبه، أو إزاره على وجه الكبر والتعجب والزهو.

فإن جره لغير ذلك فهو مكروه، إلا إذا كان لحاجة "كقبح ساقه مثلاً" أو لضرورة، كمن يكون بكعبيه جرح مثلاً يؤذيه الهوام، كالذباب مثلاً إن لم يستره بإزاره، فلا يكره[3].

---

(١) رد المحتار ٢٣٧/٢٦، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي ١١٤/٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٣/٤، ٤٥٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٣٠/١.

(٢) رد المحتار ٣٣٧/٢٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٠٦/٢، ٤٠٧، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٧/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٣٠/١.

(٣) الكبائر ١٦٤، والزواجر ٤١٠/١، ومجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٨/٨، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٠٦/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٤/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٠٥/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٩/١.

والإسبال لا يختص بالثوب والإزار فقط، بل يكون في كل شيء بحسبه، ففي القميص بتطويل أكمامه تطويلاً زائدًا على المعتاد، وفي العمامة بإرسال العذبة زائدًا على ما جرت به العادة، وهكذا.

كما أجمعوا على جواز الإسبال للنساء[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان أم سلمة رضي الله عنها لأحب اللباس إلى رسول الله ﷺ.

ثانيًا: من آداب المدعو: الاقتداء برسول الله ﷺ في تواضعه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان أم سلمة رضي الله عنها لأحب اللباس إلى رسول الله ﷺ:

جاء في صريح الحديث بيان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ حيث قالت أم سلمة رضي الله عنها: "كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص" والقميص اسم لما يلبس من المخيط الذي له كمان وجيب، ومعنى كان أحب اللباس إلى رسول الله ﷺ القميص أي كانت نفسه تميل إلى لبسه أكثر من غيره، من نحو رداء أو إزار لأنه أستر منهما، ولأنهما يحتاجان إلى الربط والإمساك بخلاف القميص، لأنه يستر عورته ويباشر جسمه بخلاف ما يلبس فوقه من الدثار[2]، ولأن القميص أقل مؤنة وأخف على البدن، ولابسه أكثر تواضعًا[3].

ثانيًا - من آداب المدعو: الاقتداء برسول الله ﷺ في تواضعه:

إن خلق التواضع من أفضل الأخلاق وأسماها، وقد بلغ فيه رسول الله ﷺ شأوًا لا يلحقه فيه أحد من الأولين ولا من الآخرين[4] وقد جاء في الحديث مظهر من مظاهر تواضعه ﷺ، فقالت أم سلمة رضي الله عنها "كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص"

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤/٥٥، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢/٤٧١.

(٢) عون المعبود شرح سنن ابي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٧٢٨.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٤٣.

(٤) هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، ابوبكر الجزائري ص ٤٢٥.

وذلك لكون رسول الله ﷺ أشد الناس تواضعًا وأبعدهم عن الكبر والخيلاء[1] فما أحرى بمحبي رسول الله ﷺ الاقتداء به في تواضعه، فإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي رسول الله ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه[2] والسبيل العملي للتأسي به ﷺ هو تطبيق السنة في حياةالفرد والجماعة، وهذا التطبيق يشمل كافة جوانب الدين من اعتقادات وعبادات وأخلاق[3] ومن ذلك خلق التواضع، الذي هو خير الخلال، وأحب الخصال إلى الله تعالى وإلى الناس[4].

وجاءت النصوص الكثيرة في الحث على التواضع والحض عليه، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[6] وليس معنى التواضع أن يذل الإنسان نفسه أو يقلل من شأنه، والفرق بين التواضع والمهانة "أو الذل" أن التواضع يتولد من بين العلم بالله سبحانه، ومعرفة أسمائه وصفاته، ونعوت جلاله وتعظيمه، ومحبته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها، وعيوب عملها وآفاتها، فيتولد من ذلك كله خلق التواضع، وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة لعباده فلا يرى له على أحد فضلاً، ولا يرى له عند أحد حقًا، بل يرى الفضل للناس عليه، والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقربه.

وأما المهانة فهي الدناءة والخسة، وبذل النفس أو ابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد بن محمد أبو شهبة، ٦٥٦/٢.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٦٩/١، ٧٠.

(٣) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ١٢٥.

(٤) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٥٧.

(٥) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٦) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

كتواضع السَّفل في نيل شهواتهم، وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه، فهذا كله ضعة لا تواضع، والله سبحانه يحب التواضع، ويبغض الضعة والمهانة[1].

(١) الروح، ابن القيم ص ٢١٠، ٢١١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

تختلف الأسماء للملابس الداخلية من زمن إلى زمن، وما يُلبس تحت الثياب ساتر نصف الجسد الأعلى يسمى بالقصص، وله بدائل شتى في زمننا هذا، وارتداءه يقي من الشمس أكثر ويشرب العرق ويحفظ الملابس الخارجية من التغيير الناتج عدم إفرازات الجسد ولهذا يستحب:

أولاً- مراعاة الراحة الجسمية:

من أهم ميادين التربية مراعاة الجانب الجسمي، وذلك بانتقاء المناسب من أطايب الطعام والشراب والملابس.

ومن دلائل ذلك ما جاء في حديث الباب من اختيار رسول الله ﷺ من الملابس ما يلائم جسمه ويلائم حرارة المكان الذي يعيش فيه، كما يدل عليه حديث الباب من حبه ﷺ للقميص لكونه "أستر للأعضاء وأقل مؤونة وأخف على البدن ولتشربه العرق وعدم تغير رائحته بسرعة لكونه من القطن"[١]. فلا معنى لارتداء الملابس التي تؤلم الجسد وتؤذيه وتعيقه عن القيام بما نيط به من واجبات.

إن التربية الجسمية أمر مطلوب لأهداف عديدة في ضوء التربية الإسلامية، كما أن سلامة الجسم وصحته والعناية به تزيد من سعادة الإنسان، فالعناية بالجسم وصحته وملبسه ونحو ذلك، أمر مطلوب لأنها تحقق للإنسان الصحة والسلامة من الأمراض، وليقوم بما أوجبه الله تعالى عليه في أمور دينه ودنياه"[٢].

ثانياً- التربية الخلقية:

ويظهر ذلك الجانب التربوي في تواضعه ﷺ في ملبسه فكان أحب الثياب إليه القميص، ومن أسرار إقبال نفسه ﷺ على لبس القميص لكون "لابسه أكثر تواضعاً"[٣].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٥٩.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٢٠٣.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٥٩.

إن خلق التواضع وتربية النفوس عليه من أهم الجوانب التربوية التي عمل الإسلام على ترسيخها في نفوس المؤمنين، "إذ أن التربية الأخلاقية تعد الغاية الأسمى للتربية الإسلامية، فرسول الله ﷺ، وهو قدوتنا في التربية الإسلامية أدبه ربه، وأحسن تأديبه وأثنى عليه ربه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

لقد عظُم اهتمام الإسلام بالأخلاق لما لها من قيمة في كيان الفرد والمجتمع إذ بالأخلاق يبقى للفرد كيانه واحترامه، وبالأخلاق يبقى للمجتمع كيانه واحترامه، وقد كان محقاً أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال:

إنَّما الأمَمُ الأخلاقُ ما بقيت ... فإنْ هم ذهبتْ أخلاقهم ذهبوا

أي أن بقاؤها وتقدمها رهن بتمسكها بالأخلاق الفاضلة، ويكون ضياع الأمم وزوالها بما فيها من أفراد وجماعات وتقدم وحضارات نتيجة لتخليها عن الأخلاق[2].

"إن التربية الخلقية هي روح التربية، والوصول إلى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقي من التربية، فالغرض الأول والأخير من التربية الإسلامية تهذيب الخلق وتربية الروح، وكل درس يجب أن يشتمل على بعض الفضائل الخلقية، وكل معلم يجب أن يتصف بالأخلاق المحمودة التي يكون بها المعلم مثالياً في تدينه وسمته، فالخلق النبيل عماد التربية في الإسلام"[3].



---

(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص٣٥، ٣٦.

(٣) انظر: الطفل في الشريعة الإسلامية، د. محمد بن أحمد الصالح ص٢٦٥، ٢٦٦.

١١٩- باب صفة طول القميص والكُم والإزار وطرف العمامة وتحريم إسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء وكراهته من غير خيلاء

الحديث رقم (٧٩٠)

٧٩٠- عن أسماءَ بنتِ يزيد الأنصاريَّةِ رضي الله عنها، قالت: كَانَ كُمُّ قَمِيص رسول الله ﷺ إلَى الرُّسْغِ. رواه أبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أسماءُ بنتُ يزيد بن السكن: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٥١٨).

غريب الألفاظ:

الرُّسغ: مفصِل ما بين الساعد والكف[2].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه في وصف لباس رسول ﷺ وترويه صحابية جليلة أسهمت مع كثير من النساء غيرها في نقل سنة رسول ﷺ وكنَّ جنباً إلى جنب مع الرجال في الحفاظ عليها، والأمثلة على ذلك كثيرة.

وقد صاغت الحديث بأسلوب خبري؛ لأن الحديث لا يُنكر عليها، ولا تتوقع له معارضاً لأنه معنى تؤسسه ابتداءً لوصف كُم رسول الله ﷺ وأنه كان إلى الرسغ، وهو المفصل بين الكف والساعد، وهذا الحد هو حد الاعتدال؛ لأن ما زاد على ذلك أعاق حركة الكف، وتلوث بما تتعرض له في العمل، والطعام، وغيره.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٢٧)، والترمذي (١٧٦٥) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وتقدم برقم (٥١٨). فيه شهر بن حوشب وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام، وقد تفرد به، ورواه النسائي في الكبرى (٩٦٦٧) عن بديل بن ميسرة فذكره مرسلاً.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر س غ).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥١٨).

الحديث رقم (٧٩١)

٧٩١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) فَقَالَ أَبُو بكر: يَا رسول الله، إنَّ إزاري يَسْتَرْخِي إلاَّ أنْ أتَعَاهَدَهُ، فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: ((إنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ[1] خُيَلاءَ)) رواه البخاريُّ وروى مسلم بعضه[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

خيلاء: البطر والكبر والزهو والتبختر[3].

الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[4].

يسترخي: يتسع وينبسط وكان سبب استرخائه نحافة جسم أبي بكر[5].

أتعاهده: أحافظ عليه وألتزم به وذلك بالشد والرفع[6].

الشرح الأدبي

نص كلام الرسول ﷺ يبدأ بالاسم الموصول الذي يحمل معنى الشرط (من جر ثوبه خيلاء) وتعريف المسند إليه بالموصول للتنبيه على خطأ الفعل، ومعنى الشرط يربط فعلاً بجزائه، وتقييد النظر بيوم القيامة تتميم جيء به لنكتة، وهي زيادة الترهيب،

---

(١) لفظ البخاري: (تصنع ذلك) بدل: (ممن يفعله)، وهذا لفظ أبي داود (٤٠٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٥) بنحوه، ومسلم (٤٤/٢٠٨٥) الشطر الأول منه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٠١٥).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢٠.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر خ و)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٦/١٠.

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع هـ د)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٦/١٠، ودليل الفالحين، ابن علان ١٠٤٤.

والتخويف لمن يأتي هذا الفعل، لما كان لكثرة الجمع مدخل عظيم في مشقة الخزي قال: (يوم القيامة) الذي من افتضح في جمعه لم يفز، وهذا التصعيد للوعيد أثار في نفس أبي بكر رضي الله عنه سؤالاً عن حاله، - وقد كان شديد الخوف من الله، وكلهم رضي الله عنهم كذلك، وقوله (يا رسول الله إِنَّ إزاري يَسْتَرْخِي إِلاَّ أَنْ أَتَعَاهَدَهَ (

فيه نداء تكريم، وتشريف، ثم توكيد الخبر بأكثر من مؤكد لاستشعاره لخطر الأمر، وإضافة الإزار إلى نفسه إشارة إلى خصوصية المسألة، وقوله (يسترخي) فيه إشارة إلى أن هذا الفعل رغماً عنه، وقوله (إلا أن أتعاهده) يشير إلى تحريه، وحذره.

وقول الرسول ﷺ (إِنَّكَ لَسْتَ ممن يفعله خُيَلاءَ) أكَّد له العبارة بـ (إن)، ووصلها بضمير المخاطب لتتساوق مع أسلوب عبارة الصديق المؤكدة، ومع حالته النفسية فتنزع القلق من نفسه، وتقييد الوعيد بمن يفعله خيلاء إشارة إلى أنها سببه.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الكبر والخيلاء وآثارهما الوخيمة على الإنسان.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاستفسار عما خفي عليه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: النفي.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: النية وأثرها في العمل.

أولاً - من آداب الداعية: الترهيب:

قد رهب النبي ﷺ في الحديثين من الكبر والخيلاء بقوله "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة..." وقوله ﷺ "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا".

(والترهيب كأسلوب دعوي له من الأهمية ما يجعله الأسلوب المناسب لإنقاذ المسلم العاصي المستمرئ للمعصية، والذي يخشى عليه أن تنتهي به المعصية إلى فسوق ثم إلي

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٩١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٩٢).

فجور وكفر والعياذ بالله، فكان الترهيب بمثابة لجام معنوي يأخذ بحجز الإنسان بعيدًا عن النار، ولذا بدأ ﷺ بالإنذار تنفيذًا لأمر ربه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾[1] وقال ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ. فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ))[2].

وأيضًا الترهيب له موقع مفيد في نفوس الناس من وجهين:

الوجه الأول: إنه يدخل إليهم من الأبواب الفطرية وهي كراهية البؤس والعقاب.

والوجه الثاني: إن الترهيب له درجات تبدأ بالتهديد وتنتهي بالتنفيذ)[3] (فمن الناس من تكفيه الإشارة البعيدة، فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه، ويعدل عما هو مقدم عليه من انحراف... ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ، ومنهم من لابد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه، ومنهم بعد ذلك فريق لابد وأن يحس لذع العقوبة على جسمه كي يستقيم)[4].

(ولما كان الترهيب هو الأسلوب الأخير لإنقاذ معظم الناس من عقوبة الله في الدنيا والآخرة، وجب التأكيد عليه، والحرص على العمل به في مجال الدعوة، خاصة وأن سور القرآن الكريم مملوءة بهذا الأسلوب، وكذلك السنة الصحيحة، ليكون ذلك بمشيئة الله قاطعًا للنفوس عن غيها وفسادها وخيبتها، وباعثًا لها على المسارعة وسلامتها وفلاحها)[5].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الكبر والخيلاء وآثارهما الوخيمة على الإنسان:

إن الكبر والخيلاء من أعظم أدلة سفول النفس وانحطاطها، فبهما يكون غضب

---

(١) سورة المدثر، الآيتان: ١-٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٢٦، ومسلم ٢٢٨٤.

(٣) الترهيب في الدعوة، د. رقية نياز، ١١-١٣.

(٤) انظر: مدخل علاجي لانحراف الأحداث، العلاج الإسلامي، د. محمد سلامة غباري ص ٣٢٣.

(٥) الترهيب في الدعوة، د. رقية نياز، ١٣.

الرب وهلاك النفس، وقد عظّم النبي ﷺ جرمهما في نص الحديثين وذلك في قوله "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة" وقوله "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا".

وفي بيان ذلك قال القاضي: (المخيلة والخيلاء والبطر: بمعنى، وهو الكبر والزهو والتبختر، قال الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[2]...، وقال الإمام: المخيلة: يعني الكبرياء، يقال: خال الرجل خالاً واختال اختيالاً: إذا تكبر، وهو رجل خال: أي متكبر، وذو خال: أي ذو تكبر. وقوله: "لا ينظر الله إليه يوم القيامة" أي: لا يرحمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾[3])[4].

وقد ذم الله تعالى الكبر في مواضع من كتابه، وذم كل جبار متكبر، فقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[5] وقال عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[6] وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[7] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[8].

(فالكبر والخيلاء آفة عظيمة هائلة، وفيه يهلك الخواص من الخلق، وقلما ينفك عن العباد والزهاد والعلماء، فضلاً عن عوام الخلق، وكيف لا تعظم آفته وقد

(١) سورة الحديد، آية: ٢٣.

(٢) سورة النحل، آية: ٢٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٧٧.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٨/٦-٥٩٩.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٤٦.

(٦) سورة غافر، آية: ٣٥.

(٧) سورة إبراهيم، آية: ١٥.

(٨) سورة غافر، آية: ٦٠.

قال ﷺ: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ))[1]. وإنما صار حجابًا دون الجنة، لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة، والكبر وعزه النفس يغلق تلك الأبواب كلها. فلا يقدر صاحبه على التواضع، ولا على ترك الحقد والحسد والغضب، ولا على كظم الغيظ وقبول النصح، ولا يسلم من الازدراء بالناس واغتيابهم، فما من خلق ذميم إلا وهو مضطر إليه ليحفظ عزه وكبره، ومن شر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم، وقبول الحق، والانقياد له)[2].

ومن أجل ذلك بيّن النبي ﷺ سوء عواقب الكبر والخيلاء فقال: (احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ. فَقَالَتْ هَـٰذِهِ: يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالَتْ هَـٰذِهِ: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ. فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَـٰذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ. وَقَالَ لِهَـٰذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا)[3] وقال ﷺ: ((يقول الله عزَّ وجلَّ: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني شيئًا منهما، ألقيته في جهنم))[4].

قال ابن القيم: (معنى هذا الحديث، أن الكبرياء والعظمة صفتان لله عز وجل اختص بهما لا يشركه فيهما أحد، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل، وإنما ضرب الرداء والإزار مثلاً، يقول: -والله أعلم- كما لا يشرك الإنسان في ردائه وإزاره أحدًا فلا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق)[5].

وقال النووي: (ومعنى ينازعني: يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك، وهذا وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه)[6].

---

(١) أخرجه مسلم ٩١.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٤/١٩٥٣.

(٣) أخرجه البخاري ٧٤٤٩، ومسلم ٢٨٤٦.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٢٠.

(٥) تهذيب سنن أبي داود ٦/٥٢-٥٤.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٥٩.

وقال ﷺ: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي، قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ[١] وَبُرْدَاهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ))[٢] قال ابن حجر: (والتجلجل بجيمين التحرك، وقيل: الجلجلة الحركة مع صوت، وقال ابن دريد: كل شيء خلطت بعضه ببعض فقد جلجلته، وقال ابن فارس: التجلجل أن يسوغ في الأرض مع اضطراب شديد ويندفع من شق إلى شق، فالمعنى يتجلجل في الأرض أي ينزل فيها مضطربًا متدافعًا...)[٣].

وقد بين ابن قدامة: أن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات: فقال: ("الأولى": أن يكون الكبر مستقرًا في قلب الإنسان منهم، فهو يرى نفسه خيرًا من غيره، إلا أنه يجتهد ويتواضع، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة، إلا أنه قد قطع أغصانها.

الثانية: أن يظهر لك بأفعاله من الترفع في المجالس، والتقدم على الأقران، والإنكار على من يقصر في حقه، فترى العالم يصعر خدَّه للناس، كأنه معرض عنهم، والعابد يعيش ووجهه كأنه مستقذر لهم، وهذان قد جهلا ما أدب الله به نبيه ﷺ، حين قال له: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

الدرجة الثالثة: أن يظهر الكبر بلسانه، كالدعاوي والمفاخر، تزكية النفس، وحكايات الأحوال في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التكبر بالنسب، فالذي له نسب شريف، يستحقر من ليس له ذلك النسب، وإن كان أرفع منه عملاً.

قال ابن عباس: يقول الرجل للرجل: أنا أكرم منك، وليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٥]. وكذلك التكبر بالمال،

---

(١) جُمَّته: بضم الجيم وتشديد الميم هي مجتمع الشعر إذا تدى من الراس إلى المنكبين وإلى أكثر من ذلك. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٧٥٨٩، ومسلم ٢٠٨٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/١٠.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٣.

والجمال، والقوة، وكثرة الأتباع، ونحو ذلك، فالكبر بالمال أكثر ما يجري بين الملوك والتجار ونحوهم.

والتكبر بالجمال أكثر ما يجري بين النساء، ويدعوهن إلى التنقص والغيبة وذكر العيوب.

وأما التكبر بالأتباع والأنصار، فيجري بين الملوك بالمكاثرة بكثرة الجنود، وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين[1].

ثالثًا - من آداب المدعو: الاستفسار عما خفي عليه:

هذا ما يؤكده نص الحديث من سؤال أبي بكر ﷺ للنبي ﷺ قائلاً: "يا رسول الله إن إزاري يسترخي إلا أن أتعاهده" (فعلى المدعو أن يسأل ويستوضح عن كل ما لا يعرفه أو يُشكل عليه من أمور العقيدة والعبادات، وأمور المعاملات وطرق الخير وأبواب البر، وعن كل شبهة ترد عليه في دينه، حتى يعبد الله وقد خلص قلبه وعقله من كل الشبهات. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2])[3].

رابعًا - من أساليب الدعوة: النفي:

هذا ما استعمله النبي ﷺ في الحديث من قوله "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطرًا" والنفي هنا من الأساليب الدعوية التي يكون بها إخافة المدعو، وتوجيهه إلى عدم الكبر والبطر، بما يحقق نجاته في الدنيا والآخرة.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: النية وأثرها في العمل :

قد بين الحديث أن قوام الأعمال بالنيات، وأن أحكامها تختلف بحسب اختلاف النية، وذلك من مبادئ الإسلام الأساسية، ومن قواعده الشرعية المعروفة، وهذا ما ظهر

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ٢٤٩-٢٥٠.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٣) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود الرحيلي ص ١٨.

جليًا في الحديث من قول أبي بكر ﷺ: "يا رسول الله إن إزاري يسترخي إلا أن أتعاهده، فقال له رسول الله ﷺ إنك لست ممن يفعله خيلاء".

قال القاضي عياض: (وقوله "خيلاء": دل أن النهي إنما تعلق لمن جرّه لهذه العلة، فأما لغيرها فلا، من استعجال الرجل لحاجته وجر ثوبه خلفه، أو من قلة ثياب ردائه على كتفيه، فلا حجر، وقد جاءت في ذلك كله أحاديث صحيحة في الرخصة فيه، وكذلك إن كان جره خيلاء على الكفار أو في الحرب، لأن فيه إعزازًا للإسلام وظهوره في استحقار عدوه وغيظه، بخلاف الأول، إنما فيه استحقار المسلمين وغيظهم والاستعلاء عليهم، وفي ذلك أيضًا أثر صحيح)[1]. ويقصد القاضي في ذلك قوله ﷺ ((مِنَ الغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللهُ ومِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللهُ، فَأَمَّا الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا الَّتِي يَبْغَضُهَا اللهُ فالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ. وَإِنَّ مِنَ الْخُيَلاَءِ مَا يُبْغِضُ اللهُ وَمِنْهَا مَا يُحِبُّ اللهُ، فأَمَا الْخُيَلاَءُ الَّتي يُحِبُّ اللهُ فاخْتِيَالُ الرَّجُلِ نَفْسَهُ عِنْدَ القِتَالِ وَاخْتِيَالُهُ عِنْدَ الصَّدَقَةِ، وَأَمَّا التي يَبْغَضُ اللهُ عَزَّ وَجلَّ فَاخْتِيَالُهُ فِي البَغْيِ)) قالَ مُوسَى[2] ((وَالفَخْرِ))[3].

قال صاحب عون المعبود في قوله ﷺ "فأما الخيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل نفسه عند القتال": لما في ذلك من الترهيب لأعداء الله والتنشيط لأوليائه "واختياله عند الصدقة": فإنه ربما كان من أسباب الاستكثار منها والرغوب فيها، فاختيال الرجل عند القتال هو الدخول في المعركة بنشاط وقوة، وإظهار الجلادة والتبختر فيه، والاستهانة والاستخفاف بالعدو لإدخال الروع في قلبه)[4]. (وإن كان قد روي عن ابن عمر كراهة ذلك على كل حال[5])[6].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٨/٦-٥٩٩.

(٢) موسى: موسى بن إسماعيل أحد رواة الحديث.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٦٥٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٣١٦).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١٣٤.

(٥) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٥٩٧/٣-٥٩٨.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٨/٦-٥٩٩.

وقد بين ابن حجر: (أنه لا حرج على من انجر إزاره بغير قصد مطلقًا)[1] وقال النووي: (...، فما نزل عن الكعبين فهو ممنوع، فإن كان للخيلاء فهو ممنوع منع تحريم وإلا فمنع تنزيه... إلخ)[2] وفي ذلك بيان على أن (النية روح العمل ولبه وقوامه، وهو تابع لها، يصح بصحتها، ويفسد بفسادها. والنبي ﷺ قد قال كلمتين كفتا وشفتا، وتحتهما كنوز العلم، وهما قوله: ((إِنَّما الأَعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى))[3]، ثم بين في الجملة الثانية أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه. وهذا يعم العبادات والمعاملات، والإيمان، والنذور، وسائر العقود والأفعال)[4]. (وفي ذلك بيان على أن حظ العامل من عمله نيته، فإن كانت صالحة، فعمله صالح، فله أجره، وإن كانت فاسدة، فعمله فاسد، فعليه وزره)[5].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٧/١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢٠.

(٣) أخرجه البخاري ١، ٥٤، ومسلم ١٩٠٧.

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ١١١/٣.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٦٤/١.

الحديث رقم (٧٩٢)

٧٩٢-وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((لا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إزاره بَطَرًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يسوقه أبو هريرة رضي الله عنه بأسلوب خبر مؤكد بعدة مؤكدات تعظيماً للخبر، وتفخيماً لأمره بما يجعله يسلك طريقه في دروب النفس، وحنايا القلوب دون أن يعترضه معترض، ونص كلام الرسول ﷺ يبدأ بأسلوب النفي الذي يحرم صاحب هذا الفعل القبيح من نظر الله يوم القيامة، والتقييد (بيوم القيامة) تصعيد للوعيد؛ لأنه يوم لا حول فيه، ولا قوة لغير الله، ثم إن هذا الخزي على رءوس الأشهاد فضيحة على الملأ، عقاباً نفسياً يتلوه عقاب جسدي - أعاذنا الله - والاسم الموصول (الذي) ينادي بخطأ هؤلاء، وخيبتهم العظيمة، والفعل (جر) يشير إلى تجاوز الثوب للحد المشروع، وقوله: (بطراً) تمييز للفعل يبين نوعه الذي سبب هذا الحرمان، وحقق الوعيد، وقد صاغه في صورة المصدر الذي يدل على الثبوت والدوام ولم يصغه في صورة الفعل الذي يفيد التجدد إشارة إلى أن صفة الكبر صفة راسخة ثابتة في نفسه تدعوه إلى الزهو، والافتخار على خلق الله - والعياذ بالله -.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٧٨٨، ومسلم ٢٠٨٧/٤٨، وتقدم برقم ٦١٦. أورده المنذري برقم ٣٠١٤.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٩٣)

٧٩٣-وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَا أسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النارِ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[2].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه في الترهيب من إطالة الثوب، وتجاوز الحد الذي يتسبب في العقاب، وهو أسلوب خبري خال من المؤكدات، لأن التوكيد مرجعه إلى إحساس المتكلم المتعلق بعمق المعنى في نفسه، أو إحساسه بمعارضة المخاطب، أو شكه، أو رغبته في تعظيم الخبر في نفس المتكلم، وأكثرها أغراض نفسية تتحكم في وجود المؤكدات، أو عدمها، وكثافتها، ونوعها، فإذا لم يواجه بشك، أو إنكار مع إحساسه بإقبال المخاطب، وعنايته بالخبر ساق الخبر مجرداً عن عوامل التوكيد، نظراً لمقتضى الحال، ولعله ما كان.

وقول الرسول ﷺ: (ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار) التعريف بالاسم الموصول للتنبيه على خطأ، وفيها إيجاز بحذف بعض صلة الموصول على تقدير (ما كان) و (أسفل) أفعل تفضيل خبر كان على رواية نصب (أسفل)، ويجوز رفعه على تقدير: (ما هو أسفل)، و (من) الأولى لابتداء الغاية، والثانية: للبيان وقوله (من الإزار) مجاز مرسل بعلاقة المجاورة؛ لأنه أطلق الإزار، وأراد بدن لابسه، كقول عنترة العبسي

فشَكَكْتُ بالرّمْحِ الأصَمّ ثيابَهُ ... لَيْسَ الكَرِيمُ على القَنَا بِمُحَرَّمِ

---

(١) برقم ٥٧٨٧. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٠٦.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٥.

وقوله (ففي النار) زِيَادَةِ لفَاء، كَأَنَّهَا دَخَلَتْ لِتَضْمِينِ مَا مَعْنَى الشَّرْط أَيْ مَا دُون الْكَعْبَيْنِ مِنْ قَدَم صَاحِب الإِزَار الْمُسْبَل فَهُوَ فِي النَّار عُقُوبَة لَهُ عَلَى فِعْله.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب والتحذير من الكبر والخيلاء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل والتكرار.

رابعًا: من صفات الداعية: التواضع والبعد عن الكبر والعجب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الإسبال والمن وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الترهيب والتحذير من الكبر والخيلاء:

(لما كان الكبر والتعالي على الناس، مما يتنافى مع الخلق الكريم، ويغرس الفرقة والعداوة بين المسلمين، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل، شنَّ الإسلام عليه حربًا شعواء، ليطهر منه النفوس ويبعد عنه القلوب)[2]. وكان من ذلك ما ورد في نص الأحاديث من قوله ﷺ "ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار" وقوله "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم" ثم ذكر ﷺ منهم "المسبل"، وفي رواية: "المسبل إزاره"، وأخيرًا من قوله ﷺ "...، من جر شيئًا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة".

(وقد كان الكبر والخيلاء من أخطر أمراض الباطن، وهما دليل على ضعف التدين لدى الفرد، مما يورث لديه اختلالاً في صحته النفسية، وبهما تكون آفة استعظام النفس، ورؤية قدرها فوق قدر الغير، والكبر والخيلاء يتخصص بالإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسه أكبر من غيره)[3].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٩٣- مع المضامين الدعوية للحديث (٧٩٤، ٧٩٥).

(٢) انظر: إسلامنا، السيد سابق، ٢٠٣.

(٣) انظر: مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة، ٢٤٧، والتدين والصحة النفسية، د. صالح بن إبراهيم الصنيع، ٢١٦.

وقد بغض الله تعالى المختال المتبختر، المعرض عن الناس كبرًا وأنفة، فقال تعالى حاكيًا عن لقمان الحكيم فيما أوصى به ابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١].

قال ابن كثير في قوله تعالى "ولا تمشي في الأرض مرحًا" أي: (خيلاء متكبرًا جبارًا عنيدًا، لا تفعل ذلك يبغضك الله، ولهذا قال: "إن الله لا يحب كل مختال فخور" أي: مختال معجب في نفسه، فخور: أي على غيره)[٢].

(ومهما أعجب المرء بنفسه، واختال في مشيته، فأخذ يطأ الأرض بشدة، ويرفع رأسه تطاولاً على الناس، فهو لن يخرق الأرض، ولن يبلغ الجبال طولاً)[٣].

وهذا ما بينه الحق في قوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[٤].

قال ابن كثير: (يقول تعالى ناهيًا عباده عن التجبر والتبختر في المشية: "ولا تمشي في الأرض مرحًا" أي: متبخترًا متمايلاً مشي الجبارين "إنك لن تخرق الأرض" أي: لن تقطع الأرض بمشيك...، وقوله تعالى "ولن تبلغ الجبال طولا" أي: بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك، بل يجازي فاعل ذلك بنقيض قصده)[٥].

كما ثبت في الصحيح من قوله ﷺ ((بَيْنَا رَجُلٌ يَجر إزاره، إذ خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ في الأرض إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ))[٦] وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته، وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض، فقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٣٩/٦.

(٣) إسلامنا، السيد سابق، ٢٠٣.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٥/٥-٧٦.

(٦) أخرجه البخاري ٥٧٨٩.

فِي زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾[1]. وفي ذلك بيان لسوء عاقبة الكبر والتعالي والخيلاء، وهذا ما وضحه ابن القيم في قوله: (وأما الكبر فأثر من آثار العجب والبغي، من قلب قد امتلأ بالجهل والظلم، ترحلت منه العبودية، ونزل عليه المقت، فنظره إلى الناس "شزر"[2] ومشيه بينهم تبختر، ومعاملته لهم معاملة الاستئثار لا الإيثار ولا الإنصاف، ذاهب بنفسه تيهًا، لا يبدأ من لقيه بالسلام، وإن ردّ عليه رأى أنه قد بالغ في الإنعام عليه، لا ينطلق لهم وجهه، ولا يسعهم خلقه، ولا يرى لأحد عليه حقًا، ويرى حقوقه على الناس، ولا يرى فضلهم عليه ويرى فضله عليهم، فلا يزداد من الله إلا بعدًا، ومن الناس إلا صغارًا أو بغضًا)[3]. فضلاً عن كونه من أهل النار لقوله ﷺ: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ))[4] قال النووي: (وأما الجواظ فهو الجموع المنوع، وقيل: كثير اللحم المختال في مشيته، وقيل: الفاخر: بالخاء)[5].

وفي ذلك بيان على وجوب الحذر من الكبر والخيلاء، لما لهما من سوء عاقبة وحال.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن الإخبار من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين وتحذيرهم من كل ما فيه هلاك لهم، وهذا ما ورد في الأحاديث الثلاثة من إخباره ﷺ وتحذيره للمدعوين من الكبر والخيلاء، وكل ما يكون سببًا في هلاكهم وبعدهم عن رحمة الله فقال "ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار" وقال

---

(١) سورة القصص، آية: ٧٩-٨١.

(٢) الشزر: نظرة الإعراض أو الغضب أو الاستهانة يقال نظر إليه شزرًا. المعجم الوسيط في (ش ز ر).

(٣) الروح، ابن القيم، ٢٣٤.

(٤) أخرجه البخاري ٤٩١٨، ومسلم ٢٨٥٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٦١.

"ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم...إلخ" وقال "... من جر شيئًا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة".

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل والتكرار:

إن الإجمال والتفصيل والتكرار من الأساليب الدعوية المهمة (التي بها لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم إلى أهمية الأمر المدعو إليه)[١] فضلاً عن تحذيرهم من مخالفته، وقد ورد الإجمال في الحديث من قوله "ثلاث لا يكلمهم الله... إلخ" ثم تبعه التفصيل من قوله ﷺ المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب" أما التكرار في الحديث من قول أبي ذر رضي الله عنه: "فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار"؛ لأن اللفظ إذا جاء مجملاً - ولا سيما مع التكرار - ينتبه له الإنسان، حتى إذا جاءه التفصيل والبيان ورد على نفس متشوقة قد تطلب البيان[٢].

رابعًا - من صفات الداعية: التواضع والبعد عن الكبر والعجب:

(إن التواضع والبعد عن الكبر والعجب، بالدعاة والمرشدين أليق، ولهم ألزم، لأن التواضع عطوف، والعجب منفر، وهو بكل أحد قبيح، وبالمرشدين أقبح، لأن الناس بهم يقتدون، وكثيرًا ما يداخلهم الإعجاب لتميزهم بفضيلة العلم، ولو أنهم نظروا حق النظر، وعملوا بموجب العلم، لكان التواضع بهم أولى، ومجانبة العجب بهم أحرى، لأن العجب نقص ينافي الفضل)[٣].

وقد بيَّن النبي ﷺ في نص الأحاديث الواردة سوء عاقبة الكبر والعجب والخيلاء، وأن ذلك من وجوب غضب الله ومقته لمن كان ذلك آفته ونهجه.

وقد بيَّن النبي ﷺ أن لكل داء دواء، فقال: ((مَا أَنْزَلَ الله مِنْ داءٍ إلاَّ وأَنْزَلَ لهُ شفاءً))[٤]، (وهذا يعم أدواء القلب والروح والبدن وأدويتها، وقد جعل النبي ﷺ الجهل

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٠٩٥/٢.

(٢) المرجع السابق ١٠٩٥/٢.

(٣) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ١٠٤.

(٤) أخرجه البخاري ٥٣٥٤.

داءً، وجعل دواءه سؤال العلماء)[1]، وقد بين العلماء بما أعطاهم الله من العلم أهمية التواضع وكيفية علاج الكبر والعجب فقال ابن قدامة: (وفي معالجة ذلك مقامان:

الأول: في استئصال أصله وقطع شجرته، وذلك بأن يعرف الإنسان نفسه ويعرف ربه، فإنه إذا عرف نفسه حق المعرفة، علم أنه أذل من كل ذليل، ويكفيه أن ينظر في أصل وجوده بعد العدم من تراب، ثم من نطفة خرجت من مخرج البول، ثم من علقة، ثم من مضغة، فقد صار شيئًا مذكورًا، بعد أن كان جمادًا لا يسمع ولا يبصر، ولا يحس ولا يتحرك، فقد ابتدأ بموته قبل حياته، وبضعفه قبل قوته، وبفقره قبل غناه.

وقد أشار الله تعالى إلى هذا بقوله: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۝ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾[2] ثم امتَّن عليه بقوله: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾[3]، وبقوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[4]، فأحياه بعد الموت، وأحسن تصويره، وأخرجه إلى الدنيا، فأشبعه وأرواه، وكساه! وهداه وقوّاه.

فمن هذا بدايته، فأي وجه لكبره وفخره؟

على أنه لو دام له الوجود على اختياره، لكان لطغيانه طريق، بل قد سلط عليه الأخلاط المتضادة، والأمراض الهائلة، بينما بنيانه قد تم، إذ هو قد وهي وتهدم، لا يملك الشيء لنفسه ضرًا ولا نفعًا، بينما هو يذكر الشيء فينساه، ويستلذ الشيء فيرديه، ويروم الشيء فلا يناله، ثم لا يأمن أن يسلب حياته بغتة.

هذا أوسط حاله، وذاك أول أمره، وأما آخر أمره، فالموت الذي يعيده جمادًا كما كان، ثم يلقى في التراب فيصير جيفة منتنة، وتبلى أعضاؤه، وتنخر عظامه، ويأكل الدود أجزاءه، ويعود ترابًا يعمل منه الكيزان، ويعمر منه البنيان، ثم بعد طول البلى

---

(١) الداء والدواء، ابن القيم، ٦.

(٢) سورة عبس، الآيتان: ١٨، ١٩.

(٣) سورة عبس، آية: ٢٠.

(٤) سورة الإنسان، آية: ٢.

تجمع أجزاؤه المتفرقة، ويحضر عرصة القيامة، فيرى أرضًا مبدلة، وجبالاً مسيرة، وسماء منشقة، ونجومًا منكدرة، وشمسًا مكوَّرة، وأحوالاً مظلمة، وجحيمًا تزفر، وصحائف تنشر، ويقال له: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾[1].

فيقول: وما كتابي؟ فيقال: كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها، ملكان يحصيان ما تنطق به وتعمل، من قليل وكثير، وقيام وقعود، وأكل وشرب، وقد نسيت ذلك، وأحصاه الله تعالى، فهلم إلى الحساب عليه، وأعد جوابًا له، وإلا فأنت تساق إلى النار. فإن صار إلى النار، فالبهائم أحسن حالاً منه، لأنها تعود إلى التراب، ومن هذا حاله وهو على شك من العفو عن أخطائه، كيف يتكبر؟ ومن الذي يسلم من ذنب يستحق به العقوبة، وما مثله إلا كمثل رجل جنى على ملك جناية استحق أن يضرب لأجلها ألف سوط، فحبس في السجن ليخرج فيعاقب، وهو منتظر أن يدعى به لذلك. أفتراه يتكبر على أهل السجن؟ وهل الدنيا إلا سجن، وهل المعاصي إلا موجبة للعقاب؟

وأما معرفة ربه، فيكفيه أن ينظر آثار قدرته وعجائب صنعته، فتلوح له العظمة، وتظهر له المعرفة، فهذا هو العلاج القالع لأصل الكبر.

ومن العلاج العملي التواضع لله تعالى ولعباده، وذلك بالمواظبة على استعمال خلق المتواضعين، والاقتداء بسنة وسيرة سيد المرسلين محمد ﷺ فيما كان عليه من التواضع والأخلاق الجميلة.

المقام الثاني: فيما يعرض من التكبر بالأنساب، فمن اعتراه الكبر من جهة النسب فليعلم أن هذا تعزز بكمال غيره، ثم يعلم أباه وجده، فإن أباه القريب نطفة قذرة، وأباه البعيد تراب، ومن اعتراه الكبر بالجمال، فلينظر إلى باطنه نظر العقلاء، ولا ينظر إلى ظاهره نظر البهائم، ومن اعتراه من جهة القوة، فليعلم أنه لو آلمه عرق، عاد أعجز من كل عاجز، وإن حُمي يوم تُحَلِّلُ من قوته ما لا يعود في مدة، وإن شوكة لو دخلت في

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١٤.

رجله لأعجزته، وبقة لو دخلت في أذنه لأقلقته.

ومن تكبر بسبب الغنى، فإذا تأمل خلقًا من اليهود، وجدهم أغنى منه، فأفٍ لشرف تسبق به اليهود، ويستلبه السارق في لحظة، فيعود صاحبه ذليلاً.

ومن تكبر بسبب العلم، فليعلم أن حجة الله على العالم آكد من الجاهل، وليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده، فإن خطره أعظم من خطر غيره، كما أن قدره أعظم من قدر غيره.

وليعلم أيضًا أن الكبر لا يليق إلا بالله سبحانه، وأنه إذا تكبر صار ممقوتًا عند الله تعالى بغيضًا عنده. وقد أحب الله منه أن يتواضع، وكذلك على كل سبب يعالجه بنقيضه ويستعمل التواضع.

واعلم أن هذا الخُلق كسائر الأخلاق له طرفان ووسط.

فطرفه الذي يميل إلى الزيادة يسمى تكبرًا.

وطرفه الذي يميل إلى النقصان يسمى تخاسسًا، ومذلة.

والوسط يسمى تواضعًا، وهو المحمود، وهو أن يتواضع من غير مذلة، فخير الأمور أوساطها، فمن تقدم على أقرانه فهو متكبر، ومن تأخر عنهم، فهو متواضع، لأنه قد وضع شيئًا من قدره، فأما إذا دخل على العالم إسكاف أو نحوه، فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه، ثم قدم له نعله ومشى معه إلى الباب، فقد تخاسس وتذلل، فذلك غير محمود، بل المحمود العدل، وهو أن يعطي كل ذي حق حقه، لكن يتواضع للسوقة بالرفق في السؤال واللين في الكلام، وإجابة الدعوة، والسعي في الحاجة، ولا يحقره، ولا يستصغره، والله أعلم)[1].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من الإسبال والمن وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب:

قد ورد في الحديث تكرار النبي ﷺ لقول: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم"، حتى يلفت النبي ﷺ أنظار الأمة إلى عظم

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ٢٥١-٢٥٤.

هذه الكبائر وخطورتها على المجتمع، إذ تعتبر بحق معاول هدم فيه، فالخصلة الأولى: وهي الإسبال في الإزار (وقد نهى النبي ﷺ عن الإسبال: لما فيه من النخوة والكبر)[١].

وإطلاق النهي على الإسبال محمول على ما ورد من قيد الخيلاء، وهذا ما أكده النووي في قوله: (المسبل إزاره فمعناه المرخي الجار طرفه خيلاء...، والخيلاء الكبر)[٢]، وليس أدل على ذلك من قول أبي بكر رضي الله عنه: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ إِزَارِي يَسْتَرْخِي إِلاَّ أَنْ أَتَعَاهَدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خُيَلاَءَ))[٣] (وكان السبب في ذلك ما علمه النبي ﷺ من نقاء سره، وأنه لا يقصد به الخيلاء والكبر، وكان رجلاً نحيفًا قليل اللحم. وكان لا يستمسك إزاره إذا شَدَّه على حَقوه، فإذا سقط إزاره جَرَّه فرخص له رسول الله ﷺ في ذلك وعذره)[٤].

أما الخصلة الثانية التي نهى عنها النبي ﷺ وتوعد صاحبها هي المنّ: (والمنان هو الذي يكثر في ذكر إحسانه ممتنًا به على المحسن إليه)[٥]، وقد بين الخطابي: أن المنان يتأوَّل على وجهين: أحدهما: من المنة، وهي - إن وقعت في الصدقة -أبطلت الأجر، وإن كانت في المعروف كدَّرت الصنيعة وأفسدتها- وقد حذر الحق تبارك وتعالى من ذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[٦] أي: (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كما تبطل صدقة من راءى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة... إلخ)[٧].

---

(١) تهذيب سنن أبي داود، ابن القيم، ٥١/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٦٥.

(٤) تهذيب سنن أبي داود، ابن القيم، ٥٢/٦.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٠٩٦/٢.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٦٤.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٩٤/١.

والوجه الآخر: أن يراد بالمنّ: النقص يريد النقص من الحق، والخيانة في الوزن والكيل ونحوهما، ومن هذا قول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾[1] أي غير منقوص. قالوا: ومن ذلك سُمي الموتُ مَنوناً، لأنه ينقص الأعداد ويقطع الأعمار)[2].

أما الخصلة الثالثة: والتي توعد النبي ﷺ صاحبها بشدة العذاب هي "الحلف بالله كاذبًا" وقد سماه النبي ﷺ باليمين الغموس (وهي اليمين الكاذبة التي تهضم بها الحقوق، أو التي يقصد بها الغش والخيانة، فصاحبها يحلف على الشيء وهو يعلم أنه كاذب، وهي كبيرة من الكبائر، ولا تنعقد هذه اليمين، ولا كفار فيها؛ لأنها أعظم من أن تكفر، ولأنها يمين غير منعقدة، فلا توجب الكفارة كاللغو. وتجب التوبة منها، ورد الحقوق إلى أصحابها إذا ترتب عليها ضياع حقوق. وسميت هذه اليمين غموسًا لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في نار جهنم عياذًا بالله.

ودليل حرمتها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[3]، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدَين، وقتلُ النفسِ، واليمين الغموسُ))[4])[5]. فكانت اليمين الغموس دليلاً على ضعف إيمان الحالف بالله كذبًا وعدم الخوف منه جل وعلا، وبهذا تنعدم الثقة بين أفراد المجتمع الواحد، ويصبح على شفا حفرة من النار، ومن أجل ذلك استحق صاحبها العذاب الشديد، والوعيد الأكيد من الله تعالى يوم القيامة.

وهذا ما بينه النووي في قوله: (ومعنى لا يكلمهم أي لا يكلمهم تكليم أهل

---

(١) سورة القلم، الآية:٣.

(٢) تهذيب سنن أبي داود، ابن القيم، ٦/٥١.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٤.

(٤) أخرجه البخاري ٦٢٩٨.

(٥) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء ص ٣٨٨.

الخيرات وبإظهار الرضى، بل بكلام أهل السخط والغضب وقيل: المراد الإعراض عنهم، وقال جمهور المفسرين: لا يكلمهم كلامًا ينفعهم ويسرهم، وقيل: لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية، ومعنى لا ينظر إليهم أي يعرض عنهم...، ومعنى لا يزكيهم لا يطهرهم من دنس ذنوبهم...، ومعنى عذاب أليم مؤلم، قال الواحدي: هو العذاب الذي يخلص إليهم، والعذاب كل ما يُعيى الإنسان ويشق عليه...إلخ)[1] وفي ذلك ترهيب وتحذير عظيم من الإسبال والمن وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب.

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١.

الحديث رقم (٧٩٤)

٧٩٤- وعن أبي ذر ﵁، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذابٌ ألِيمٌ)) قَالَ: فقَرأها رسول الله ﷺ ثلاثَ مِرار، قَالَ أبُو ذرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا! مَنْ هُمْ يَا رسول الله؟ قَالَ: ((المُسْبِلُ، وَالمنَّانُ، وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكاذِبِ)) رواه مسلم[١].

وفي رواية لَهُ[٢]: ((المُسْبِلُ إزَارَهُ)).

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

لا يزكيهم: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم. وقيل: لا يثني عليهم[٣].

المسبل إزاره: المرخي ثوبه الجارّ طرفه كِبرًا وخيلاء[٤].

المنان: الفخور على من أعطى حتى يفسد عطاءه[٥].

المنفق سلعته: المروِّج سلعته[٦].

الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[٧].

---

(١) برقم ١٠٦/١٧١. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠١١.

(٢) بعد حديث ١٠٦/١٧١، بدون رقم. أوردها المنذري في ترغيبه ٣٠١٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١.

(٤) المرجع السابق ص ١٦١.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م ن ن).

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ف ق).

(٧) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٥.

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب التوشيع في قوله ﷺ: (ثلاثة لا يكلمهم الله، ...)، ولهذا الأسلوب أثر ينسحب على السياق كله فيحقق اليقظة، والترقب، والاستشراف إلى بقية الخبر؛ فإن أسلوب التوشيع فيه نوع من الإبهام يتبعه توضيح يزيل غموضه فالمخاطب إذا سمع قول الرسول ﷺ (ثلاثة...) وهو لفظ نكرة مبهم يحتاج إلى تفسير استشرفت نفسه، وتطلعت إلى معرفة حقيقته، فإذا جاء التفسير تمكَّن في النفس فضل تمكُّن؛ لأنه صادف نفساً مهيأة، وتنكير كلمة (ثلاثة) بغرض التحقير إلى درجة الحرمان من كل خير.

والمتأمل لأسلوب الفصل، والوصل بين الجمل الثلاث التي وصفت بها النكرة في قوله: (لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم) يجد أن الجمل الثلاث الأولى جاءت بالسلب منفية بـ (لا) تُجرِّد النكرة من أجر الثواب، وصالح العمل.

ثم تُقرر الجملة الاسمية الأخيرة (ولهم عذاب أليم) وهي للدوام والثبوت المفاد من اسميتها تقرر بتقديم المسند وهو الجار والمجرور على المسند إليه، ثم بوصف المسند إليه وصفاً على المبالغة قَطْعَ كل وهم يستبقي لهم شيئاً قليلاً من الأمل.

والجمل الثلاث يلزم بعضها بعضاً من جهة المعنى، فكل مفهوم يؤكد ما سبقه، فالمحروم من رحمة كلام الله ومتعة إقباله عليه محروم - لا أشك - من نظره إليه، ومن لا يكلمه الله ولا ينظر إليه غضباً لا يكون محل تزكيته، ثم من كان كذلك كله ليس له إلا العذاب الأليم، والجمل الثلاث وصلت بالواو للتناسب، وعدم المانع، وإذا كان العطف يقتضي المغايرة، فهى حاصلة بالتنويع، لأنها ألوان ما بين الألم النفسي والمعنوي والحسي، ثم جاء التكرار لهذه الجمل ثلاثاً كما - حكى الصحابي - فصعَّد الوعيد والإنذار، وبلغ به أعظم درجة في أنفس المخاطبين، وقرر المعنى تقريراً لا يترك للمخاطب تعلة أو تحلة، يتحلل بها من تبعات ما ألقي إليه، أو يتعلل بها حين تكون استجابته غير متكافئة لما عليه موقف الرسول ﷺ من عناية واهتمام

فهذا التكرار بهذه الجمل الثلاث ارتقى بإحساس المتلقين لدرجة الخطر المحدق بكل متكبر أو منان أو كذاب، وصوَّر فِعالهم شبحاً يطارد في النفوس الإحساس بالعجب، أو الرغبة في المن، أو الجرأة على الحلف كذباً مما يقوِّم الخطأ ويصلح النفوس.

نضيف إلى ذلك الامتزاج بين التكرار المعنوي المطبق لألوان الحرمان من كلام الله، ثم نظره، ثم تزكيته، ثم المآل إلى العذاب الأليم مع التكرار اللفظي الذي يصفع هؤلاء المخطئين، ويزلزل بنيان الرغبة في الشر، ويزيله من نفوسهم.

وقوله (المسبل) المرسل لإزاره وثوبه' وهو كناية عن موصوف وهو المتكبر المختال المتعالي على الناس، وهذه الكناية تبيّن موضع الخطأ، وتدلل عليه وتوضح سبب الطرد من النعم، وأنه يرجع إلى تعالي هذا المتكبر، واختياله وتدلل الكناية على ذلك بأنه يجر ثوبه خيلاءً وزهواً على غيره، وقوله: (المنان) المن القطع، واستخدام لفظ المنان بمعنى القاطع للذي يفسد ما أعطى، ويبطله بالحديث عنه تيهاً وعجباً وإيذاءً لمشاعر المحتاجين، والفقراء على سبيل الاستعارة فقد استعار (المن) الذي هو القطع الذي يتعلق بالأمور الحسية لمن يضيع ثوابه بالحديث عنه عجباً وفخراً بجامع فعل ما يمنع الخير في كلٍ على سبيل الاستعارة التصريحية.

والمتأمل لأسلوب الرسول ﷺ البلاغي في تقويم هذه الأخطار، ومقاومة هذه النماذج السيئة في المجتمع المسلم يرى أنه لم يواجه هؤلاء بالعقاب دفعة واحدة، وإنما استخدم أسلوب التدرج تصعيداً للهول، وارتقاءً به في مسارب النفوس حتى يتغلغل فيها فيطرد شبح الكبر والخيلاء والتعالي على الناس بالمن والإيذاء، أو التجرؤ على الكذب والحلف عليه خداعاً للغافلين[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع – دراسة في الصحيحين، د. ناصر راضي الزهري إبراهيم – ١٦٠.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٩٥)

٧٩٥- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((الإسْبَالُ فِي الإزار، وَالقَمِيص، وَالعِمَامَةِ، مَنْ جَرَّ شَيْئًا[1] خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) رواه أَبُو داود والنسائيُّ[2] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الإسبال في الإزار: إرخاء الثوب إلى أسفل من الكعبين[3].

القميص: ثوب مخيط بكمين غير مفرج يلبس تحت الثياب[4].

الشرح الأدبي

ساق الرسول ﷺ حديثه في أسلوب خبري دون مؤكدات بذكر المسند إليه تشويقاً إلى الخبر؛ لأنه لا يؤتي بالمسند إليه عارياً عن العوامل إلا بنية الإسناد أي الإخبار عنه، وقد أخبر عنه بعدد من الأمور التي تشترك في الحكم وهي (الإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ) وهي أنواع من اللباس يمكن أن يتطرق إلى نفس صاحبها حب التكبر بإطالتها عن الحد إدلالاً بغناه، واحتقاراً للفقراء من خلق الله، ولذلك جاء أسلوب الشرط عن طريق الموصول الذي ينبه إلى خطأ الفعل (مَنْ جَرَّ شَيْئًا خُيَلاءَ)، وتنكير (شيئاً) للتقليل أي لا يجر على صفة الكبر قليلاً، ولا كثيراً، وقوله: بقوله: (خيلاء) أي تكبراً وهو بيان سبب العقاب، والجزاء قوله: (لا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وتقييد الكلام والنظر بيوم القيامة تتميم بلاغي جيء به لنكتة، وهي زيادة الترهيب،

---

(١) عندهما زيادة: (منها).

(٢) أخرجه أبو داود ٤٠٩٤، والنسائي في الكبرى ٩٦٣٧، وفي الصغرى ٥٣٣٤. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠١٢.

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٦.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٣٩/٢.

والتخويف لهؤلاء الثلاثة، لما كان لكثرة الجمع مدخل عظيم في مشقة الخزي قال: (يوم القيامة) الذي من افتضح في جمعه عظمت فضيحته، لأنها على رءوس الأشهاد.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٩٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٩٣، ٧٩٤).

الحديث رقم (٧٩٦)

٧٩٦- وعن أَبي جُرَيٍّ جابر بن سُلَيْم ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلاً يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، لا يَقُولُ شَيْئًا إلاَّ صَدَرُوا عَنْهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قالوا: رسولُ الله ﷺ. قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلامُ يَا رسول الله -مرّتين- قَالَ: ((لاَ تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلامُ، عَلَيْكَ السَّلامُ تَحِيَّةُ المَوْتَى[1]، قُلْ: السَّلامُ عَلَيْكَ)) قَالَ: قُلْتُ: أنْتَ رسول اللهِ؟ قَالَ: ((أنَا رسول الله الَّذِي إذَا أصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَه عَنْكَ، وَإذَا أصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أنْبَتَهَا لَكَ، وَإذَا كُنْتَ بِأرْضٍ قَفْرٍ أَوْ فَلاَةٍ فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ، فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ)) قَالَ: قُلْتُ: اعْهَدْ إلَيَّ. قَالَ: ((لاَ تَسُبَّنَّ أحَدًا)) قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلاَ عَبْدًا، وَلاَ بَعِيرًا، وَلاَ شَاةً، ((ولاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وأنْ تُكَلِّمَ أخَاكَ وَأنْتَ مُنْبَسِطٌ إلَيْهِ وَجْهُكَ، إنَّ ذَلِكَ مِنَ المَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إزَارَكَ إلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإنْ أبَيْتَ فَإلَى الكَعْبَيْنِ، وَإيَّاكَ وَإسْبَالَ الإزَارِ فَإنَّهَا مِنَ المَخِيلَةِ. وَإنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ المَخِيلَةَ؛ وَإن امْرُؤٌ شَتَمَكَ وعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلاَ تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2] بإسناد صحيح، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو جري الهجيمي: هو سليم بن جابر أو جري الهجيمي.

مشهور بكنيته.

سكن البصرة، وله صُحبة ورواية عن النبي ﷺ وقد روى له البخاري في الأدب، وأبو داود، والترمذي، والنسائي[3].

---

(١) لفظ أبي داود: (الميت).

(٢) أخرجه أبو داود ٤٠٨٤ واللفظ له، والترمذي ٢٧٢٢ ولم يذكر القصة. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٥٢٢، وقال الحاكم ١٨٦/٤: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٩٧. وسيكرره المؤلف مختصرًا برقم ٨٥٧.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٦٤، ٥٣٢، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ١١٧، الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٣/٧، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٢٧٤/٨، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٠٢/٤، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٨٧/١-٤٨٨.

غريب الألفاظ:

يصدر الناس عن رأيه: يقبلون قوله[١].

سَنَة: قحط وجدب[٢].

قفر: أرض خالية عن الماء والشجر[٣].

فلاة: الأرض الواسعة المقفرة[٤].

راحلتك: الراحلة من الإبل: البعير القوي على الأسفار والأحمال[٥].

اعهد إليَّ: أوصني بما أنتفع به[٦].

إزارك: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[٧].

إسبال الإزار: إرخاؤه وإرساله أسفل الكعبين[٨].

المخيلة: بمعنى الخيلاء والتكبر[٩].

وبال: العذاب في الآخرة[١٠].

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث قصصي قائم على الحوار، وفيه دلالة على فطنة الرسول ﷺ في التعامل مع الناس، وخطابهم على قدر عقولهم، وتبعاً لطبيعة كل واحد منهم تبدو من تأمل عبارات الحديث، فقول الرجل بداية (رَأَيْتُ رَجُلاً يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ) تنكير

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٥٣.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ن و).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (ق ف ر).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ل و).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ح ل).

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع هـ د).

(٧) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٥.

(٨) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٥٤، ومعجم الفقهاء ٣٦.

(٩) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ي ل).

(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ب ل).

كلمة رجل للتعظيم يدل على ذلك ما بعده، وقوله (يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ) استعارة حيث شبَّه الْمُنْصَرِفِينَ عَنْهُ ﷺ بَعْد تَوَجُّههمْ إِلَيْهِ لِسُؤَالِ مَعَادهمْ وَمَعَاشهمْ بِوَارِدَةٍ صَدَرُوا عَنْ الْمَنْهَل بَعْد الرِّيّ أَيْ يَنْصَرِفُونَ عَمَّا يَرَاهُ وَيَسْتَصْوِبُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ، وفيها دلالة أن الرسول يحقق لكل سائل مطلبه كما يتحقق لكل من ورد المنهل ما يريد.

وقوله (لا يَقُولُ شَيْئًا إِلاَّ صَدَرُوا عَنْهُ) توكيد للجملة السابقة عن طريق أسلوب القصر الذي يقرر الطاعة المطلقة من الصحابة له ﷺ، وتنكيره لكلمة (شيئاً) يفيد التعميم، وقوله (عَلَيْكَ السَّلامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ) التكرار يدل على أن الرسول ﷺ لم يجبه في المرة الأولى؛ لأنه سلمً على عادتهم في الجاهلية يقولون عليك السلام، والتقديم يقتضي الاختصاص أي: عليك وحدك السلام لا يتجاوزك إلى غيرك، والإسلام يسعى إلى تعميم الخير، ودعاء الإنسان له، ولغيره أحرى أن يستجاب؛ ولذلك جاء نهي الرسول ﷺ إرشادا وتوجيهاً، مرتبطاً بفاء التعليل المؤذنة بالإقناع العقلي باجتناب ما نهى عنه، متبوعة بالتعبير الصواب في قوله: (لا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلامُ فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ قُلْ السَّلامُ عَلَيْكَ)، وقول الرسول ﷺ (قل السلام عليك) بتقديم السلام لا يفيد قصره عليه وحده، كما أنه فِي الدُّعَاء بِالْخَيْرِ يُقَدَّم اِسْم الدُّعَاء الْمَحْبُوب الْمَطْلُوب الَّذِي تَشْتَهِيه النُّفُوس فَيَبْدَأ الْقَلْب وَالسَّمْع ذِكْر اِسْم الْمَحْبُوب الْمَطْلُوب ثُمَّ يَتْبَعهُ بِذِكْرِ الْمَدْعُوّ لَهُ. وَأَمَّا فِي الدُّعَاء عَلَيْهِ فَفِي تَقْدِيم الْمَدْعُوّ عَلَيْهِ إِيذَان بِاخْتِصَاصِهِ بِذَلِكَ الدُّعَاء كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: هَذَا لَك وَحْدك، لا يُشْرِكك فِيهِ الدَّاعِي وَلا غَيْره، بِخِلافِ الدُّعَاء بِالْخَيْرِ. فَإِنَّ الْمَطْلُوب عُمُومه. وَكُلَّمَا عَمَّمَ بِهِ الدَّاعِي كَانَ أَفْضَل. فَلَمَّا كَانَ التَّقْدِيم مُؤْذِنًا بِالاخْتِصَاصِ تُرِك، وتلك طريقة القرآن في الدعاء بالخير يعمم كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ رَحْمَة اللَّه وَبَرَكَاته عَلَيْكُمْ أَهْل الْبَيْت﴾: وَقَوْله (وَسَلام عَلَيْهِ يَوْم وُلِدَ وَيَوْم يَمُوت): وَقَوْله: (سَلام عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ): وفي الدعاء بالشر يخص الظالمين ؛فَيُقَدِّم الْمَدْعُوّ عَلَيْهِ عَلَى الدُّعَاء غَالِبًا، كَقَوْلِهِ لإِبْلِيس ﴿ وَأَنَّ عَلَيْك لَعْنَتِي﴾: وَقَوْله ﴿ وَإِنَّ عَلَيْك اللَّعْنَة﴾: وَقَوْله ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَة السَّوْء﴾: وَقَوْله ﴿ وَعَلَيْهِمْ غَضَب وَلَهُمْ عَذَاب شَدِيد﴾.

وإجابة الرسول ﷺ عن الاستفهام التقريري للرجل بقوله (أَنَا رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَهَا لَكَ وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ أَوْ فَلَاةٍ فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْك) وكان من الممكن أن يكتفي بقوله أنا رسول الله، ولكنه ذكر بعدها ما يجول بنفس الرجل من مخاوف فبددها، وعمد إلى رغباته فحققها، تألفاً له على الإسلام، فما كان منه إلا أن قال (اعهد إلى: قال قَالَ لا تَسُبَّنَّ أَحَدًا) أكد الفعل المنهي عنه بنون التوكيد، ونكّر المفعول للتعميم، وقول الرجل (فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا وَلا عَبْدًا وَلا بَعِيرًا وَلا شَاةً) كناية عن شدة التزامه لأمر الرسول ﷺ، وفيها تدرج من الأعلى إلى الأدنى حيث ذكر الحر فالعبد فالبعير فالشاة.

وقوله: (وَلا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنْ الْمَعْرُوفِ) نهى عن الاستهانة بالمعروف مهما قل، وتنكير (شيئاً) للتعميم، ولذلك أكده بقوله (وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ) والضمير أنت للاختصاص، والتعبير باسم الفاعل منبسط دون الفعل تنبسط للدلالة على لزوم ذلك، وثباته، وقوله (إِنَّ ذَلِكَ مِنْ الْمَعْرُوفِ) توكيد للجملة السابقة، والإشارة فيه للتعظيم وقوله: (وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ) أمر توجيه، وإرشاد، وفيه تدرج رعاية لقدرة المخاطب.

وقوله (وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ) نهي مؤكد للأمر السابق عن طريق أسلوب التحذير، وقد علل هذا النهي بقوله) فَإِنَّهَا مِنْ الْمَخِيلَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ) وقوله (وَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ) استخدام (إن) كأداة شرط إشارة إلى ندرة حدوثه وهو من حسن الظن بالمسلمين، وقد علل النهي الذي ورد في سياق الشرط بجملة القصر (فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ) لتخصيص الهلاك به.

فقه الحديث

الأكمل في السلام: الأكمل أن يقول: السلام عليكم، بتأخير الجار والمجرور، فلو قال عليكم السلام أو عليك السلام، كان مخالفًا للأكمل. لما روى جابر بن سليم رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ فقلت: عليك السلام يا رسول الله قال: "لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى. ولكن قل: السلام عليك".

قال القرطبي: (لما جرت عادة العرب بتقديم اسم المدعو عليه في الشر كقولهم "عليه لعنة الله وغضب الله" نهاه عن ذلك. لا أن ذالك هو اللفظ المشروع في حق الموتى. لأنه عليه السلام ثبت عنه أنه سلّم على الموتى، كما سلّم على الأحياء، فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لا حقون))[1])[2]. كما قال الغزالي: وعلى كل حال فيجب رد السلام[3].

وقال أبو عبدالله القرطبي: (وقد يحتمل أن حديث عائشة وغيره في السلام على أهل القبور جميعهم إذا دخلها وأشرف عليها، وحديث جابر بن سليم خاصٌ بالسلام على المزور المقصود بالزيارة والله أعلم)[4].

أمّا رد السلام بالإشارة في الصلاة، فقد ذكر الصنعاني أن العلماء اختلفوا في ذلك، فذهب جماعة إلى أنّه يردبعد السلام من الصلاة. وقال قوم: يردّ في نفسه وقال قوم: يرد بالإشارة. كما أفاده حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (قلت لبلال: كيف رأيت النبي يرد عليهم حين يسلمون عليه، وهو يصلّي؟ قال: يقول هكذا، وبسطه كفه)[5]. قال الصنعاني: (هذا هو أقرب الأقوال للدليل وما عداه لم يأت به دليل)[6].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من واجبات الداعية: تصحيح أخطاء المدعو.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعويين.

---

(١) أخرجه مسلم ٩٧٤.

(٢) تفسير القرطبي ٦/٤٩٤-٤٩٥. وقد نقله عن أبي العباس القرطبي صاحب المفهم ٥/٤٨٥-٤٨٦.

(٣) انظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٨١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/١٥٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦/٤٩٥.

(٥) أخرجه أبو داود ٩٢٧، والترمذي ٣٦٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٨٢٠).

(٦) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص ١٦١.

خامسًا: من فقه الداعية: مخاطبة المدعوين بما يفهمون.

سادسًا: من آداب المدعو: سؤال أهل الإيمان والفضل عما ينبغي عليه فعله.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: البعد عن السباب، وعدم احتقار المعروف والبشاشة مع الناس.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الإسبال.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أفاد الإخبار كأسلوب دعوي في الحديث بيان حال الصحابة ﷺ في اتباعهم وامتثالهم لأمر النبي ﷺ، وذلك من قول الراوي "رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه، لا يقول شيئًا إلا صدروا عنه؛ (أي يأخذون منه كل ما حكم به ويقبلون حكمه)"[1]، وأفاد الإخبار عن باقي توجيهات النبي ﷺ للراوي من عدم قول عليك السلام، وبيان قدرة الله عز وجل على كشف الضر وإجابة الدعوة، وكذلك التوجيه بعدم سب أحد من الناس، وعدم استقلال أو احتقار شيء من المعروف وإن كان قليلاً، ولقاء لناس بوجه منبسط بشوس، والتوجيه بعدم إسبال الثوب، وعدم رد الشتم والتعيير وإن تعرض له، وأن ذلك سوف يكون له عذابه في الآخرة فدعه لمن يفعله،

إن الإخبار من الأساليب التي تعين الداعية على تبليغ دعوة ربه وسنة نبيه ﷺ، وقد رغب الحق تبارك وتعالى في الدعوة وإخبار المدعوين بها، فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

(إن السؤال والجواب من الأساليب الدعوية التي يتحقق بها البيان العام لدى السائل عما خفي عنه، فضلاً عن وضع المدعوين في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة الإجابة، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك)[3]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من قول الراوي: "قلت: من هذا؟ قالوا: رسول الله ﷺ".

---

(١) عون المعبود، محمد أشرف الحق بن عبدالعظيم الأمير آبادي ص ١٧٥٣.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٣) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة، ٢/٥٨-٥٩.

وقول رسول الله ﷺ: "قلت: أنت رسول الله؟ قال: ... نعم"، فأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تحقق المشاركة الفعالة في الحوار بين الداعية والمدعوين، فينبغي على الداعية تفعيله بسؤال المدعوين، وتشجيعهم على سؤاله، وإجابته على أسئلتهم.

ثالثًا - من واجبات الداعية: تصحيح أخطاء المدعو:

إن من المهام الجليلة التي تناط بالداعية إلى الله تعالى، تصحيح أخطاء المدعو، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من قول النبي ﷺ: "لا تقل عليك السلام -عليك السلام تحية الموتى- قل: السلام عليكم" وقد بين الخطابي: (أن هذا يوهم أن السنة في تحية الميت أن يقال له عليك السلام كما يفعله كثير من العامة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه دخل المقبرة، فقال: "السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين... إلخ"[1]، فقدم الدعاء على اسم المدعو له، كما هو في تحية الأحياء، وإنما قال ذلك القول إشارة إلى ما جرت به العادة منهم في تحية الأموات، إذ كانوا يقدمون اسم الميت على الدعاء، وهو مذكور في أشعارهم، كقول الشاعر:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

وكقول الشَّماخ:

عليك سلام من أديم، وباركت يدُ الله في ذاك الأديم الممزَّق

فالسنة لا تختلف في تحية الأحياء والأموات، بدليل حديث أبي هريرة ﷺ الذي ذكرناه، والله أعلم)[2].

(فعلى الداعية أن يصحح ما كان من أخطاء للمدعو، مع أهمية مراعاة لين الجانب والترفّع عن الغلظة، وأن ينظر إلى المدعو في ذلك بروح الناصح الشفيق، وبعطف الأب المخلص الرحيم، وبناء على ذلك يستطيع الداعية أن يملك على الناس قلوبهم، ويستحوذ

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٢٣٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٧٧٣).

(٢) معالم السنن ٦/٤٨-٥٠.

على نفوسهم ومشاعرهم، بل يكون له في المجتمع أثر، وفي مجال الإصلاح تغيير، وفي سيرة الدعاة قدوة)[١].

رابعًا - من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن بيان الحقائق وإظهارها يعد وبحق من أقرب السبل لتحقيق الغاية في الدعوة إلى الله، فهو السبيل الأمثل إلى قناعة العقول، ورضا النفوس، بما ينعكس على استجابة المدعو وقبوله للدعوة.

وهذا ما ورد في الحديث من بيان النبي ﷺ لقدرة الله وعظمته ورحمته وذلك في قوله ﷺ "أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وإذا أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفر أو فلاة فضلت راحلتك، فدعوته ردها عليك".

قال صاحب عون المعبود: (في قوله ﷺ "الذي إذا أصابك ... إلخ": صفة لله عز وجل "فدعوته": بصيغة الخطاب "كشفه عنك": أي دفعه عنك "عام سنة": أي قحط وجدب "أنبتها لك": أي صيرها ذات نبات أي بدلها خصبًا "بأرض قفر": بفتح القاف وسكون الفاء أي خالية عن الماء والشجر "أو فلاة" أي مفازة "فضلت راحلتك" أي ضاعت وغابت عنك "اعهد إلي" أي أوصني بما أنتفع به)[٢].

وفي أهمية بيان الحقائق للمدعوين قال د. البوطي: (يجب النظر في حال من ندعوه إلى الله تعالى ونبصره بحقائق الإسلام، وما استيقنه عقله من مبادئه الاعتقادية. فنبدأ معه من حيث وصل إليه وصولاً صحيحًا سليمًا. فإن لم يكن قد تجمع في يقينه العقلي أي شيء من حقائق الإسلام بعد، فلابد من الرجوع معه إلى النقطة الأساسية الأولى، ألا وهي وجود الله عز وجل، وعرض البراهين والأدلة العلمية على ذلك. ومن الخطأ الفادح أن تنزل بمثل هذا الإنسان إلى أي حقيقة أخرى تقف دون مسألة الإيمان بوجود الله،

---

(١) انظر: مواقف الداعية التعبيرية، عبدالله ناصح علوان، ١٩، ٢٠.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم ابادي ١٧٥٤.

فتحدثه عنها أو تناقشه فيها، أو أن تنقاد له إذا أراد أن يصرفك عن هذه المسألة الأساسية، إلى الخوض في أي المسائل الاعتقادية الأخرى المتفرعة عنها. بل إن عليك أن تعلم بأنك في انحرافك إلى هذه الخطيئة تبذل جهدًا ضائعًا لن تعود منه بأي جدوى، بل إن عليك أن تعلم بأن الرجل منطقي مع نفسه في ألا يصغي إلى شيء من براهينك التي تعرضها لتلك المسائل، التي تأتي في الترتيب المنهجي بعد مسألة اليقين بوجود الله عز وجل، وبألا يصدق بواحدة منها. وهو إن شغلك بهذه المسائل، مع جحوده بالله عز وجل، لا يفعل ذلك إلا صرفًا لك عن الأساس الأول، الذي يكمن فيه حل المعضلات كلها.

فإذا انتهيت معه إلى اليقين بوجود الله عز وجل. فقد آن لك عندئذ أن تنتقل معه إلى الحديث عن صفات الله عز وجل وما يليق به وما لا يليق.. فإذا انتهى معك إلى يقين بذلك، فقد آن أن تشرح له دلائل النبوات وبراهين نبوة الأنبياء جميعًا، ونبوة محمد ﷺ خاتم الرسل والأنبياء، وأن تحدثه بعد ذلك عن القرآن ودلائل كونه كلام رب العالمين، وعن مظاهر الإعجاز فيه، ثم عن معنى الدين الذي أنزله الله على الأنبياء جميعًا وكيف أنه دين واحد، بل لا يمكن إلا أن يكون دينًا واحدًا، اتّحدت فيه العقيدة التي هي الأساس، وتطورت التشريعات التي هي الفروع.

واعلم أنه ما يكابر إنسان في جحود شيء من هذه الحقائق التي مغرسها اليقين العقلي، ويكون صادقًا مع نفسه في جحوده بها، إلا لأنه لم يفرغ بعد من فهم ما هو أصل لها. فعليك أن تجعل من الرجوع به إلى تلك الأصول، دليلاً يهديه إلى اليقين بهذا الذي يمعن في جحوده وإنكاره[1].

خامسًا - من فقه الداعية: مخاطبة المدعوين بما يفهمون:

إن من فقه الداعية أن يحدث جليسه بما يتناسب مع عقليته وثقافته، وبما يتفق مع عمره وفهمه، ومن أجل ذلك أمر نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام كل من يتصدى للتعليم والدعوة والإرشاد أن يحدِّث الناس بما يعرفون ويفهمون، حتى لا يُكذب الله

---

(١) هكذا فلندع إلى الإسلام، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٥٨-٦٠.

ورسوله، فقد روى البخاري في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ((حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ))[1] وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (ما أنت بمحدث قومًا حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة)[2].

وقال الشافعي: (لو أن محمد بن الحسن كان يكلمنا على قدر عقله ما فهمنا عنه، ولكنه كان يكلمنا على قدر عقولنا فنفهمه)[3].

وقد كان النبي ﷺ القدوة والأسوة في ذلك، وهذا ما ورد في نص الحديث من حديثه ﷺ بما يتفق وفهم الراوي وذلك من قوله ﷺ "أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك... إلخ" فقد أخذ رسول الله ﷺ في ذكر الأمثلة والنماذج من واقع البيئة التي يعيشها الرجل، وذكّره بالأمور ذات الاهتمام الكبير في حياته ومعايشته اليومية. وفي بيان أهمية المخاطبة على قدر الفهم قال: عبدالله ناصح علوان: (وكم يعيب الداعية أن يحدث قومًا عن الذرّة وأسرارها، والكواكب وأبراجها، والأرض ودورانها، والعلوم ومعارفها، والقوم الذين يجالسهم لا يقرؤون ولا يكتبون، وفي غمرات الجهالة سادرون!

وكم يكون الداعية فاشلاً حين يكون في بيئة لا تؤمن بدروان الأرض ولا بحركتها، بل تعتبر من يقول هذا كافرًا خارجًا عن ملة الإسلام! كم يكون فاشلاً حين يسفّه رأي أهلها، ويرميهم بالجهل المطبق، والضلال المبين!

من أجل هذا أمر نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه الدعاة والعلماء والمرشدين في كل زمان ومكان، أن يحدثوا الناس بما تحمله عقولهم، حتى لا يقعوا في الفتنة.

وكم يكون الداعية غير موفق حين يجلس مع قوم من الملاحدة الماديين، ويحدثهم عن الروح، وسؤال الملكين، والبعث، والحساب، والجنة والنار. وهم لا يؤمنون أصلاً إلا بما تراه حواسّهم، ولا يعتقدون إلا ما كان خاضعًا للتجربة والحس، وداخلاً في

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٧.

(٢) أخرجه مسلم ٥، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٦٥/٢.

نطاق المشاهدة والواقع، فمن الطبيعي أن يهزؤوا منه، ويستهتروا به، ويتولوا عنه.

وكم يكون الداعية غير مسدَّد حين يجلس مع طبقة من المثقفين الذين لم يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم! وذهب يحدثهم عن كرامات الأولياء، وعن وظائف الملائكة، وعن أخبار الجن. وهم ليسوا من الوعي الناضج، والإيمان المكين، والثقافة الإسلامية الشاملة. حتى يُسلّموا بها، ويصدّقوا أخبار الوحي فيها)[1].

ومن أجل هذا أمر النبي ﷺ بمخاطبة الناس على قدر فهمهم ومعرفتهم، فعلى الداعية الموفق أن يأخذ بالمبدأ الذي رسمه رسول الله ﷺ في ذلك.

سادسًا - من آداب المدعو: سؤال أهل الإيمان والفضل عما ينبغي عليه فعله:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قول الراوي "قلت: اعهد إليَّ قال... إلخ" وهذا ما أمر الله تعالى به عباده فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾[2] قال السعدي في هذه الآية الكريمة: (...إنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم، إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه)[3]. وفي ذلك بيان على سؤال أهل الإيمان والفضل عما ينبغي على المرء فعله.

سابعًا - من موضوعات الدعوة: البعد عن السباب، وعدم احتقار المعروف والبشاشة مع الناس:

(لقد جاء الإسلام لينتقل بالبشر خطوات فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب، وأنه اعتبر المراحل المؤدية إلى هذا الهدف النبيل من صميم رسالته...، وقد أحصى الإسلام الفضائل، وحث أتباعه على التمسك بها، ولو جمعنا أقوال صاحب

---

(١) كيف يدعو الداعية ٤٠-٤١.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

الرسالة في التحلي بالأخلاق الزاكية، لخرجنا بسِفر لا يعرف مثله، لعظيم من أئمة الإصلاح)[١].

وكان من ذلك ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ "لا تسب أحدًا" وقوله "ولا تحقرن من المعروف شيئًا وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف".

(وفي ذلك بيان على أن الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة، وبذل صاحبها جهدًا كبيرًا في مد شعاعها وجمع الناس حولها، كانت تنشد كمال الأخلاق، وإنارة آفاق الكمال)[٢].

وخير دليل على ذلك ما ورد في الحديث من الترفع عن السباب، وذلك بقوله ﷺ "لا تسب أحدًا"، (وما ذلك إلا لشرف النفس وعلو الهمة)[٣]، وقد رهب النبي ﷺ من السباب قائلاً: ((سِبابُ المُسْلمِ فُسوقٌ وَقِتالُه كُفْر))[٤] (والسب في اللغة الشتم والتكلم في عرض الإنسان بما يعيبه، والفسق في اللغة الخروج، والمراد به في الشرع الخروج عن الطاعة)[٥].

وقد كان من مكارم الأخلاق وعظيم الآداب التي وردت في نص الحديث، هي عدم احتقار المعروف، وقد حث النبي ﷺ على ذلك فقال: ((لا تَحقِرَنَّ جارةٌ لجارتها ولو فِرْسَنَ شاةٍ))[٦] أي: (لا تحقر أن تهدي إلى جارتها شيئًا ولو أنها تهدي لها ما لا ينتفع به في الغالب)[٧].

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي، ١٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٧.

(٣) سوء الخلق، محمد إبراهيم الحمد، ١٠٦.

(٤) أخرجه البخاري ٤٨، ومسلم ٦٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٨.

(٦) أخرجه البخاري ٦٠١٧.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٥٩.

وقد كان من الآداب ومحاسن الأخلاق الواردة في الحديث، البشاشة مع الناس (والبشاشة إدام العلماء وسجية الحكماء، لأن البشر يطفئ نار المعاندة، ويحرق هيجان المباغضة، وفيه تحصين من الباغي، ومنجاة من الساعي، ومن بشَّ للناس وجهًا لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك)[1]، ولله درّ القائل:

(أخو البشر محبوب على حسن بشره ولن يَعدم البغضاء من كان عابسًا
ويسرع بُخلُ المرء في هتك عرضه ولم أر مثل الجود للمرء حارسًا

وأيضًا قول:

إلقَ بالبشر من لقيت من الناس جميعًا ولا قِهِمْ بالطلاقَهْ
تجنِ منهُم جَنَى ثمار، فخذها طيبًا طَعمُه لذيذَ المذاقَهْ)[2]

ثامنًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من الإسبال:

يؤكد الحديث ما أفادته أحاديث الباب من النهي عن إسبال الإزار وما في ذلك من المخيلة، وهذا ما ظهر جليًا من قوله ﷺ "وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة" والمسبل كما بينه النووي هو: (المرخي له الجار طرفه خيلاء)[3]. وقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال: ((لا يَنظر الله يومَ القيامةِ إلى من جَرَّ إزارَه بطرًا))[4] وقال: ((مَن جرَّ ثوبَه خُيلاء لم ينظرِ الله إليه يومَ القيامة. فقال أبو بكر: يا رسول الله! إن إزاري يسترخي، إلاَّ أن أتعاهدَه. فقال له رسول الله: إنَّكَ لستَ مِمَّنْ يفعلُه خُيلاء))[5]، قال القاري: (المعنى أن استرخاءه من غير قصد لا يضر، لاسيما ممن لا يكون من شيمته الخيلاء، ولكن الأفضل هو المتابعة، وبه يظهر أن سبب الحرمة في جر الإزار هو الخيلاء كما هو مفيد

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، أبي حاتم البستي، ٧٥.
(٢) المرجع السابق.
(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١.
(٤) أخرجه البخاري ٥٧٨٣.
(٥) أخرجه البخاري ٣٦٦٥، ومسلم ٢٠٨٥.

في الشرطية من الحديث...، وقال ابن عبد البر: مفهومه أن الجار لغير الخيلاء لا يلحقه الوعيد إلا أنه مذموم...)[1].

وفي ذلك بيان على خطورة الإسبال المرادبه المخيلة والكبر، لما فيه من شدة الوعيد والعذاب من الله تعالى.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٥٤.

الحديث رقم (٧٩٧)

٧٩٧-وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: بينما رَجُلٌ يُصَلِّي مسبلٌ إزَارَهُ، قَالَ لَهُ رسول الله ﷺ : ((اذْهَبْ فَتَوَضَّأ)) فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: ((اذْهَبْ فَتَوَضَّأ)) فَقَالَ لَهُ رجُلٌ: يَا رسولَ اللهِ، مَا لَكَ أمَرْتَهُ أنْ يَتَوَضَّأَ ثُمَّ سَكَتَّ عَنْهُ قَالَ: ((إنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ مُسْبِلٌ إزَارَهُ، وَإنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ صَلاَةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح عَلَى شرط مسلم.

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مسبل إزاره: إسبال الإزار إرخاؤه وإرساله إلى أسفل من الكعبين[2] .

الشرح الأدبي

بداية الحديث خبرية فيها شيء من المفاجأة التي تشي بها (بينما.... إذ) وتنكير كلمة (رجل) للإفراد ، وجملة (يصلي) صفة للرجل، (ومسبلاً إزاره) حال مبينة لهيئة صاحبها ، وكاشفة عن موضع الخطأ ، وقول الرسول ﷺ (اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ) أمر قصد به اللفت، والتنبيه على الخطأ ؛وذلك لأن الصلاة حال تواضع، وإسبال الإزار فعل متكبر فتعارضا ، والفاء الداخلة على الفعل الماضي (فذهب) توحي بسرعة استجابته لرسول الله ﷺ ، وأنه لم يفهم مقصده من الأمر فكرر له الأمر (اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ) وتتابع الفاءات بين جمل الحديث دليل على عدم انتظار الرسول ﷺ وعدم تأخر الرجل في الإجابة ، وقول السائل الثاني (فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا رَسُولَ

---

(١) برقم ٤٠٨٦ بهذا اللفظ، وكذا برقم ٦٣٨ بدون قوله: (ثمَّ سكت عنه).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم ابادي ١٧٥٤ ، ومعجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٦.

اللهِ مَا لَكَ أَمَرْتَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ ثُمَّ سَكَتَّ عَنْهُ) استفهام تعجب لعدم علمه بسبب تكرار الأمر، فجاءت إجابة الرسول ﷺ لتكشف السر (إِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ مُسْبِلٌ إِزَارَهُ) وقد أكد الجملة بأكثر من مؤكد منها (أن)، واسمية الجملة وصياغة جملة خبر (أن) في الماضي الدال على التحقق، والضمير المنفصل (هو)، وقد صعَّد توكيدها بجملة (وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لا يَقْبَلُ صَلاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ إِزَارَهُ) ترهيباً من هذا الفعل، وبياناً لخطره.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ.

رابعًا: من آداب المدعو: الاستفسار عما التبس عليه.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من إسبال الإزار في الصلاة.

أولاً - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

لقد كان النبي ﷺ القدوة والأسوة الحسنة في تفقد أحوال المدعوين والتعرف على أحوالهم، كي يرشدهم إلى فعل ما يجب عليهم بما يحقق لهم صلاح الدنيا والآخرة، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من تفقد النبي ﷺ لمن أسبل إزاره، وتوجيهه إلى ما يجب عليه، وذلك في قوله ﷺ "اذْهَبْ فتوضأْ" وقد بين ابن القيم: وجه الحديث في قوله: "والله أعلم - إن إسبال الإزار معصية. وكل من واقع معصية فإنه يؤمر بالوضوء والصلاة. فإن الوضوء يطفئ حريق المعصية"[1].

وفي ذلك بيان على تفقد النبي ﷺ لأحوال المدعوين، مع بيانه ﷺ لما يجب عليهم من أمور، وقد أمر الحق تبارك وتعالى باتباع النبي ﷺ والاقتداء به، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[2]،

---

(١) تهذيب سنن أبي داود ٦/ ٥٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١ .

فعلى الدعاة أن يمتثلوا أمره، ويقتدوا نهجه، في تفقد أحوال المدعوين، وإرشادهم إلى ما يجب عليهم، وليس أدل على ذلك من قول عبدالله بن عمر: «إنَّ عُمَرَ بنَ الخطابِ ﷺ بَيْنَمَا هو يَخْطُبُ الناسَ يومَ الجُمُعَةِ دَخَلَ رَجُلٌ من أصحابِ رسولَ الله ﷺ، فَنَادَاهُ عُمَرُ: أَيَّةُ ساعةٍ هَذِهِ، فقالَ: إنِّي شُغِلْتُ اليومَ فَلَمْ أَنْقَلِبْ إلى أَهْلِي حَتَّى سمعتُ النداءَ، فَلَمْ أَزِدْ عَلَى أَنْ توضأتُ، فقالَ عُمَرُ ﷺ: والوُضُوْءَ أيضًا، وقد عَلِمْتَ أَنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَأْمُرُ بالغُسْلِ»[1]. قال النووي: "وفي الحديث تفقد الإمام رعيته، وأمرهم بمصالح دينهم، والإنكار على مخالف السنة، وإن كان كبير القدر"[2].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

قد ورد الأمر كأسلوب دعوي في الحديث من قوله ﷺ«اذْهَبْ فتوضأْ»، والأمر من الأساليب الدعوية، التي تعين الداعية على حمل المدعو، وتوجيهه إلى فعل الأمر المدعو إليه لما فيه من خير له في الدنيا والآخرة.

ثالثًا - من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ:

"إن الاستجابة لأوامر النبي ﷺ، من أعظم مسلمات الشريعة والأمور المعلومة منها بالضرورة، وقد استفاضت نصوص الشريعة الإسلامية في بيان ذلك والتأكيد عليه"[3]، فقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[5]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[6] قال ابن

---

(١) أخرجه البخاري ٨٧٨، ومسلم ٢٤٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٥٦.

(٣) انظر: اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل على البعداني، ضمن كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ٩٣.

(٤) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٦) سورة الحشر، آية: ٧.

كثير: "أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه يأمر بخير وإنما ينهي عن شر"[١].

وما كان مخالفاً لذلك فهو مردود باطل غير معتد به، لقوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[٢]. "وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات"[٣].

وقد عظّمت الشريعة الإسلامية فضل الاستجابة لأمر النبي ﷺ في جعله سبباً لمحبة الله تعالى، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤]، قال ابن كثير: "هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس على نهج النبي ﷺ فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع الحنيف وهدي النبي ﷺ في جميع أقواله وأفعاله وأحواله"[٥]، وقال ابن تيمية: "فجعل تعالى محبة العبد لربه موجبة لاتباع الرسول، وجعل متابعة الرسول سبباً لمحبة الله عبده"[٦].

وقد بين ابن القيم ذلك في قوله: "إن أصل العبادة محبة الله، بل إفراده بالمحبة، وان يكون الحب كله لله. فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه، كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه، فمحبتنا لهم من تمام محبته، وليست محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحبّه. وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها؛ فهي إنما تتحقق باتباع أمره، واجتناب نهيه. فعند اتباع الأمر واجتناب النهي

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٦٧/٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٧١٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٠٥.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١ .

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٢/٢

(٦) الفتاوى ٨/١.

تتبين حقيقة العبودية والمحبة.

ولهذا جعل تعالى اتباع رسوله علمًا عليها، وشاهدًا لمن ادعاها، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(١)، فجعل اتباع رسوله مشروطًا بمحبتهم لله، وشرطًا لمحبة الله لهم. ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه وتحققه بتحققه، فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة. فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله، وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم. فيستحيل إذًا ثبوت محبتهم لله، وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله"(٢).

فعلى المدعو أن يمتثل لأمر النبي ﷺ في كل ما يأمر به أو ينهى عنه، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من امتثال الرجل لأمر النبي ﷺ في قوله «اذْهَبْ فتوضأْ» قال أبو هريرة رضي الله عنه «فذَهَب فتوضأْ».

رابعًا – من آداب المدعو: الاستفسار عما التبس عليه:

إن مما يجعل المرء على بصيرة من دينه وبينة من أمر ربه، هو سؤاله لأهل العلم عما خفى عنه، والتبس عليه من أمور، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٣)، قال السعدي: أي: "إن الله أمر من لا يعلم، بالرجوع إلى أهل العلم، في جميع الحوادث"(٤).

وهذا ما أشار إليه نص الحديث من قول الراوي: فقال له رجل: يارسول الله، مالك أمرته أن يتوضأ ثم سكت عنه؟.

وقد كان صحابة رسول الله ﷺ أكثر الناس حرصًا على سؤال النبي ﷺ،

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٠٣/١.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣٩٤.

رغبة منهم في الحصول على الخير وتحصيل العلم، فضلاً عن كشف ما خفي والتبس عليهم من أمور، وأمثلة ذلك في السنة النبوية كثيرة، منها ما رواه المقداد بن عمرو ﷺ أنه قال: ((يارسولَ الله إنْ لقيتُ كافرًا فاقتَتَلْنا فضرَب يدي بالسيف فقطعَها ثم لاذَ بشجرةٍ وقال: أسلمتُ لله، آقتلهُ بعدَ أن قالها؟ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: لا تقتُله. قال: يارسولَ الله فإنه طرَحَ إحدَى يديَّ ثم قال ذلك بعدَ ما قطعها آقتلهُ؟ قال: لا تقتله فإن قتلْتَه، فإنه بمنزلتك قبلَ أن تقتله، وأنتَ بمنزلتهِ قبلَ أن يقولَ كلمتَهُ التي قال))[1]. وفي مقابل ذلك نجد النبي ﷺ قد رهب من كتم العلم وعدم إيضاحه فقال: «مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ الله بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2].

قال الخطابي: "الممسك عن الكلام مُمَثَّل بمن ألجم نفسه. كما يقال: التقىُّ ملجم. وكقول الناس: كلِّم فلانًا فاحتج عليه بحجة ألجمته، أي أسكتته.

والمعنى: أن الملجم لسانه عن قول الحق والإخبار عن العلم والإظهار له: يعاقب في الآخرة بلجام من نار. وخرج هذا على معنى مشاكلة العقوبة بالذنب، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[3].

قال: وهذا في العلم الذي يلزمه تعليمه إياه. ويتعين عليه فرضه. كمن رأى كافرًا يريد الإسلام يقول: علموني ما الإسلام، وما الدين؟ وكمن يرى رجلاً حديث العهد بالإسلام لا يُحسن الصلاة، وقد حضر وقتها، يقول: علموني كيف أصلي؟ وكمن جاء مستفتيًا في حلال أو حرام يقول: أفتوني، وأرشدوني. فإنه يلزم في مثل هذه الأمور أن لا يمنعوا الجواب عما سألوا عنه من العلم، فمن فعل ذلك كان آثمًا مستحقًا الوعيد والعقوبة، وليس كذلك الأمر في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس إلى معرفتها"[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٦٥.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٦٥٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبو داود ٣١٠٦).

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

(٤) معالم السنن ٥٥/٢٥١، ٢٥٢.

وما يؤكد ذلك ويبينه، قول أبي هريرة ﷺ: ((حَفِظْتُ عن رسولِ اللّهِ ﷺ وِعاءَينِ: فأمّا أحدُهما فبَثَثْتُه، وأمّا الآخَرُ فلو بَثَثْتُه قُطِعَ هذا البُلْعوم))[1]. قال الذهبي: "هذا دال على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تحرك فتنة في الأصول، أو الفروع، أو المدح والذم، أما حديث يتعلق بحل أو حرام، فلا يحل كتمانه بوجه، فإنه من البينات والهدى"[2].

وقال شعيب الأرنؤوط: "وقد حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم. وقد كان أبو هريرة ﷺ يكني عن بعضه، ولا يصرح به خوفًا على نفسه منهم...، وقال ابن المنير: جعل بعضهم هذا الحديث ذريعة إلى تصحيح باطلهم، حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهرًا وباطنًا، وذلك الباطل، إنما حاصله الانحلال من الدين، وإنما أراد أبو هريرة ﷺ بقوله: قطع، أي: قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم، وتضليله لسعيهم، ويؤيد ذلك أن الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها"[3].

وفي ذلك بيان على أهمية السؤال والاستفسار عما خفي، فضلاً عن أهمية إجابة السائل عن سؤاله من قبل العلماء.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من إسبال الإزار في الصلاة:

يؤكد الحديث على ما مضى من النهي عن إسبال الإزار، وأنه يعتبر خطيئة يؤاخذ عليها المسلم، وفي أمر المسبل بالوضوء إشعارًا له بارتكابه معصية، وقد استقر في نفوس المؤمنين أن الوضوء يكفر الخطايا ويزيل أسبابها كالغضب ونحوه، وقال الطيبي: "لعل السر في أمره بالتوضي - وهو طاهر- أن يتفكر الرجل في سبب ذلك الأمر، فيقف على ما ارتكبه من شنعاء، وأن الله تعالى ببركة أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام بطهارة الظاهر يطهر باطنه من التكبر والخيلاء؛ لأن طهارة الظاهر

(١) أخرجه البخاري ١٢٠.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٥٩٧/٢.

(٣) تعليق شعيب الأرنؤوط على سير أعلام النبلاء، ٥٩٧/٢.

مؤثرة في طهارة الباطن؛ فعلى هذا ينبغي أن يعبر كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام عن أن الله لا يقبل صلاة المتكبر المختال، فتأمل في طريق هذا التشبيه، ولطف هذا الإرشاد"[1].

وقال ابن الأعرابي: "إن المسبل الذي يطول ثوبه، ويرسله إلى الأرض، يفعل ذلك تبخترًا واختيالاً، وقال المظهر: في قوله ﷺ: "وإن الله لا يقبل صلاة رجل مسبل" أى إن الله تعالى لا يقبل كمال صلاة رجل يطول ذيله"[2].

وفي ذلك بيان على الترهيب من إسبال الإزار في الصلاة، وما يؤكد ذلك قوله ﷺ: ((مَنْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ فِي صَلاَتِهِ خُيَلاءَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي حِلٍّ، وَلاَ حَرَامٍ))[3]، وفي ذلك قال صاحب عون المعبود: "إن الإسبال تطويل الثوب وإرساله إلى الأرض إذا مشى كبرًا...، وفي قوله ﷺ: "فليس من الله في حل ولا حرم"، أى في أن يجعله في حل من الذنوب، وهو أن يغفر له، ولا في أن يمنعه ويحفظه من سوء الأعمال، أو في أن يحل له الجنة وفي أن يحرم عليه النار، أو ليس هو في فعل حلال ولا له احترام عند الله تعالى، وفي قوله ﷺ "خيلاء": أي "تكبرًا وعجبًا"[4].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢/٢٦٧-٢٦٨.

(٢) المرجع السابق ٢/٢٦٧.

(٣) أخرجه أبو داود ٦٣٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٥٩٥).

(٤) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق بن العظيم آبادي، ٣١٣.

الحديث رقم (٧٩٨)

٧٩٨- وعن قيس بن بشر التَّغْلِبيِّ، قَالَ: أخْبَرَني أَبي - وكان جَليسًا لأبي الدرداء- قَالَ: كَانَ بِدمَشْق رَجُلٌ مِنْ أصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ يقال لَهُ (سهل) بن الْحَنْظَلِيَّةِ، وَكَانَ رَجُلاً مُتَوَحِّدًا قَلَّمَا يُجَالِسُ النَّاسَ، إنَّمَا هُوَ صَلاَةٌ، فإذا فَرَغَ فَإنَّمَا هُوَ تَسْبِيحٌ وَتَكْبِيرٌ حَتَّى يَأتي أهْلَهُ، فَمَرَّ بنا وَنَحْنُ عِنْدَ أَبي الدَّرداء، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدرداء: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ. قَالَ: بَعَثَ رسول الله ﷺ سَرِيَّةً فَقَدِمَتْ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَلَسَ فِي المَجْلِسِ الَّذي يَجْلِسُ فِيهِ رسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ إلَى جَنْبِهِ: لَوْ رَأيْتَنَا حِينَ التَقَيْنَا نَحْنُ وَالعَدُوُّ، فَحَمَلَ فُلانٌ وَطَعَنَ، فَقَالَ: خُذْهَا مِنِّي، وَأنَا الغُلاَمُ الغِفَاريُّ، كَيْفَ تَرَى فِي قَوْلِهِ؟ قَالَ: مَا أرَاهُ إلاَّ قَدْ بَطَلَ أجْرُهُ. فَسَمِعَ بِذلِكَ آخَرُ، فَقَالَ: مَا أرَى بِذلِكَ بَأسًا، فَتَنَازَعَا حَتَّى سَمِعَ رسول الله ﷺ، فَقَالَ: ((سُبْحَانَ اللهِ؟ لاَ بَأسَ أنْ يُؤجَرَ وَيُحْمَدَ)) فَرَأيْتُ أبَا الدَّرْدَاء سُرَّ بِذلِكَ، وَجَعَلَ يَرْفَعُ رَأسَهُ إلَيْهِ، وَيَقُولُ: أأنْتَ سَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْ رَسُول الله ﷺ؟ فيقول: نَعَمْ، فما زال يُعِيدُ عَلَيْهِ حَتَّى إنّي لأَقُولُ لَيَبْرُكَنَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ.

قَالَ: فَمَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْداء: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ، قَالَ: قَالَ لنا رسول الله ﷺ: ((المُنْفِقُ عَلَى الخَيْلِ، كَالبَاسِطِ يَدَهُ[1] بالصَّدَقَةِ لاَ يَقْبضُهَا)).

ثُمَّ مَرَّ بِنَا يومًا آخَرَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْداء: كَلِمَةً تَنْفَعنا وَلاَ تَضُرُّكَ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((نِعْمَ الرَّجُلُ خُرَيمٌ الأسَديُّ! لولا طُولُ جُمَّتِهِ وَإسْبَالُ إزَارِهِ!)) فَبَلَغَ ذَلِكَ خُرَيْمًا فَعَجَّلَ، فَأَخَذَ شَفْرَةً فَقَطَعَ بِهَا جُمَّتَهُ إلَى أُذُنَيْهِ، وَرَفَعَ إزارَهُ إلَى أنْصَافِ سَاقَيْهِ.

ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْداء: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((إنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إخْوانِكُمْ، فَأصْلِحُوا رِحَالكُمْ، وَأصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ؛ فإنَّ الله لاَ يُحِبُّ الفُحْشَ وَلاَ التَّفَحُّشَ)) رواه أَبُو داود[2] بإسنادٍ حسنٍ، إلاَّ قيس بن بشر فاختلفوا في توثيقِهِ وَتَضْعِيفِهِ[3]، وَقَدْ

---

(١) لفظ أبي داود: (يديه).

(٢) برقم ٤٠٨٩. وأخرج الحاكم ١٨٣/٤ مختصرًا، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) قال أبو حاتم، الجرح والتعديل ١٢٥/٧: ما أرى بحديثه بأسًا، وذكره ابن حبان في ثقاته ٣٠٣/٧، ولم أرَ من ضعَّفه.

روى لَهُ مسلم[١].

ترجمة الراوي:

ابن الحنظلية: وهو سهل بن عمر وقيل سهل بن الربيع، والحنظلية أمه فنسب إليها. وقيل جدته، وقيل أم جده.

وله صحبة ورواية، وقد بايع تحت الشجرة، وشهد أحدًا والخندق، والمشاهد كلها إلا بدرًا.

نزل الشام وسكن دمشق، وكان عقيمًا لا يولد له، وكان يقول: لأن يولد لي في الإسلام ولدٌ سَقْطٌ فأحتسبه، أحبُ إليَّ من أن تكونَ لي الدنيا جميعًا وما فيها، وكان رضي الله عنه فاضلاً، متوحدًا قلَّ ما يجالس الناس، كثير الصلاة والذكر، وكان لا يزال يصلي ما دام في المسجد، فإذا انصرف لا يزال ذاكرًا من تسبيح وتهليل حتى يأتي أهله.

وقد روى له البخاري في الأدب، وأحمد وأبوداود والنسائي.

وتوفي ابن الحنظلية في صدر خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[٢].

غريب الألفاظ:

متوحدًا: منفردًا عن الناس لا يخالطهم ولا يُجالسهم[٣].

السرية: طائفة من الجيش أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو وسموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السري أي النفيس[٤].

---

(١) لم يرو له غير أبي داود كما في تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥/٢٤.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٠١/٧، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٠٨، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٥٧٢/٢، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٢٣/٣، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٢٣/٢، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٥٤٧، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٩٦٥/٢-٩٦٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ح د).

(٤) المرجع السابق في (سرى).

ما أُرَاه: ما أظنه[١].

جمته: الجُمَّة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين[٢].

إسبال إزاره: إرخاؤه وإرساله إلى أسفل من الكعبين[٣].

شفرة: أي سكينًا[٤].

الشامة: علامة في البدن يخالف لونها لون سائره، والمراد: ظاهرون في الناس كالشامة في الجسد[٥].

التفحش: تعمد وتكلف الفحش[٦].

الشرح الأدبي

يتميز هذا الحديث بطوله كما أنه بني على الحوار متعدد الأطراف كما تعددت فيه القصص التي تخللتها توجيهات نبوية، عالجت قضايا مختلفة، وقد دار الحوار حول رجل من أصحاب النبي وهو ابن الحنظلية وأدار الحوار أبو الدرداء، وقد وصف ابن الحنظلية بأنه (متوحد) أي معتزلاً الناس منشغل بالعبادة، والذكر، ولذلك وصفه بأسلوب القصر في قوله: (إِنَّمَا هُوَ صَلاةٌ فَإِذَا فَرَغَ فَإِنَّمَا هُوَ تَسْبِيحٌ وَتَكْبِيرٌ حَتَّى يَأْتِيَ أَهْلَهُ) أي مقصور على الصلاة لا يتعداها لغيرها حتى يفرغ، ثم ينقطع إلى الذكر، وقد بالغ في وصفه بالانقطاع لهذه الأمور فوصفه بالمصدر (هو صلاة... هو تسبيح، وتكبير) هذا الملخص لوصفه يشير إلى أنه كان لا يتكلم مع أحد إلا نادراً، وقول أبي الدرداء له (كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلا تَضُرُّكَ) فيه إيجاز بحذف فعل الأمر أي: قل لنا، وسر الحذف رعاية طبيعة الرجل الذي لا يحب أن ينشغل عن ذكر الله، ولذلك لم يحدثه بهذا الحديث في

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (رأى).

(٢) المرجع السابق في (ج م م).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٦.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ف ر).

(٥) المرجع السابق في (ش ي م).

(٦) المرجع السابق في (ف ح ش).

يوم واحد بل حدَّثه به يوماً بعد يوم؛ فحدثه بعدة توجيهات نبوية أولها: عن أثر ثناء الناس على العمل الصالح، فجاءت إجابة الرسول ﷺ (سُبْحَانَ اللَّهِ لا بَأْسَ أَنْ يُؤْجَرَ وَيُحْمَدَ) البداية بأسلوب التعجب السماعي بهذه الجملة التنزيهية إشارة إلى تعجبه، وإنكاره لاختلافهم في هذا الأمر مع ظهوره، وقوله: (لا بأس) أي لا ضرر في الجمع بين الأجر، والحمد، وقول الراوي عن أبي الدرداء (حَتَّى إِنِّي لأَقُولُ لَيَبْرُكَنَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ) كناية عن شدة فرحه بما سمع، وثانيها: عن الإنفاق على الخيل فكان التوجيه النبوي (الْمُنْفِقُ عَلَى الْخَيْلِ كَالْبَاسِطِ يَدَهُ بِالصَّدَقَةِ لا يَقْبِضُهَا) وهو تشبيه للمنفق على الخيل بالذي لا تنقطع صدقته، ووجه الشبه دوام الأجر، والتشبيه يثمِّن غالياً قيمة الإنفاق على ما فيه قوة للمسلمين، ونصر لهم.

وثالثها: تقويم بعض الأخطاء عن طريق المدح، والاستثناء في قوله ﷺ (نِعْمَ الرَّجُلُ خُرَيْمٌ الأَسَدِيُّ لَوْلا طُولُ جُمَّتِهِ وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ) وهو أسلوب نقد بناء يلوِّح بالكمال بمدح إنسان، ويعلقه على ترك خصلة مكروهة حتي يتركها، وقد فعل الصحابي فور سماعه ما يوجب كماله، وترك ما يمنعه عن هذا الفضل.

ورابعها: قوله ﷺ (إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلا التَّفَحُّشَ) وهذا التوجيه يجعل للمؤمنين خصوصية يعرفون بها تقوم على إصلاح الظاهر، وإصلاح الباطن، وإصلاح كل ما حولهم حتى يصلح بصلاحهم الكون كله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: المحافظة على الصلاة وكثرة ذكر الله.

ثانيًا: من صفات الداعية: الرغبة والسعي في تحصيل العلم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: النية وأثرها في قبول العمل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: رباط الخيل في سبيل، وبيان فضله.

خامسًا: من آداب المدعو: البعد عن الإسبال.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

سابعًا: من آداب المدعو: التجمل وحسن المظهر وتحسين الهيئة.

ثامنًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: المحافظة على الصلاة وكثرة ذكر الله:

لقد شرع الله تعالى لعباده ما يحفظ عليهم إيمانهم، ويقي فطرتهم من طغيان المادة واستحواذ الغفلة على القلب والروح، فأوجب عليهم الصلاة، وأمرهم بكثرة ذكر تعالى، تحقيقاً لحياة القلوب وسكينة النفوس.

وهذا ما أشار إليه الحديث من فعل ابن الحنظلية ﷺ في كونه رجلاً متوحداً قلما يجالس الناس، إنما هو صلاة، فإذا فرغ فإنما هو تسبيح وتكبير حتى يأتي أهله.

"وقد كانت الصلاة استجابة لغريزة البشر النوعية، غريزة الافتقار والضعف والطلب، وغريزة الالتجاء والاعتصام، والدعاء والمناجاة، والاطّراح على عتبة القوي الغني، الجواد الكريم، الرؤوف الرحيم، الحافظ المانع، المعطي الباذل، العليم الخبير، السميع المجيب، واستجابة لغريزة الشكر والوفاء، وغريزة الحب والحنان، وغريزة الخضوع والتواضع، والعبودية والتذلل، فالمؤمن في ذلك كالسمك لا يعيش إلا في الماء، وإذا أخرج من الماء لم يزل في حاجة إلى الماء، وفي حنين وفي فرار والتجاء إليه، وذلك معنى قول رسول الله ﷺ: «وجُعل قرة عيني في الصلاة»[١]. وقوله لمؤذنه بلال رضي الله عنه: «يا بلال أقم الصلاة، أرحنا بها»[٢]"[٣].

"وللصلاة تأثير في صرف النفس عن الأخلاق الرذيلة، والفحشاء والمنكر، والتمتع بالمتعة الرخيصة، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[٤].

وذلك لأنها تصرف صاحبها من جهة إلى جهة، ومن ذوق إلى ذوق، ومن طلب إلى طلب، ومن تفكير إلى تفكير، ومن سفساف الأمور إلى معاليها، وتحبب إليه الإيمان، وتزينه

---

(١) أخرجه النسائي، ٣٩٣٩، وقال الألباني حسن صحيح (صحيح سنن النسائي ٣٦٨١).

(٢) أخرجه أبو داود، ٤٩٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٧١).

(٣) الأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج)، أبو الحسن الندوي، ٢٩.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

في قلبه، وتكرِّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، هذا، إذا كانت الصلاة حقيقية تتدفق بالحياة، وتفيض بالحرارة والقوة، ولذلك لما فوجئ قوم شعيب بالدعوة إلى التوحيد، والفضيلة والتقوى، والإنكار على ما كانوا فيه من ظلم وبخس وتطفيف، أقبلوا على حياة شعيب يلتمسون فيها مصدر هذا الانقلاب وهذا الاختلاف، فقد ولد ونشأ فيهم كابن قبيلة وابن بلد، والذي يردون إليه طبيعة هذا الخصام والنزاع، فلم يجدوا في حياته شيئًا أوضح من الصلاة التي كانوا يشاهدونها، ويتعجبون لحُسنها وطولها، فقالوا: ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾[1].

وقد هيأ الله بتشريعه الحكيم لها جوًا من الإجلال والتعظيم، ومن الخشوع والرقة، ومن الجد والرزانة، ومن الوقار والسكينة، ومن التعاون والاجتماع، مالا يوجد له نظير لعبادة أو نسك في دين آخر، وفي ملة أخرى"[2].

أما ذكر الله فهو: "قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقوة الأبدان، وحبيب الرحمن، إنه درع المؤمن، وسلاح المسلم، وقوّة الموحد، ورفعة العابد، وطيب النفوس، وجلاء الهموم، وذهاب الغموم.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانا فننتكس

به تكشف الكربات، وتعظم القربات، وتعلو الدرجات، وتدفع الآفات، وتجلب البركات، وتجلى الظلمات، ملجؤٌ في النوازل، ومفزع في المخاطر، وملاذٌ في الشدائد، إنه عبودية للقلب واللسان، لا حدّ لها ولا وقت، ولا عذر لمن تركها، فهو سمة المؤمن في كل أحواله قائمًا وقاعدًا، مفيقًا وراقدًا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[3]"[4].

---

(١) سورة هود، آية: ٨٧.

(٢) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي، ٤٩.

(٣) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٤) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ٣٣٢.

ومن أجل ذلك "أمر تعالى عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم، المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن لمالهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب"[1]، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ۝٤٣﴾[2].

قال القرطبي: "أمر الله تعالى عباده بأن يذكروه ويشكروه، ويكثروا من ذلك على ما أنعم به عليهم وجعل تعالى ذلك دون حدّ لسهولته على العبد. ولعظم الأجر فيه، قال ابن عباس: لم يُعذر أحد في ترك ذكر الله إلا من غُلب على عقله....، وفي قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ أي اشغلوا ألسنتكم في معظم أحوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، قال مجاهد: وهذه كلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب...، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ قال القرطبي: والصلاة من الله على العبد رحمته له وبركته لديه. وصلاة الملائكة: دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم، كما قال: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[3]"[4].

"ولقد كان النبي ﷺ يذكر الله في جميع أحواله، ولقد زخرت كتب السنة بمئات الأحاديث الماتعة، والأذكار الرائعة، وأضحى أريجها يفوح عطرًا، وينفث شذى، تعمر به النفوس، وتزكو به القلوب، وتعطر به المجالس، ولقد زرع ﷺ في نفوس أصحابه أهمية الذكر وعلو درجته وبديع منزلته"[5].

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعمَالِكُمْ وأَزْكَاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٤٣٢١.

(٢) سورة الأحزاب، الآيات: ٤١-٤٣ .

(٣) سورة غافر، آية: ٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٧/١٦٧-١٦٩.

(٥) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر الزهراني، ٣٣٤.

مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا بَلَى، قَالَ ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى))[١].

قال الطيبي: "قال ابن عبدالسلام في كتاب القواعد: هذا الحديث مما يدل عل أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات، بل قد يأجر الله تعالى على قليل الأعمال أكثر مما يأجره على كثيرها، فإن الثواب يترتب على تفاوت في الرتب في الشرف. وقال "الأشرف" لعل الخيرية والأرفعية في الذكر؛ لأجل أن سائر العبادات من إنفاق الذهب والفضة، ومن ملاقاة العدو، والمقاتلة معهم، إنما هي وسائل ووسائط يتقرب العباد بها إلى الله، والذكر إنما هو المقصود الأسني، والمطلوب الأعلى"[٢].

وقال ابن حجر: "بأن المراد بالذكر الذي هو أفضل من الجهاد، الذكر الكامل الجامع بين ذكر اللسان وذكر القلب بالتفكر والاستحضار، فالذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار من غير استحضار ذلك، وأفضلية الجهاد هي بالنسبة للذكر اللساني المجرد. ونقل عن ابن العربي أن وجه الجمع أنه ما من عمل صالح إلا والذكر مشترط في تصحيحه، فمن لم يذكر الله بقلبه فليس عمله كاملاً، فصار الذكر أفضل الأعمال من هذه الحيثية"[٣].

ثانيًا – من صفات الداعية: الرغبة والسعي في تحصيل العلم:

"إن زاد العلم والثقافة والسعي في تحصيل العلم من آكد الواجبات التي تقع على عاتق الداعية، حتى يجد الناس عنده إجابة عن التساؤلات، وحلول المشكلات، إضافة إلى أن ذلك هو العدة التي بها يعلّم الداعية الناس أحكام الشرع، ويبصرهم بحقائق الواقع، وبه أيضًا يكون الداعية قادرًا على الإقناع وتفنيد الشبهات، ومتقنًا في العرض، ومبدعًا في التوعية والتوجيه"[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي، ٣٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٨).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، ٣٣٤/٤، ٣٣٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢١٢/١١.

(٤) انظر: مقومات الداعية الناجح، د.علي عمر بادحدح، ٥٧.

وهـذا مـا ورد في نـص الحـديث مـن طلـب أبـي الـدرداء رضي الله عنه المتكـرر مـن ابـن الحنظلية رضي الله عنه، أن يبذل له العلم وذلك في قوله: "كلمة تنفعنا ولا تضرك".

فلابد للداعية أن يوقن "أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب، لأن شرفه يثمر على صاحبه، وفضله ينمي عند طالبه؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]؟، فمنع سبحانه المساواة بين العالم والجاهل، لما قد خُصّ به العالم من فضيلة العلم"[2].

"فالداعية الآخذ بالعلم آخذ بالبداية الصحيحة، إذ العلم مقدم على القول والعمل، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[3]، وبالعلم يحوز الداعية الرفعة في الميزان الرباني وفق قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[4].

والسعي في طلب العلم تحقيق للغاية التي أرادها الله ووجه إليها في قوله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[5]، فقد جعل الله الأمة فرقتين "أوجب على إحداهما الجهاد في سبيله، وعلى الأخرى التفقه في دينه، لئلا ينقطع جميعهم عن الجهاد فتندرس الشريعة، ولا يتوفروا على طلب العلم فتغلب الكفار على الملة، فحرس بيضة الإسلام بالمجاهدين، وحفظ شريعة الإيمان بالمتعلمين، وأمر بالرجوع إليهم في النوازل وسؤالهم عن الحوادث فقال عز وجل: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى

---

(١) سورة الزمر، آية: ٩.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٤١.

(٣) سورة محمد، آية: ١٩.

(٤) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٥) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٦) سورة النحل، آية: ٤٣.

﴿ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[1].

وإذا سلك الداعية طريق العلم حظى بالخيرية الربانية الثابتة في حديث الرسول ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله به طريقًا من طرق الجنة»[2].

وإذا نال الداعية حظًا وافيًا من العلم واندرج في سلك طلبة العلم فإنه يكون في مجتمعه نبراسًا يُهتدى به.

كما قال ابن القيم عن الفقهاء: "إنهم يكونوا في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يُهتدى في الظلماء، حاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء"[3]، وعندما يتحرك الداعية ناشرًا علمه ساعيًا بين الناس بالإصلاح، ناعيًا عليهم الغفلة والفساد، فإنه يحظى بشرف الوصف، الذي ذكره الإمام أحمد حين قال: "الحمد لله الذي جعل في كل فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"[4]"[5].

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: النية وأثرها في قبول العمل:

"إن النية هي أصل الشريعة وعماد الأعمال، ومعيار التكليف"[6]، "وهي روح العمل ولبّه وقوامه، وهو تابع لها يصح بصحتها ويفسد بفسادها، والنبي ﷺ قد قال كلمتين

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٣ .

(٢) أخرجه أبو داود، ٣٦٤١، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٠٩٦).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ١٨.

(٤) المرجع السابق ١٨.

(٥) مقومات الداعية الناجح، د.علي عمر بادحدح، ٦٣-٦٥.

(٦) أحكام القرآن، ابن العربي ١٦٥٢/٤.

كفتا وشفتا وتحتهما كنوز العلم وهما قوله: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[(١)].

فبين في الجملة الأولى أن العمل لا يقع إلا بالنية، ولهذا لا يكون عمل إلا بنية، ثم في الجملة الثانية أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه، وهذا يعم العبادات والمعاملات والأيمان والنذور وسائر العقود والأفعال"[(٢)].

وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من قوله ﷺ: "سبحان الله؟ لا بأس أن يؤجر ويحمد" وذلك بعد أن ذكر الرجل موقفه وشجاعته في الحرب، دون أن يقصد من ذلك الرياء والمحمده.

"فإذا عمل المرء العمل لله خالصا، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، لم يضره ذلك"[(٣)]. وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ويحمده الناس عليه فقال: "تلك عاجل بشرى المؤمن»[(٤)]. وفي ذلك بيان على أهمية النية في الأعمال.

وهذا ما أكده "الحافظ أبو الحسن الأندلسي في قوله:

عمدة الدين عندنا كلمات ... أربع من كلام خير البريَّة

اتق الشبهات وازهد ودع ما ... ليس يعنيك واعملنَّ بنيَّة[(٥)]"

فعلى المرء أن يجعل نيته لله في جميع أفعاله وأحواله.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: رباط الخيل في سبيل الله وبيان فضله:

إن الجهاد في سبيل الله من كمال الإيمان وحسن الإسلام، به تمحص القلوب

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، ١٩٠٧.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٦٠٠.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ١/ ٨٣.

(٤) أخرجه مسلم، ٢٦٤٢.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ١/ ٦٣.

وتختبر النفوس، وحاصله أن يبذل الإنسان نفسه وماله ابتغاء مرضاة الله تعالى، وكان من ذلك إعداد كل ما يلزم للجهاد من قوة وعتاد.

وهذا ما رغب إليه الحديث من قوله ﷺ: "المنفق على الخيل كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها".

قال صاحب عون المعبود في قوله ﷺ "المنفق على الخيل" "أى إذا كان ربطه بقصد الجهاد في سبيل الله"[1].

وهذا ما أمر به الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2].

قال ابن عاشور: ("والرباط" صيغة مفاعلة أُتيَ بها هنا للمبالغة لتدلّ على قصد الكثرة من ربط الخيل للغزو، أي احتباسها وربطها انتظارًا للغزو عليها)[3].

وقال القاسمي: "دلت هذه الآية على وجوب إعداد القوة الحربية، اتقاء بأس العدو وهجومه. ولما عمل الأمراء بمقتضى هذه الآية، أيام حضارة الإسلام، كان الإسلام عزيزًا، عظيمًا، أبىّ الضيم، قوى القنا، جليل الجاه، وفير السنا، إذ نشر لواء سلطته على منبسط الأرض، فقبض على ناصية الأقطار والأمصار، وخضد شوكة المستبدين الكافرين، وزحزح سجوف الظلم والاستعباد، وعاش بنوه أحقابًا متتالية، وهم سادة الأمم، وقادة الشعوب، وزمام الحول والطول، وقطب رحى العز والمجد، لا يستكينون لقوة، ولا يرهبون لسطوة. وأما اليوم، فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة، ومالوا إلى النعيم والترف، فأهملوا فرضًا من فروض الكفاية، فأصبحت جميع الأمة آثمة بترك هذا الفرض. ولذا تعاني اليوم من غصته ما تعاني. وكيف لا يطمع العدو بالممالك الإسلامية، ولا ترى فيها معامل للأسلحة، وذخائر الحرب، بل كلها مما

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٧٥٦.

(٢) سورة غافر، آية: ٦٠ .

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٥٧/١٠/٥.

يشترى من بلاد العدو؟ أما آن لها أن تتنبه من غفلتها، وتنشئ معامل لصنع المدافع والبنادق والقذائف والذخائر الحربية؟ فلقد ألقى عليها تنقص العدو بلادها من أطرافها درسًا يجب أن تتدبره، وتتلافى ما فرطت به، قبل أن يداهم ما بقى منها بخيله ورجله، فيقضي -والعياذ بالله- على الإسلام وممالك المسلمين، لاستعمار الأمصار، واستعباد الأحرار، ونزع الاستقلال المؤذن بالدمار"[1].

"وإذا قد كان إعداد القوة يستدعي إنفاقًا، وكانت النفوس شحيحة بالمال، تكفل الله للمنفقين في سبيله بإخلاف ما أنفقوه والإثابة عليه، فقال: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾[2]. فسبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمته، والتوفية: أداء الحق كاملاً، جعل الله ذلك الإنفاق كالقرض لله، وجعل على الإنفاق جزاء، فسمى جزاءه توفية على طريقة الاستعارة المكنية، وتدل التوفية على أنه يشمل الأجر في الدنيا مع أجر الآخرة"[3].

وقد رغب النبي ﷺ في إعداد القوة والتماس أسبابها فقال: «مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ فَإِنْ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ، وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَعْنِي حَسَنَاتٍ»[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله فالخيل؟ قال: ((الخيل ثلاثة: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ. وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ. وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ. فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الإِسْلاَمِ فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ. وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ. فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي ظُهُورِهَا وَلاَ رِقَابِهَا. فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ. فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ. فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ. فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ أَوِ

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٥/٨/٨٥-٨٦.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠ .

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٥/١٠/٥٧-٥٨.

(٤) أخرجه البخاري، ٢٨٥٣.

الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ. إِلاَّ كُتِبَ لَهُ، عَدَدَ مَا أَكَلَتْ، حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ، عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَسَنَاتٌ. وَلاَ تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ إِلاَّ كَتَبَ اللّهُ لَهُ، عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا، حَسَنَاتٍ. وَلاَ مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَىٰ نَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلاَ يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا، إِلاَّ كَتَبَ اللّهُ لَهُ، عَدَدَ مَا شَرِبَتْ، حَسَنَاتٍ))[1].

خامسًا - من آداب المدعو: البعد عن الإسبال:

هذا ما أفاده الحديث من قوله ﷺ: " نعم الرجل خُرَيْم الأسدي لولا طول جمته وإسبال إزاره"، وقد رهب النبي ﷺ من إسبال الإزار كبرًا وعجبًا فقال: «لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء»[2].

قال النووي: "قال العلماء: الخيلاء بالمد والمخيلة والبطر والكبر والزهو والتبخر كلها بمعنى واحد وهو حرام، ويقال: خال الرجل واختال اختيالاً إذا تكبر، وهو رجل خال أى متكبر، وصاحب خال أي صاحب كبر، ومعنى لا ينظر الله إليه آى لا يرحمه أو لا ينظر إليه نظر رحمه)[3]، وقال ﷺ: ((الإِسْبَالُ فِي الإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ. مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئًا خُيَلاَءَ لَمْ يَنْظُرِ الله إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[4]. "وفي هذا الحديث، دلالة على عدم اختصاص الإسبال بالإزار بل يكون في القميص والعمامة"[5]، فعلى المدعو أن يجتنب ما رهب ونهى عنه النبي ﷺ.

سادسًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب كأسلوب دعوي في الحديث من قوله ﷺ: "نعم الرجل خريم الأسدي"، "فالمدعو يحتاج دائمًا إلى ما يدفعه للقيام بالطاعات على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة، وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها، ودوره في الترغيب"[6]، فالترغيب

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٣٧١، ومسلم ٩٨٧ واللفظ له

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٨٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢٠.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٠٩٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٥٠).

(٥) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادى، ١٧٥٨.

(٦) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف الهجاري، ٥١٣.

من الأساليب الدعوية المهمة التي يستعين بها الداعية لحمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه، وهذا ما يستفاد من الحديث في قوله ﷺ "نعم الرجل".

وفي ذلك مدح لمن أؤتمن عليه من الفتنة، وترغيب له في إتيان الأعمال التي تكمل له ثوابه، وهي كما في الحديث كقص شعر رأسه وتقصير ثوبه، وهو ما سارع إليه خريم حيث قصّ شعر رأسه وثوبه بشفرة، فحصل بذلك عظيم الفائدة من الترغيب والمدح المحمود، وهذا من الحكمة التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية في دعوته.

سابعًا – من آداب المدعو: التجمل وحسن المظهر وتحسين الهيئة:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ " إِنَّكُمْ قادِمُونَ على إِخْوانِكُمْ فأَصْلِحُوا رِحالَكُمْ وأَصْلِحُوا لِباسَكُمْ حَتَّى تكونُوا كأَنَّكُمْ شامَةٌ في النَّاسِ فإنّ اللّه لا يُحِبُّ الفحْشَ ولا التَّفَحُّشَ"، "وقد كان هدية ﷺ وسنته لبس الثياب البيض والحرص على نظافتها والحرص على التطيب، والحث عليه وترجيل الشعر ودهنه وتغيير الشيب – بغير السواد – وما شابه ذلك مما هو معروف ومشهور؛ وكل ذلك في الحقيقة مؤشرٌ إلى الاهتمام بالناس والإحساس بالذائقة الجمالية لديهم... وهذا الاهتمام بالناس هو الذي يساعد على جلب اهتمامهم"[1] .....، يقول مالك بن نبي: "لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل أو بالأفكار الكبيرة؛ لمنظرها القبيح في النفس، والمجتمع الذي ينطوي على صورة قبيحة، لابد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره وأعماله ومساعيه....، فبالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد، يجد الإنسان في نفسه نزوعًا إلى الإحسان في العمل، وتوخيًا للكريم من العادات"[2].

لذا كان حسن المظهر وتحسين الهيئة من أهم ما يجب أن يحرص عليه الداعية في دعوته إلى الله.

ثامنًا – من أساليب الدعوة: الحوار:

هذا ما يستفاد من عموم الحديث فيما دار بين أبي الدرداء وابن الحنظلية رضي الله عنهما.

"وقد ورد أسلوب الحوار في القرآن الكريم في كثير من المواضع نذكر منها على

---

(١) مقدمات النهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم بكار، ١٦٨.

(٢) مشكلة الثقافة، مالك بن نبي ص ٨١، ٨٢.

سبيل المثال، الحوار مع الملائكة، وهو أول حوار قبل خلق الإنسان، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[(١)].

والحوار المثمر يتم وفق أصول حتى يعطي الفائدة المنشودة منه، غير أن هذه الأصول وهى جزء من الآداب لا بد أن يلتزم بها المتحاورون، فالمسلم في حاجة إلى الأدب، ولذلك كان السلف يحثون على تعلم الأدب قبل العلم"[(٢)]، وقد أوصى الإمام مالك أحد تلاميذه بقوله: "يا ابن أخي تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم"[(٣)]، وقال ابن المبارك: "نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم"[(٤)]، ودون الأخذ بهذه الآداب فإن المتحاورين لن يصلوا إلى مايرجون من نتائج، والمقصود بآداب الحوار: "القواعد السلوكية التي ينبغي الالتزام بها عند المحاورة"[(٥)]، ومما لاشك فيه أن الحوار كأسلوب دعوي له أهمية عظيمة. "فقد كان من أبرز أساليبه ﷺ في التعليم الحوار والمساءلة، لإثارة السامعين وتشويق نفوسهم إلى الجواب، وحضهم على إعمال الفكر للجواب، ليكون جواب النبي ﷺ - إذا لم يستطيعوا الإجابة- أقرب إلى الفهم وأوقع في النفس"[(٦)].

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٣٠ -٣٣.

(٢) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد المغامسي، ٥ -٧.

(٣) حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، أبو نعيم أحمد عبدالله الأصبهاني ٣٣٠/٦.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣٥٦/٢.

(٥) الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد الصويان ص٧٧، نقلاً عن الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد المغامسي، ٨.

(٦) الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم، عبدالفتاح أبو غدة ص٩٢.

الحديث رقم (٧٩٩)

٧٩٩- وعن أَبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((إِزْرَةُ المُسْلِمِ إِلَى نِصْفِ[١] السَّاقِ، وَلاَ حَرَجَ -أَوْ لاَ جُنَاحَ- فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَعْبَيْنِ، فَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَمَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ)) رواه أَبُو داود[٢] بإسنادٍ صحيحٍ.

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[٣].

إزرة: الهيئة في الاتزار كالجلسة لهيئة الجلوس[٤].

بطرًا: تكبرًا وطغيانًا عند النعمة وطول الغنى[٥].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب خبري تصدره المسند إليه (إزرة المسلم) وهي هَيْئَة الاتِّزَار، وإضافتها للمسلم إضافة بيان، والمسند (إلى نصف ساقه) يحدد الغاية التي ينتهي إليها، ولا يجوز أن يتجاوزها، وقوله (لا حرج، أو لا جناح) لا نافية، والحرج المشقة أي لا مشقة، ولا تضييق، وقَوْله (فَهُوَ فِي النَّار) يُتَأَوَّل عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدهمَا أَنَّ مَا دُون الْكَعْبَيْنِ مِنْ قَدَم صَاحِبه فِي النَّار عُقُوبَة لَهُ عَلَى فِعْله، وَالْوَجْه الآخَر أَنْ يَكُون مَعْنَاهُ أَنَّ صَنِيعه ذَلِكَ وَفِعْله الَّذِي فَعَلَهُ فِي النَّار عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ مَعْدُود وَمَحْسُوب مِنْ أَفْعَال أَهْل النَّار.

---

(١) لفظ أبي داود: (أنصاف).

(٢) برقم ٤٠٩٣. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٥٤٤٦. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٠٨.

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (أ ز ر).

(٤) ل في (أ ز ر).

(٥) المرجع السابق في (ب ط ر).

وقوله: (مَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ) التعريف بالاسم الموصول للتنبيه على خطأ، و (أسفل) أفعل تفضيل خبر كان على رواية نصب (أسفل)، ويجوز رفعه على تقدير: (ما هو أسفل)، و (من) الأولى لابتداء الغاية، وقوله: (فهو في النار) زِيَادَةِ لفَاء، كَأَنَّهَا دَخَلَتْ لِتَضْمِينِ مَا مَعْنَى الشَّرْط أَيْ مَا دُون الْكَعْبَيْنِ مِنْ قَدَم صَاحِب الإِزَار الْمُسْبَل فَهُوَ فِي النَّار عُقُوبَة لَهُ عَلَى فِعْله، وذكر الضمير (هو) للتوكيد والتقرير.

(مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ) من اسم موصول فيه معنى الشرط، و (جر) فعل ماضي يدل على التحقيق، وهو فعل الشرط، وتخصيص (الإزار) لأنه مختص بنصف الجسم الأسفل المتصل بالأرض، وقوله: (بطراً) أي كبراً، وقد صاغه في صورة المصدر الدال على المبالغة كما يدل على الثبوت، والدوام، ولم يصغه في صورة الفعل الذي يفيد التجدد إشارة إلى أن صفة الكبر صفة راسخة ثابتة في نفسه تدعوه إلى الزهو، والافتخار على خلق الله وجملة الجواب (لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ)) تصعيد للوعيد يتسرب في مسارب النفس لينزع الرغبة في التكبر، والفخر منها نزعا لا يبقي منه بقية.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن جر الثوب خيلاء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الكبر والعجب.

رابعًا: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على المخالفات الشرعية.

خامسًا: من أساليب الدعوة: النداء والأمر.

سادسًا: من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ.

سابعًا: من أصناف المدعوين: النساء.

ثامنًا: من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: بيان لباس النساء.

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٩٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٠٠، ٨٠١).

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن جر الثوب خيلاء:

"لقد أكدت نصوص الأحاديث الواردة على النهي من جر الثوب خيلاء، فلقد كان من عادة الجبابرة والمتكبرين إطالة أُزُرِهم حتى تمس الأرض، فنهى ورهب النبي ﷺ الرجال دون النساء عن ذلك"[١]، وهذا ما ورد في نص الأحاديث من قوله ﷺ: «ومن جر إزاره بطرًا لم ينظر إليه». قوله ﷺ: «ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة».

قال القاضي عياض: "المخيلة والخيلاء والبطر: بمعنى، وهو الكبر والزهو والتبختر)[٢]، وقال ابن حجر: وقوله ﷺ "من جر إزاره بطرًا" أي: "جره تكبرًا وطغيانًا، وأصل البطر الطغيان عند النعمة، واستعمل بمعنى التكبر، وقال الراغب: أصل البطر دهش يعترى المرء عند هجوم النعمة عن القيام بحقها"[٣].

وقال ابن هبيرة: "والثوب يعم الإزار، الرداء، والقميص، فلا يجوز جرُّ شيء منها"[٤]، وهذا ما أكده القاضي عياض في قوله: "إن ذلك يشمل العموم في كل ثوب، إزار وغيره، لقوله ﷺ: "الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جر شيئًا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة"[٥]، وإنما خص الإزار في بعض الحديث؛ لأنه أكثر ما كان يستعمل في عهده ﷺ ويجر ويرخى، وقوله ﷺ لا ينظر الله إليه يوم القيامة: أي: لا يرحمه"[٦].

وبين ابن حجر أن للرجال حالين في قدر موضع الإزار، فقال: "والحاصل أن للرجال حالين: حال استحباب، وهو أن يقتصر بالإزار على نصف الساق، وحال جواز وهو إلى

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الميسرة، د. محمد رواس قلعه جي، ١٤٤/١٥.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٨/٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٠/١٠.

(٤) الإفصاح في معاني الصحاح، ٤٠٥/٥، ٤٠٦.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٣٥٧٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٨٧٨).

(٦) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٨/٦.

الكعبين"[١]، وهذا ما أكده النبي ﷺ في نص الحديث من قوله: "إزارة المسلم إلى نصف الساق ولا حرج - أو ولا جناح - فيما بينه وبين الكعبين"، وقول ابن عمر رضي الله عنهما "فقال بعض القوم: إلى أين؟ فقال: إلى أنصاف الساقين.

كما بين النبي ﷺ أن "ما كان أسفل الكعبين فهو في النار" قال الخطابي: "في قوله ﷺ "فهو في النار" يتأول على وجهين أحدهما: أن ما دون الكعبين من قدم صاحبه في النار، عقوبة له على فعله.

والوجه الآخر: أن يكون معناه: أن صنيعه ذلك وفعله الذي فعله في النار، على معنى أنه معدود ومحسوب من أفعال أهل النار"[٢].

وبين ابن حجر: "أن هذا الإطلاق محمول على ما ورد من قيد الخيلاء، فهو الذي ورد فيه الوعيد بالاتفاق...، ويستثنى من إسبال الإزار مطلقًا ما أسبله لضرورة كمن يكون بكعبيه جرح مثلاً يؤذيه الذباب مثلاً إن لم يستره بإزاره حيث لا يجد غيره، ونبه على ذلك شيخنا في شرح الترمذي" - أي العراقي - واستدل على ذلك "بإذنه ﷺ لعبد الرحمن بن عوف في لبس القميص الحرير من أجل الحكة"[٣]. والجامع بينهما جواز تعاطي ما نهى عنه من أجل الضرورة، كما يجوز كشف العورة للتداوي"[٤].

وفي بيان الحكمة من النهي عن إسبال الإزار ولو لم يقصد صاحبه المخيلة، قال ابن حجر: "وإن كان الثوب زائدًا على قدر لابسه فهذا قد يتجه المنع فيه من جهة الإسراف فينتهي إلى التحريم، وقد يتجه المنع فيه من جهة التشبه بالنساء وهو أمكن من الأول، وقد صحح الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺلعن الرجل يلبس لبسة المرأة»[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧١/١٠.

(٢) معالم السنن ٥/٦.

(٣) أخرجه البخاري ٥٨٣٩، ومسلم ٢٠٧٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٩/١٠.

(٥) أخرجه الحاكم ٧٤٩٢، وأبو داود ٤٠٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٣٤٥٤).

وقد يتجه المنع فيه من جهة أن لابسه لا يأمن مَن تعلق النجاسة به وإلى ذلك يشير الحديث الذي أخرجه الترمذي في الشمائل، من طريق أشعث بن أبي الشعثاء -واسم أبيه سليم- المحاربي عن عمته، واسمها رُهم بضم الراء وسكون الهاء، وهي بنت الأسود بن حنظلة عن عمها، واسمه عبيد بن خالد، قال: «كنت أمشي وعلي برد أجره، فقال لي رجل: ارفع ثوبك فإنه أنقى وأبقى، فنظرت فإذا هو النبي ﷺ، فقلت: إنما هي بردة ملحاء، فقال: أما لك في أسوة؟ قال: فنظرت فإذا إزاره إلى أنصاف ساقيه»[1]. وسنده قبلها جيد، وقوله "ملحاء" بفتح الميم وبمهملة قبلها سكون ممدودة أي فيها خطوط سود وبيض، وفي قصة قتل عمر رضي الله عنه أنه قال للشاب الذي دخل عليه "ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك"[2]، ويتجه المنع أيضًا في الإسبال من جهة أخرى، وهى كونه مظنة الخيلاء، قال ابن العربي لا يجوز للرجل أن يجاوز بثوبه كعبه، ويقول لا أجره خيلاء فإنها دعوى غير مسلمة، بل إطالته ذيلة دالة على تكبره، أ.هـ وحاصله. أن الإسبال يستلزم جر الثوب، وجر الثوب يستلزم الخيلاء ولو لم يقصد اللابس الخيلاء"[3].

وفي بيان مجمل ما سبق قال الشيخ البسام: (أجمع العلماء على تحريم إسبال الثياب تيهًا وخيلاءً، واختلفوا فيما إذا فعل ذلك من غير خيلاء.

فذهب طائفة منهم إلى أن الإسبال ونزول الثوب على الكعبين حرام، سواء فعل ذلك من أجل الكبر والخيلاء أو فعله وليس في قلبه من ذلك شيء. وقالوا: إن النصوص كلها تدل على تحريم ذلك، لكن من جره جرًا وأرخاه حتى لمس الأرض فهذا هو صاحب الوعيد الذي لا ينظر الله إليه ولا يكلمه ولا يزكيه وله عذاب أليم.

وأما الذي نزل إزاره أو قميصه عن الكعبين فقط، فما نزل عن ذلك فهذا الجزء الذي نزل إليه القميص في النار، وهو وعيد أخف من الأول، لأن العمل أخف من العمل الأول.

---

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل ١١٣.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري ٣٧٠٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/ ٢٧٥.

وقالوا: لا يصلح حمل مطلق النصوص على مقيدها، لأن من شرط حمل المطلق على المقيد هو اتحاد السبب واتحاد الحكم، وهنا لم يتحدا فالسبب مختلف في الثوب، فإن إسباله وجره غير نزوله عن الكعبين، والحكم مختلف فكون الله تعالى لم ينظر إلى المسبل ولا يكلمه وله عذاب أليم، مغايرًا ومخالفًا لمن لا يمس العذاب منه إلا أسفل كعبيه.

أما الطائفة الأخرى فذهبوا في هذه النصوص إلى حمل مطلقها على مقيدها، وأن الوعيد على ذلك كله واحد وهو الإسبال مع الخيلاء والكبر، وأن الإسبال ابتداؤه ما نزل من الكعبين وقد يطول ويقصر، وهو كله محرم بالنصوص بلا تفريق بين هذا وهذا.

وإن القاعدة الأصولية هي حمل المطلق على المقيد، وهي قاعدة مطردة في عموم نصوص الشريعة.

والشارع الحكيم لم يقيد تحريم الإسبال - بالخيلاء - إلا لحكمة أرادها ولولا هذا لم يقيده.

والأصل في اللباس الإباحة، فلا يحرم منها إلا ما حرم الله ورسوله، والشارع قصد من تحريم هذا، اللبسة الخاصة بقصد الخيلاء من الإسبال، وإلا لبقيت اللبسة المذكورة على أصل الإباحة.

وإذا نظرنا إلى عموم اللباس وهيئاته وأشكاله لم نجد منه شيئًا إلا وتحريمه له سبب، وإلا فما معنى التحريم وما الغرض منه، لذا فإن مفهوم الأحاديث أن من أسبل ولم يقصد بذلك الكبر والخيلاء، فإنه غير داخل في الوعيد)[1].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

"الترهيب: وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتران إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده،

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٣٦/٦ - ٢٣٧.

وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية، ليكونوا دائمًا على حذر من ارتكاب الهفوات والآثام"[١]، وهذا ما ورد جليًا من ترهيبه ﷺ لمن جر إزاره بطرًا وتكبرًا، وذلك في قوله ﷺ: "ومن جر إزاره بطرًا لم ينظر الله إليه"، وقوله: "ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة"، قال القاضي عياض في قوله ﷺ: "لم ينظر الله إليه يوم القيامة"، "أي: لا يرحمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾[٢]"[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من الكبر والعجب:

إن الكبر والعجب من أعظم آفات النفس التي توجب لصاحبها غضب الله ومقته، "لأنهما يسلبان الفضائل، ويكسبان الرذائل، وليس لمن استوليا عليه إصغاء لنصح، ولا قبول لتأديب، لأن الكبر يكون بالمنزلة، والعُجب يكون بالفضيلة، فالمتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين، والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين، فلذلك وجب تقديم القول فيهما، بإبانة ما يكسبانه من ذم، ويوجبانه من لوم، فنقول: أما الكبر فيكسب المقت، ويلهي عن التآلف، ويوغر صدور الإخوان... وأما الإعجاب فيخفي المحاسن، ويظهر المساوي، ويكسب المذام، ويصد عن الفضائل، ... قال بعض الحكماء: عُجب المرء بنفسه أحد حُسّاد عقله. وليس إلى ما يكسبه الكبر من المقت حدّ، ولا إلى ما ينتهي إليه العجب من الجهل غاية، حتى إنه ليطفئ من المحاسن ما انتشر، ويُسلب من الفضائل ما اشتهر، وناهيك بسيئةٍ تحبط كل حسنة، وبمذَمَّة تهدم كل فضيلة، مع ما يثيره من حَنَق، ويكسبه من حقد"[٤].

ومن أجل ذلك استحق الكبر والعجب كامل الترهيب، وهذا ما أشار إليه نص

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. عبدالرحمن النحلاوي، ٢٥٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧٧ .

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٨/٦.

(٤) أدب الدين والدنيا، الماوردي، ٢٣١، ٢٣٢.

الحديث في قوله ﷺ: "ومن جر إزاره بطرًا لم ينظر الله إليه"، وأيضًا في قوله: "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة.

قال القاضي عياض: "قال الإمام: المخيلة: يعني الكبرياء، يقال: خال الرجل خالاً واختال اختيالاً: إذا تكبر، وهو رجل خال: أي متكبر، وذو خال: أي ذو تكبر"[(١)].

والبطر: أي: الأشر، وينجرُّ معه الكبر.."[(٢)]، وفي بيان عاقبة من كان الكبر آفته قال النبي ﷺ: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ » قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «إِنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ))[(٣)]. قال النووي: "ومعنى غمط الناس" أي احتقارهم، أما "بطر الحق" فهو دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا"[(٤)].

وقال ﷺ: ((يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرجالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سَجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَس تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ))[(٥)]. والمعنى: "أن المتكبرين يكونون في غاية من المذلة والنقيصة، يطأهم أهل المحشر بأرجلهم من هوانهم على الله، ويسحبون ويجرون إلى مكان حبس مظلم منقطع فيه عن غيره يسمى بولس، وتعلوهم: أي تحيط بهم وتغشاهم كالماء يعلو الغريق "نار الأنيار" أي: نار النيران، ويسقون "من عصارة أهل النار" وهو ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم"[(٦)].

وعن النبي ﷺ أنه قال: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا؛ إِنَّمَا هُمْ

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٨/٦.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ابو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٠٦/٥.

(٣) أخرجه مسلم ٩١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥١.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٤٩٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢٥).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٣٦.

فَحْمُ جَهَنَّمَ. أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ. إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ. إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ. النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ. وَآدَمُ خُلِقَ مِنَ تُرَابٍ))[١].

قال صاحب عون المعبود في ذلك: قال الخطابي: "العبية: الكبر والنخوة، وقيل في معنى: "مؤمن تقي وفاجر شقي، أن المفتخر المتكبر إما مؤمن تقي، فإذن لا ينبغي له أن يتكبر على أحد، أو فاجر شقي، فهو ذليل عند الله، والذليل لا يستحق التكبر، فالتكبر منفي بكل حال، وقيل في قوله: "أنتم بنو آدم وآدم من تراب، أي فلا يليق لمن أصله التراب النخوة والكبر.... إلخ"[٢].

رابعًا – من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على المخالفات الشرعية:

إن تفقد أحوال المدعوين من أهم ما يساعد الداعية على توجيه المدعوين وإرشادهم إلى ما يجب عليهم، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من قول ابن عمر ﷺ: ((مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِي إِزَارِي اسْتِرْخَاءٌ. فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ ارْفَعْ إِزَارَكَ... إلخ» فعلى الداعية أن يقتدى بالنبي ﷺ في تفقده لأحوال المدعوين، والتنبيه على ما كان من مخالفات شرعية، وفي بيان ذلك، قال أنس ﷺ: «دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به. فقال النبي ﷺ: ((حلوه، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد))[٣]، وعن أبي سلمة ابن الأكوع أن أباه حدثه: ((أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ بِشِمَالِهِ. فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ» قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «لاَ اسْتَطَعْتَ» مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الْكِبْرُ. قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ))[٤]. وفي ذلك بيان على ضرورة تفقد أحوال المدعوين، والتنبيه على ما كان من

---

(١) أخرجه أبي داود، ٥١١٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٢٦٩).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢١٨٤.

(٣) أخرجه البخاري ١١٥٠، ومسلم ٧٨٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٠٢١.

مخالفات شرعية.

"وليكن الحافز الحقيقي للداعية في ذلك، هو تمثل الآخرة وما فيها من سعادة دائمة أو شقاء دائم، وتمثل ما أعده الله فيها لعباده المؤمنين الطائعين من جزاء، وما أعده للكفار العصاة من عقاب"[1].

خامسًا - من أساليب الدعوة: النداء والأمر:

لقد ورد أسلوب النداء في الحديث من قوله ﷺ: "يا عبدالله" وبه يكون لَفْتُ الانتباه واستحضار الذهن. بما يساعد الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين، أما الأمر فقد ورد في الحديث من قوله "ارفع إزارك" وأيضًا في قوله ﷺ: "زد"، وبه يكون حمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه بما في ذلك من عظيم الفائدة.

سادسًا - من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ:

لقد أمر الله عباده بطاعة نبيه في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[3]، قال السعدي رحمه الله: "يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي، الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه، والنهي عنه"[4]، والاستجابة: "قيل هي الإجابة، وحقيقتها هي التحري للجواب والتهيؤ له"[5]، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من

---

(١) انظر: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن علي الحسني الندوي، ٦٥.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٠.

(٥) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف الهجاري، ٤٢٢.

استجابة عبدالله بن عمر ﷺ، وطاعته لأمر النبي ﷺ، وذلك في قوله ﷺ: "فقال ﷺ: ياعبدالله، ارفع إزارك" فرفعته ثم قال: "زد" فزدت، فما زلت أتحراها بعد"، قال القرطبي: و"قوله: "فما زلت أتحراها" أي: أقصد الهيئة التي أمر بها النبي ﷺ وأحافظ عليها. ويعني بها: إزرته إلى نصف ساقيه، كما قال في بقية الحديث"[١]، وقد ضرب ابن عمر ﷺ أروع الأمثلة في طاعته واستجابته لأوامر النبي ﷺ: "فعن أبي جعفر الباقر قال: كان ابن عمر إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثًا لا يزيد ولا ينقص، ولم يكن أحد في ذلك مثله"[٢].

سابعاً – من أصناف المدعوين: النساء:

هذا ما يستفاد في الحديث من قول: "فكيف تصنع النساء"، ((وقد اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾[٣]، فالمرأة تحظى بدور كبير واحترام عال في شريعة الإسلام، سواء كانت بنتًا أو زوجة أو أمًا، فهى أم الرجال، وأخت الرجال، وخالة الرجال، وعمة الرجال، إنها مربية الأجيال. ومادام الأمر كذلك، فلابد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا تجاه النساء، فهن نصف المجتمع، وهن راعيات الأطفال، وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فإن العناية بالمرأة هى عناية بالدعوة نفسها))[٤].

ثامنًا – من آداب المدعو: السؤال عما خفى عليه:

يظهر ذلك جليًا في الحديث من قول الراوي: "فقالت أم سلمة، فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟، فعلى المدعو أن يسأل عن كل ما خفى عليه، حتى يكون على بينة من أمر

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٠٧/٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٣/٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٧٣.

ربه وسنة نبيه، فيعبد الله على علم وبصيرة، كما قال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وقد أكد النبي ﷺ على ذلك فقال: "ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العيِّ السؤال"[2]. أي: "لِمَ لم يسألوا حين لم يعلموا لأن شفاء الجهل السؤال"[3].

تاسعًا - من موضوعات الدعوة: بيان لباس النساء:

مما لاشك فيه "أن أحكام المرأة في الشريعة الإسلامية تبنى على الاستتار، فيجب على المرأة أن تستتر عن أعين الرجال غير المحارم والزوج، وعن أعين المحارم الأباعد عند الفتنة"[4].

وكان من أحكام الاستتار ما ورد في نص الحديث من قول الراوي، فقالت أم سلمة: فكيف تصنع النساء بذيولهن، قال"يرخين شبرًا"، قالت: إذا تنكشف أقدامهن. قال: "فيرخينه ذراعًا لا يزدن"، قال المباركفوري: "قوله: "يرخين" بضم أوله من الإرخاء وهو الإرسال أي يرسلن من ثيابهن "شبرًا" أي من نصف الساقين "إذًا" بالتنوين "فيرخينه" أي الذيل "لا يزدن عليه" أي على قدر الذراع"[5].

قال الطيبي: "المراد به الذراع الشرعي، إذ هو أقصر من العرفي"[6].

وفي بيان قدر الذراع: قال ابن عمر رضي الله عنهما: «رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِى الذَّيْلِ شِبْرًا، ثُمَّ اسْتَزَدْنَهُ فَزَادَهُنَّ شِبْرًا، فَكُنَّ يُرْسِلْنَ إِلَيْنَا فَنَذْرَعُ لَهُنَّ ذِرَاعًا»[7].

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وقال الألباني حديث حسن (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٨٦.

(٤) الموسوعة الفقهية الميسرة، د. محمد رواس قلعه جي، ١٥٢/١.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥١٩/٢.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢١٦/٨.

(٧) أخرجه أبو داود ٤١١٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٦٨).

قال ابن حجر: (وأفادت هذه الرواية قدر الذراع المأذون فيه وأنه شبران بشبر اليد المعتدلة)[١].

قال المباركفوري: (وفي الحديث رخصة للنساء في جر الإزار لأنه يكون أستر لهن)[٢]. (وقد بين النبي ﷺ في هذا الحديث لأم سلمة رضي الله عنها أن حكمهن في إسبال الإزار خارج عن حكم الرجال في هذا المعنى، وقد نقل عياض الإجماع عن أن المنع في إسبال الإزار يكون في حق الرجال دون النساء، وكما أن للرجال حالين في مقدار الإزار، كذلك للنساء حالان في ذلك)[٣].

وقال ابن حجر: (والحاصل أن للرجال حالين: حال استحباب، وهو أن يقتصر الإزار على نصف الساق، وحال جواز وهو إلى الكعبين، وكذلك للنساء حالان حال استحباب وهو ما يزيد على ما هو جائز للرجال بقدر الشبر وحال جواز بقدر ذراع)[٤].

ويؤيد هذا التفصيل في حق النساء، قول أم سلمة رضي الله عنها: ((إنَّ النبيَّ ﷺ شَبَّرَ لِفَاطِمَةَ شِبْرًا مِنْ نِطَاقِهَا»[٥].

(والشبر من التشبير)[٦]، قال في "القاموس": (شبر بالكسر، وهو ما أعلى الإبهام وأعلى الخنصر)[٧]، (والنطاق شقة تلبسها المرأة تشد وسطها فترسل الأعلى على الأسفل إلى الأرض، والأسفل ينجر على الأرض ليس لها حُجْزَةٌ ولا نَيْفَقٌ ولا ساقان)[٨].

قال المباركفوري: (والمعنى أن النبي ﷺ قدر لفاطمة أن ترخي قدر شبر من نطاقها)' قال النووي: (أجمعوا على جواز الجر للنساء)[٩].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٠/١٠

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥١٩/٢.

(٣) انظر المرجع السابق.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧١/١٠

(٥) أخرجه الترمذي ١٧٣٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٤١٦).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٢٠/٢.

(٧) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٤١٢.

(٨) المرجع السابق ٩٢٦.

(٩) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٢٠/٢.

الحديث رقم (٨٠٠)

٨٠٠-وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: مررتُ عَلَى رسولِ الله ﷺ وفي إزَارِي استرخاءٌ، فَقَالَ: ((يَا عَبدَ اللهِ، ارْفَعْ إزَارَكَ)) فَرَفَعْتُهُ ثُمَّ قَالَ: ((زِدْ)) فَزِدْتُ، فَمَا زِلْتُ أتَحَرَّاهَا بَعْدُ. فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: إِلَى أينَ؟ فَقَالَ: إِلَى أنْصَافِ السَّاقَيْنِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

إزاري: الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[2].

استرخاء: انبساط واتساع[3].

أتحرّاها: التحري: القصد والاجتهاد في الطلب[4].

الشرح الأدبي

بداية الحديث بداية خبرية يحكيها ابن عمر حدثت معه تتعلق بلبس الإزار، وبيان الحد المشروع، وقد ساقها دون توكيد، وليس في القصة ما يمكن أن يعارض ؛لأنها واقعة بينه، وبين الرسول ﷺ، وقول الرسول ﷺ (يَا عَبْدَ اللَّهِ ارْفَعْ إِزَارَكَ) النداء للتنبيه تمهيداً لما بعده، والأمر (ارفع إزارك) أمر قصد به اللزوم، والوجوب، وإضافة الإزار له للتخصيص، وقوله (فرفعته) الفاء تقرر سرعة استجابته للرسول ﷺ وقوله (زد) فعل أمر على جهة الإلزام، والوجوب إشارة إلى عدم كفاية القدر الذي رفعه ابن عمر، وقوله (فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ) فيه إشارة إلى شدة حرصه على تنفيذ أمر رسول

---

(١) برقم ٢٠٨٦/٤٧. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠١٠ بنحوه وعزاه إلى أحمد، فاستدرك عليه النووي بإيراده من رواية مسلم.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٥.

(٣) ل في (ر خ و).

(٤) المرجع السابق في (ح ر ي).

الله ﷺ، وقـول الـصحابة (إلى أيـن؟) اسـتفهام علـى حقيقتـه غرضـه معرفـة المقـدار، وقوله (أنصاف الساقين) فيه إيجاز بالحذف، تقديره مقداره إلى أنصاف الساقين، وهـو أفضل.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٠١)

٨٠١- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ تَصنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: ((يُرْخِينَ شِبْرًا)) قالت: إذًا تَنْكَشِفُ أقْدَامُهُنَّ. قَالَ: ((فَيرخِينَهُ ذِرَاعًا لاَ يَزِدْنَ)) رواه أبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

خيلاء: الكبر والعجب[2].

بذيولهن: جمع ذيلٍ: أسفل الثوب[3].

يرخين: يُرسلن[4].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٠٨٥ الشطر الأول، والترمذي ١٧٣١ بتمامه. تنبيه: الشطر الأول من الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر، وقد تقدم برقم ٧٩٢، وأما الزيادة التي في آخر الحديث فأخرجها الترمذي، قال الحافظ في الفتح ٢٥٩/١٠: وقد عزا بعضهم هذه الزيادة لمسلم فوهم، فإنها ليست عنده، وكان مسلم أعرض عن هذه الزيادة للاختلاف فيها على نافع، فقد أخرجه أبو داود والنسائي وغيرهما من طريق عبيد الله بن عمر، عن سليمان بن يسار، عن أم سلمة، وأخرجه أبو داود من طريق أبي بكر بن نافع، والنسائي من طريق أيوب بن موسى، ومحمد بن إسحاق، ثلاثتهم: عن نافع، عن صفية بنت أبي عُبيد، عن أم سلمة، وأخرجه النسائي من رواية يحيى بن أبي كثير، عن نافع، عن أمّ سلمة نفسها وفيه اختلافات أخرى، ومع ذلك فله شاهدٌ من حديث ابن عمر، أخرجه أبو داود من رواية أبي الصديق، عن ابن عمر، قال: رخص رسول الله ﷺ لأمهات المؤمنين شبرًا، ثمّ استزدنه فزادهنّ شبرا، فكن يرسلن إلينا فنذرع لهنّ ذراعًا، وأفادت هذه الرواية قدر الذراع المأذون فيه، وأنه شبران بشبر اليد المعتدلة.

(٢) ل في (خ ي ل).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ذ ي ل).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٦٦.

الشرح الأدبي

الأسلوب خبري في بدايته يتسم بالهدوء، والثقة، ويقوم على حوار بين أم سلمة رضي الله عنها وبين رسول الله ﷺ ويبدأ بأسلوب الشرط عن طريق الموصول (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه) بغرض الترهيب من الفعل، لأنه ربط الفعل بالجزاء مع تقييده بيوم القيامة الذي يصعِّد الإحساس بخطر هذا الذنب، وينزع شبح الكبر الذي يودي بصاحبه إلى الحرمان من فضل الله، وقول أم سلمة رضي الله عنها (فكيف يصنعن النساء بذيولهن؟) استفهام يحمل مع طلب الفهم تعجباً ويعكس حيرة بين وجوب ستر جميع البدن للمرأة وبين الترهيب من جر الثوب، وقوله: (يرخين شبراً) الفعل المضارع يصوِّر الفعل، والمفعول (شبراً) يحدد المقدار وقولها (إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ) فيه إيجاز يقتضيه مقام خطاب البليغ تقديره: إذا أرخين شبراً تنكشف أقدامهن، وقوله: (فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا لا يَزِدْنَ عَلَيْهِ) اقتصار على القدر المطلوب الذي يؤدي الغرض، ونهي عن الزيادة يشير إلى خطر الأمر لأنه يؤدي إلى الكبر، أو يتشبه به، والكبر من الذنوب التي تستوجب الحرمان من محبة الله، ومحبة الناس.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم لبس القميص وكم طول كمه: يستحب لبس القميص، لأنه يستر عورته، ويباشر جسمه، فهو أمكن في الستر من الرداء والإزار اللذين يحتاجان كثيرًا إلى الربط والإمساك وغير ذلك.

والسنة أن يكون طول الكم إلى الرسغ لا يتجاوزه، وأن يكون واسعًا باعتدال من غير تفريط، أما الأكمام الواسعة الطوال التي هي كالأخراج، فهي مخالفة للسنة، لم يلبسها النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه البتة، لأنها من الخيلاء.

فالمكروه كل ما زاد على العادة، وعلى المعتاد في اللباس من الطول والسعة، وما كان على طريق العادة فلا[1].

---

(١) رد المحتار ٢٦/٣٣٧، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي ٨/١١٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٤٥٣، ٤٥٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١/٣٣٠.

٢-حكم لبس العمامة، وإرخاء طرفها، ومقداره: وقد سبق بيانه في الأحاديث رقم (٧٧٧، ٧٨٥).

٣-طول الإزار: اتفق الفقهاء على أنه يستحب للرجل أن يكون إزاره إلى أنصاف ساقيه، وإن أراد تطويله فإلى الكعبين، فذلك أنقى لثوبه، وأتقى لربه، ويكره له ما زاد على ذلك إلا لعذر، كمن برجله جرح يؤذيه الذباب، وأسبل إزاره ليسلم من أذاها، فلا يكره، أما المرأة فقد اتفقوا على أنه يستحب لها ذيلها أسفل الكعبين بقدر شبر، فإن زدن على ذلك فمبقدار ذراع لا أكثر[١].

٤-حكم الإسبال: أجمع العلماء على أن إسبال الإزار، ونحوه إذا كان على سبيل الخيلاء يعد كبيرة، ومن أعظم الذنوب، فيحرم على الرجل جر ثوبه، أو إزاره على وجه الكبر والتعجب والزهو.

فإن جره لغير ذلك فهو مكروه، إلا إذا كان لحاجة "كقبح ساقه مثلاً" أو لضرورة، كمن يكون بكعبيه جرح مثلاً يؤذيه الهوام كالذباب مثلاً إن لم يستره بإزاره فلا يكره[٢].

والإسبال لا يختص بالثوب والإزار فقط، بل يكون في كل شيء بحسبه، ففي القميص بتطويل أكمامه تطويلاً زائدًا على المعتاد، وفي العمامة بإرسال العذبة زائدًا على ما جرت به العادة، وهكذا.

كما أجمعوا على جواز الإسبال للنساء[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) رد المحتار ٣٣٧/٢٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٠٦/٢، ٤٠٧، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٧/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٣٠/١.

(٢) الكبائر ١٦٤، والزواجر ٤١٠/١، ومجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٨/٨، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٠٦/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٤/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٠٥/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٩/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٥/١٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٤٧١/٢.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٠١- مع المضامين الدعوية للحديث (٧٩٩، ٨٠٠).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

عرف العرب الكبر، وكانت له مظاهر شتى منها: المشية، الكلمة، الجلسة، الملبس، ومن مظاهر الكبر في الملبس إطالة الثياب حتى الأرض وكذا الإزار، ولبس ثوبين وهو ما عالجه الرسول ﷺ في حثه على ترك ذلك من خلال ما يلي:

أولاً- التربية الإيمانية:

تتجلى التربية الإيمانية في بيان رسول الله ﷺ أن النية أعظم الأسس التي يدور عليها العمل وحكمه، وذلك في إيضاحه لأبي بكر إعفاءه من إثم استرخاء أحد شقي إزاره، حيث قال له: " إنك لست ممن يفعله خيلاء" إذ أن قوام الأعمال بالنيات وأنها تختلف في أحكامها بحسب اختلافها في النية المنبعثة عنها"[1].

لذا كان من الواجب تربية النفوس لاسيما الناشئة منها على إخلاص العمل لله وتجرد النفس من العبودية والعمل لغير الله، وأن يتربى المؤمن على تقوى الله وتصحيح نيته وإخلاصها، ولا يعني ذلك الدعوة إلى إهمال العمل وإهمال الظاهر، بل لا بد من تكامل الظاهر مع الباطن، وبناء الظاهر على أساس قوي من الباطن، فالمسلم يجب عليه أن يكون نظيف الباطن مخلص النية مبتغياً الحرص على العمل الصالح، والبعد عن العمل الطالح، كما ينبغي كذلك أن يكون سوي السلوك طيب القول، نظيف الظاهر، حسن الهندام، وبذلك تتكامل شخصيته بشقيها: الجوهر والمظهر"[2].

ثانياً- التربية الخلقية:

ونرى ذلك واضحاً في الحض على التواضع والبعد عن الاستكبار والترفع على الناس، حتى ولو كان ذلك في الملبس عن طريق الإسبال وغيره، كما في قوله ﷺ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ».

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٦٠.

(٢) انظر: دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي، ص٩-١٦.

"إن تهذيب الأخلاق وتربية الروح على الفضائل كالتواضع وغيره من الأهداف الرئيسة للتربية الإسلامية من أجل بناء إنسان على خلق عظيم في إطار القيم الخلقية التي صاغتها العقيدة الإسلامية"(١).

لقد بات معلوماً في الأذهان والضمائر مدى تأثير التربية الأخلاقية في بناء الأفراد والشعوب، فما من شك "أن للأخلاق أثراً قوياً في بناء الأمم والأفراد لأن كل السلوكيات والتصرفات ناشئة عن تلك الأخلاق، وبها يبلغ المرء أعلى المراتب والدرجات وأزكاها أو ينحدر إلى أسوأ الدركات وأردها"(٢).

لذا كانت التربية الأخلاقية والتنشئة الروحية مطلباً رئيساً في التربية الإسلامية والغاية منها: "إعداد إنسان خيِّر في الحياة لينال خيرية المصير، والخيرية الحياتية تتطلب الخيرية الذاتية من خلال كون نية الإنسان وغايته خيرة في حياته كلها والكف عن جميع الشرور، وفعل الخيرات بالنيات الخيرة، وكون الأعمال الخيرة متفقة مع معتقد فاعلها، والخيرية الحياتية تعني كون الإنسان سليم النفس والجسم والعقل والوجدان والروح والعاطفة، وكل هذه الأمور تؤدي في النهاية إلى إحساس بخيرية المصير"(٣).

ثالثاً- التربية الاقتصادية:

لقد حرم الإسلام الإسراف وحذر منه، كالزيادة في الإنفاق التي لا داعي لها خاصة إذا كانت هذه الزيادة منهياً عنها كإسبال الثياب التي نهت عنه أحاديث الباب.

لقد أوصى الإسلام بترشيد الاستهلاك والإنفاق، ورهب من الإسراف حتى في المباحات وعَظَّم إثمه في المحرمات، وجعل الله من صفات عباد الرحمن ترشيد الاستهلاك والإنفاق، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾(٤).

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٦٦، ٦٧.

(٢) انظر: التربية الذاتية من الكتاب والسنة، هاشم علي أحمد، ص١١٠.

(٣) محاضرات ودراسات في أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص١٦٧.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

"لقد وضع الإسلام الموازين الصحيحة في اكتساب المال وفي إنفاقه، أنزلها الله نوراً وهداية للإنسانية لتسير في المال على منهج واضح مستقيم وتبني أسسها الاقتصادية على هذا الطراز المقدس من كلام الله تعالى العليم بأحوال الناس وما يصلحهم في معاشهم ومعادهم.

إن المال قوام الحياة وميدان النشاط البشري فوق البسيطة"[1]. لذا ينبغي تحري السبل والوسائل المباحة في تحصيله والطرق المشروعة في إنفاقه وترشيد استهلاكه.

رابعاً- التربية الجمالية:

إن الدعوة إلى التربية الجمالية ليست من باب الترف، وإنما هي أمر أصيل دعا إليه الإسلام، إذ أن المسلم ينبغي أن يكون بسلوكه وملبسه وهندامه علامة بين الناس يشار إليه بالبنان، ويسترعى الأنظار.

وكما جاء في الحديث: «فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ، حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ». وفي ذلك حفاظ لكرامة الإسلام واحترام المسلمين.

لقد حرص الإسلام حرصاً شديداً على مظهر الجمال، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾[2].

ودعا إلى النظافة وجعلها شرط صحة للعبادات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ﴾[3].

"إن العاقل من الناس يلتمس الجمال في كل مجال لينتفع به، وان استطاع أمتع غيره

---

(١) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الألمعي ص٣٩٨، ٣٩٩.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦.

به، كما أن السعيد يتطلع إلى ناحية الجمال في الحياة، إذا أظلمت الحياة انتظر إشراقة الصباح، وإذا غربت الشمس انتظر شروقها، وإذا غاب القمر فالنجوم تتلألأ، وحينئذ تخف وطأة الحياة، ويملأ التفاؤل حياة الإنسان" [١].

خامساً: أسلوب المتابعة والتقويم:

إن من أهم أساليب التربية متابعة المربي لمن يربيهم من الناشئة والتلاميذ وغيرهم لما يصدر من سلوكياتهم وتصويب الصحيح منها وتقويم الخطأ منها، وهذا أسلوب نبوي أصيل، كما رأينا في أحاديث الباب من متابعته ﷺ للصحابة في سلوكياتهم في ملابسهم وتقويم ورفض الخاطئ منها، وذلك كإسبال الثياب، ومن شواهد ذلك قوله لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وقد استرخى إزاره "يا عبدالله ارفع إزارك".

لذا ينبغي على المربي تنفير مَن يربيه من كل ما يضر في أمور الدين والدنيا.

إن التنفير من الأمور السيئة لا يقل أهمية عن التحبيب في الأمور الطيبة، بل إن التنفير والتحذير من العوامل الأساسية التي تطهر الإنسان من الأفكار والمفاهيم الباطلة المضللة، والسلوكيات الخاطئة.

إن أسلوب التقويم من الأمور السيئة، وغير المحببة والتحذير منها قاعدة أساسية في الدنيا، وهي قاعدة ناجحة بكل المقاييس [٢].

سادساً: مراعاة الفروق الفردية والنوعية:

وذلك ما نلاحظه في المغايرة بين طول الثياب للرجل والمرأة، فبالنسبة للمرأة ينبغي عليها إطالة الثياب، والرجل تقصير الثياب، وعدم إسدالها، وكما جاء في أحد أحاديث الباب: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مِنَ الْخُيَلاَءِ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ» قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ تَصنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ : «تُرْخِينَهُ شِبْرا» قَالَتْ: إذا تَنْكَشِفَ أَقْدَامُهُنَّ قَالَ: «تُرْخِينَهُ ذِرَاعا لاَ تَزِدْنَ عَلَيْهِ».

---

(١) انظر: التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، محمد أحمد جاد صبح، ١/١٠٤، ١٠٥.

(٢) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد ص ٢٥٨-٢٦٠.

لذا ينبغي على المربي والمعلم أن يستحضر ما بين الناس من فروق وتباين في الجنس والفكر، ونحو ذلك.

"فالناس معادن، وقدرات وطاقات متفاوتة حرصاً وذكاءً، واستعداداً وتحصيلاً، والمعلم يتعامل مع الجميع ويخاطب الكل، وهنا تكمن مهارته في إقناع الجميع وتحقيق التوازن بينهم.

إن الاعتناء بالفروق الفردية أمر لم تبتكره التربية المعاصرة، بل أشار إليه أسلافنا الأوائل وأوصوا المعلم به"[1].

قال النووي: "وينبغي أن يكون -المعلم- باذلاً وسعه في تفهيم تلاميذه، وتقريب الفائدة إلى أذهانهم، حريصاً على هدايتهم، ويفهم كل واحد بحسب فهمه، وحفظه فلا يعطيه مالا يحتمله ولا يقصر به عما يحتمله بلا مشقة ويخاطب كل واحد على قدر درجته، وبحسب فهمه وهمته، فيكتفي بالإشارة لمن يفهمها فهماً محققاً، ويوضح العبارة لغيره، يكررها لمن لا يحفظها إلا بتكرار..."[2].

سابعاً- من وسائل التربية: التربية بالملاحظة والمتابعة:

إن من أهم أسباب نجاح العملية التربوية والتعليمية تفعيل عملية المتابعة والملاحظة من قِبَل المربين والمعلمين، وذلك منهج إسلامي أصيل، ونلاحظ ذلك في أحاديث الباب، حيث إن النبي ﷺ لم يقتصر على مجرد النهي عن إسبال الثياب، وإنما شفع ذلك عملياً بالإنكار على مسبل الثياب، وأمره بتقصيره، ومن أمثلة ذلك قوله لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما وقد استرخى إزاره "يا عبدالله ارفع إزارك" فكان في ذلك إرشاد عملي توجه به الرسول ﷺ إلى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

إن أسلوب المتابعة والملاحظة لا يقتصر على العملية التعليمية والتربوية والدعوية فحسب، وإنما ينبغي أن يمتد ويتسع ليشمل جميع ميادين العمل والحياة كالمجال الإداري ونحوه، إذ أن من مهام المدير الإداري متابعة تنفيذ الخطة والإشراف على العمل،

---

(١) المدرس ومهارات التوجيه، محمد بن عبدالله الدويش ص٣٤، ٣٥.

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي ١/٧٥.

وتعني المتابعة الرقابية الضبط والتأكد من أن ما يتم إنجازه مطابق لما تقرر في الخطة الموضوعة وهي عملية هامة إذ بها يتفادى المدير وقوع العاملين في الأخطاء، وبه يتم كسب الوقت والجهد لأنه يترتب على وقوع الخطأ الإصلاح، وهذا يتطلب تكلفة مالية وبشرية وزمنية، ولكن بالمتابعة يتم تلافي ذلك[1].

ثامناً- من أهداف التربية: قبول الحق والتسليم له والنزول:

ويتجلى ذلك في أحاديث الباب في مدى امتثال الصحابة للمربي الأعظم محمد ﷺ، ومن دلائل ذلك ما قاله ﷺ عن خريم رضي الله عنه "نعم الرجل خريم الأسدي، لولا طول جمته وإسبال إزاره"، فبلغ ذلك خريماً فعجَّل فأخذ شفرة فقطع بها جُمَّته إلى أذنيه، ورفع إزاره إلى أنصاف ساقيه" وذلك دليلٌ عمليٌّ على المسارعة إلى الصواب، والنزول على الحق بمجرد العلم والإحاطة به، وكذلك ما كان من ابن عمر رضي الله عنهما لما أمره النبي ﷺ بقوله: "يا عبدالله ارفع إزارك، فرفعته، ثم قال زد، فزدت، فما زلت أتحراها بعد، فقال بعض القوم إلى أين؟ فقال إلى أنصاف الساقين".

"إن من علامات صدق الإيمان لدى المسلم إذعانه للحق وقبوله من أي مصدر كان، فالصادق لا تراه إلا باحثاً عن الحق الذي يتعبد به لربه عز وجل، ويقربه إلى مولاه، وإذا بان له الدليل ولاح له الحق فرح به، ووجد فيه بغيته، ولا يرده أبداً مهما كان قائله صغيراً كان أو كبيراً عدواً كان أو صديقاً.

وإذا وجدت هذه الصفة الكريمة عند المسلم وصارت من عادته وأخلاقه فإنها تنفي كثيراً من الصفات الذميمة مثل الكبر والاستعلاء والتعصب للآراء والتحزب للأشخاص، والهيئات، كما أنها تورث المحبة والألفة بين أهل العلم والدين، وتورث الاجتماع والائتلاف، وتنفي الفرقة والاختلاف.

كما أن قبول الحق والتمسك به يقتضي القول به والدعوة إليه دون لَبْس أو تردد، فالصادق لا تراه إلا صادعاً بالحق، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يجامل ويداهن في ذلك، ولا تصده رغبة ولا رهبة عن قول الحق"[2].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٣٦٣.

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجُلَيِّل، ١/٣٢٥.

تاسعًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-الحوار والمناقشة، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: "من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة" فقالت أم سلمة: فكيف تصنع الناس بذيولهن قال: يرخين شبرًا. قالت: إذًا تتكشف أقدامهن قال: فيرخينه ذراعًا لا يزدن".

والحوار والمناقشة من الأساليب التي تُفَعّل دور المتعلم في العملية التعليمية، لأنها تتيح له الفرصة للمشاركة والإيجابية.

ب-الترهيب: كقوله ﷺ: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم". والترهيب من الأساليب التربوية التي تدفع المتعلمين إلى اجتناب الأفعال والأقوال المرهب منها، نظرًا لما يترتب عليها من عقاب وعذاب.

ج-الإلقاء: كما في قوله ﷺ: "الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جرّ شيئًا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة".

والإلقاء يكون بالعرض الشفهي للمعلومات على المتعلمين ويمكن الإلقاء المعلم من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب، لذا كان من الأنسب استخدامه في المراحل العليا من التعليم كالمرحلة الثانوية والجامعية.

د-الوصية: كما في حديث أبي جريٍّ جابر بن سليم رضي الله عنه فقد قال لرسول الله ﷺ: "اعهد إلي" قال: لا تسبّن أحدًا" قال: فما سببت بعده حرًا ولا عبدًا ولا بعيرًا ولا شاة... الحديث".

والوصية من الأساليب التربوية الشائعة الاستخدام الكثيرة الوقوع في الحياة اليومية، كما وتتميز بطول بقاء أثر التعليم.



١٢٠- باب استحباب ترك الترفع في اللباس تواضعاً

قَدْ سَبَقَ فِي بَابِ فَضْلِ الجُوعِ وَخشُونَةِ العَيْشِ جُمَلٌ تَتَعَلَّقُ بهذا الباب [١].

الحديث رقم (٨٠٢)

٨٠٢- وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((**مَنْ تَرَكَ اللِّبَاس تَوَاضُعاً للهِ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعَاهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ ايِّ حُلَلِ الإيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا**)) رواه الترمذيُّ [٢] ، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

معاذ بن أنس الجُهَني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٧).

غريب الألفاظ:

حلل: جمع حلة: الثوب الجيد الجديد غليظاً أو رقيقاً. والمراد: الزينة في الجنة [٣].

الشرح الأدبي

سرد الصحابي الحديث في ثوب الخبر المؤكد بأكثر من مؤكد، منها (أن) واسمية الجملة، وصياغة فعل القول في صيغة الماضي الذي يدل على تحقق الوقوع، ولعل ذلك يرجع إلى إحساسه بعظمة من يحدِّث عنه، ورغبته في تعظيم الخبر في أسماع المخاطبين، وتنبهاً إلى أهمية ما بعده.

وقد جاء المعنى النبوي في أسلوب الشرط الذي يربط الجزاء بالفعل، وقوله (من ترك اللباس) من اسم موصول متضمن معنى الشرط، وترك اللباس أي ترك الزينة

---

(١) الباب رقم ٥٦ ، الأحاديث ٤٩٠-٥٢٠.

(٢) برقم ٢٤٨١. وقال الحاكم ١٨٤/٤: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٦٦.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ل ل)، ودليل الفالحين، ابن علان ١٠٥٧، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٣٢/٢.

والعناية الزائدة عن الحد، وتقييده بقوله: (تواضعاً لله) فيه إشارة إلى ضرورة توفر النية، والإخلاص لله، وليس رياءً أو عجزاً، ولذلك قال: (وهو يقدر عليه) وقد أكد الخصوصية، والمقدرة بتعريف المسند إليه بالضمير، واستحضر الصورة بالمضارع الدال على الحال، والاستقبال.

ونسبة الفعل في جملة الجزاء لله تشريف للعبد، وتكريم له، وترغيب في الفعل، وقد صعَّد هذه المعاني بتقييده أولاً: بالظرف (يوم القيامة) ؛ لأن هذا اليوم لا قوة فيه لغير الله، ومن نجا فيه فاز فوزاً لا خسارة بعده، ونال الراحة الأبدية بعز رب البرية، ثم قيده ثانياً بالجار، والمجرور (على رءوس الأشهاد) وهو جزاء معنوي بتكريمه على الملأ يتبعه نعيم حسِّي، ولذلك جاء قوله (حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا) والإبهام الذي في (أي) يجعل الاختيار مفتوحاً، وجمع الحلل يشير إلى كثرتها، وإضافتها إلى الإيمان؛ لأنه الداعي المحرك للتواضع لله، وترك الترفع، والفعل المضارع (يلبسها) يصور هذا المتواضع البسيط بالأمس يتقلب في نعمة الله الآن في أجمل الحلل يخلع هذه، ويلبس تلك جزاءً من جنس العمل فقد قابل تواضعه لله بأن شهره بنفسه، ودعاه، وقابل خموله في الناس بترك التباهي بتكريمه على رءوس الأشهاد، وقابل تركه لثياب الدنيا بحلل الأيمان.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

استعمال اللباس: استعمال اللباس تعتريه الأحكام الخمسة: فالفرض منه ما يستر العورة ويدفع الحرّ والبرد. والمندوب إليه أو المستحب: هو ما يحصل به أصل الزينة وإظهار النعمة، ومن المندوب اللبس للتزين ولا سيما في الجمع والأعياد ومجامع الناس، والمكروه: هو اللباس الذي يكون مظنة للتكبر والخيلاء، والحرام هو اللبس بقصد الكبر والخيلاء[1].

---

(١) انظر: مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٧/٨، والمنتقى شرح الموطأ، ابو الوليد سليمان الباجي ٣٠٢/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٣/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤١/١، والموسوعة الفقهية ١٢٨/٦-١٢٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ثواب التواضع يوم القيامة.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثاً: من آداب الداعية: حث المدعوين على التواضع.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله وكرمه لعباده المؤمنين الطائعين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: ثواب التواضع يوم القيامة:

إن المسلم هين لين يتواضع للناس ويخفض جناحه لهم، ولا يتكبر عليهم، سواء في قوله أو فعله أو لباسه، ويتضح هذا مما جاء في الحديث: «مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعاً لله وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعَاهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ حَتَّى يُخَيِّرُهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا»، ولا شك أن هذا بيان لثواب التواضع في اللباس يوم القيامة، قال المباركفوري: "من ترك لبس الثياب الحسنة المرتفعة القيمة تواضعاً لله، أى لا ليقال إنه متواضع أو زاهد، والناقد بصير، يشهره الله ويناديه من أى حلل أهل الإيمان شاء يلبسها"[١].

وقال القاسمي: (واللباس مما يظهر به التواضع والتكبر، وعلامة المتكبر فيه حرصه على التزين للناس للشهرة والمخيلة - وأما طلب التجمل لذاته في غير سرف ولا مخيلة فليس من الكبر، والمحبوب الوسط من اللباس، الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة، وبالجملة فمجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي ﷺ فينبغي أن يُقتدى به، ومنه ينبغي أن يتعلم"[٢].

وقال الماوردي: "وأما الجمال والزينة في اللباس فهو مستحسن بالعرف والعادة، من غير أن يوجبه عقل أو شرع، وفي هذا النوع قد يقع التجاوز والتقصير، ولذلك، قال عمر رضي الله عنه إياكم لبستين: لبسة مشهورة، ولبسة محقورة"[٣]. (من ترك المظاهر وهو قادر

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ١٩٣٢/٢.

(٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ٢٩٧/٢.

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٣٤٠.

عليها إيثاراً للزهد على التظاهر، ولما عند الله على زهرة الدنيا لا عن بخل وشح، وتصدق بماله أو استغله في خير المسلمين، أثابه الله يوم القيامة بتعويضه ما حرم نفسه منه أضعافاً مضاعفة، ورفع ذكره بين الخلائق، ويسر عليه في هذا اليوم العسير)[١].

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن الأساليب الدعوية تتنوع وتتعدد إلى أساليب مختلفة، والداعية الناجح هو الذي يستطيع أن يختار من الأساليب أنسبها للمدعوين، ومن هذه الأساليب أسلوب الترغيب، حيث جاء في الحديث: "حتى يخيره من أى حلل الإيمان شاء يلبسها"، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعوين في فعل الطاعات وترك المنكرات، فإن النفس البشرية جبلت على حب الخير، والوعد بالأجر، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٢].

قال الشيخ محمد الغزالي: "الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله، جاء في الكتاب والسنة مقروناً ببشريات كثيرة وحكم مذكورة، والدعاة عندما يغرون العامة والخاصة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المضروبة، والعلل الباعثة. هذا وقد اطرد في القرآن والسنة نعت الجنة بما يجعلها أمنية المتقين ومستقر الركب المرتحل بعد سفر طويل، والترغيب في الصالحات بهذا الأسلوب مستقيم مع الحق لامرية فيه"[٣].

ثالثاً- من آداب الداعية: حث المدعوين على التواضع:

إن الداعية يوجه المدعوين إلى ما ينفعهم، ويحرص على التزامهم بتوجيهات الإسلام، ولا يفتأ، يذكر المدعوين كلما علم خيراً، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: "من ترك اللباس تواضعاً لله" والتواضع خلق نبيل، وبه أُمر سيد المرسلين، قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ

---

(١) شرح رياض الصالحين ٤٦٥.

(٢) سورة العاديات، آية: ٨.

(٣) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة ٣١٢.

(٤) سورة الحجر، آية: ٨٨.

وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[1]، والتواضع وعدم الترفع مما أمر به لقمان ابنه في وصيته: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[2].

ووعد رسول الله ﷺ من يتواضع بأن يرفعه الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ»[3]. وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللّهِ لأَبَرَّهُ))[4].

ومن تواضع النبي ﷺ ما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها عندما سئلت: ((ما كان النبيُّ ﷺ يصنعُ في أهلِهِ؟ قالت: كان في مِهنةِ أهله، فإذا حضَرَ إلى الصلاةُ قام إلى الصلاة))[5]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن كان النبيُّ ﷺ ليخالِطُنا حتى يقولَ لأخ لي صغير: ياأبا عُمَير، ما فَعلَ النغَير»[6].

قال الغزالي: (سئل الحسن البصري عن التواضع فقال: التواضع أن تخرج من منزلك، ولا تلقي مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً. وقيل لعبدالملك بن مروان أي الرجال أفضل؟ قال من تواضع من قدرة، وزهد عن رغبة. وقال عبدالله بن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا، حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا، حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل)[7].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٢٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٣٩.

(٦) أخرجه البخاري ٦١٢٩، ومسلم٢١٥٠.

(٧) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ٣/٣٤٢.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله وكرمه لعباده المؤمنين الطائعين:

إن فضل الله واسع ورحمته واسعة، وكرمه عظيم لعباده المؤمنين الطائعين، ويستنبط هذا من قوله ﷺ في الحديث: ((دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا))، ولا شك أن هذا يدل على فضل الله وكرمه، وعظيم ثوابه لعباده الطائعين المتقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾[1]. وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۝ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[2].

قال ابن القيم: (وهو سبحانه وتعالى أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، وأنه سبقت رحمته غضبه، وحلمه عقوبته، وعفوه مؤاخذته، وأنه قد أفاض على خلقه النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وانه يحب الإحسان والجود، والعطاء والبر وأن الفضل كله بيده، والخير كله منه، والجود كله له، وأحب ما إليه: أن يجود على عباده، ويوسعهم فضلاً، ويغمرهم إحساناً وجوداً، ويتم عليهم نعمته، ويضاعف لديهم منته، ويتعرف إليهم بأوصافه وأسمائه، ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه، ولو أن أهل سماواته وأرضه، وأول خلقه وآخرهم، وإنسهم وجنهم، ورطبهم ويابسهم، قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد ما سأله: ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة، فسبحانه هو الجواد لذاته، العفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والفضل أحب إليه من العدل، والعطاء أحب إليه من المنع)[3].

---

(١) سورة القمر، الآيتان: ٥٤-٥٥.

(٢) سورة المرسلات، الآيتان: ٤١-٤٢.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣٨٩/١، ٣٩٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

التواضع من قيم الإسلام، ولهذا حبب الإسلام في كل ما يكسب هذه القيمة وينميها مثل: السلام على الصغار، ومسح رؤوس الأيتام والتوسط في الطعام والشراب، وترك فاخر الثياب، ومن هنا كان الحرص على:

أولاً- غرس خلق التواضع:

لقد جاء في الحديث صورة من الصور العملية للتحلي بخلق التواضع في قوله ﷺ "من ترك اللباس تواضعاً لله".

وإذا كان التواضع والتخلق به مطلوباً من المسلمين عامة، فإنه مطلوب من المربين والموجهين والمرشدين خاصة، إذ أن التكبر والتعالي على الآخرين والنظر إليهم بعين الاستصغار والازدراء يُعدُّ عقبة كَأْدَاء بين المربي وتلميذه، إذ كيف يسمع الأخير لمن ميَّز نفسه عنه وتعالى عليه[1]، وتطاول حتى بدا وكأنه من جنس آخر أعلى من جنس الإنسان.

وبهذا يتبين أن التخلق بالتواضع من أركان التربية الخلقية ولوازم العملية التعليمية، وبدونه لا تؤثر التربية، ولا تجني ثمار التعليم، إذ أن من طبيعة الناس التي جبلهم الله تعالى عليها أنهم لا يقبلون قول من يستعلي عليهم، ويحتقرهم ويستصغرهم، وإن كان ما يقوله حقاً وصدقاً" [2].

لذا ينبغي على المربي أن يكون قدوة حسنة في سلوكه وتصرفاته مصبوغاً متخلقاً بخلق التواضع لتكون تعاليمه أقرب ما تكون للقبول، وإرشاداته أسرع ما تكون إلى التنفيذ والتطبيق، وإذا ما توفر في المعلم والمربي التواضع والمتعلم والتلميذ الاحترام والإجلال نجحت عملية التربية نجاحاً لا مثيل لها، وانتهى الجميع إلى أسمى الغايات من الرفعة والسمو والارتقاء.

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣٥٠.

(٢) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ص٣٤٧.

ثانياً- التركيز على معاني العقيدة:

إن من خصائص التربية الإسلامية التركيز على معاني العقيدة الإسلامية سواء كان ذلك وارداً في صريح الكلام أو في طياته، كما وردت الإشارة في حديث الباب إلى ذلك في قوله ﷺ: "من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة..."، وفي ذلك توجيه للمتعلم باستثارة ما هو كامن في عقيدته من الإيمان باليوم الآخر، وغيره من أركان الاعتقاد، لذا ينبغي على المربي تعميق العقيدة ومعانيها في النفوس، "حيث إن الإنسان في هذه الحياة يقوده اعتقاده واقتناعه، فالإنسان كما هو معروف يقاد من داخله، وإذا نبض هذا الداخل واستضاء بالعقيدة الحقة، داخلت نفسه بشاشة الإيمان وسرت فيه روح الحياة وتحركت طاقاته، وانطلقت مُفعَّلَةً بوقود إلهي رباني يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار"[1].

ثالثاً- التربية بالترغيب:

إن الترغيب في العمل الصالح بالتحبيب فيه والوعد عليه بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة أو عاجلة، من أنجح الأساليب التربوية، "بل هو من الأساليب الضرورية لأي معلم ومربٍّ، إذ أن النفس البشرية قد فطرت على حب الكسب المترتب على فعل شيء ما دنيوياً كان الكسب أو أخروياً"[2].

وقد جاء استخدام الترغيب في حديث الباب، حيث بين ﷺ أن من ترك التظاهر وهو قادر عليه إيثاراً للزهد على التظاهر أثابه الله بتخييره بين حلل الجنة يلبس ما شاء منها، فقال ﷺ: «مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعاً لله وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ حَتَّى يُخَيِّرُهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا».

إن استخدام أسلوب الترغيب والترهيب في مجال التربية من الأهمية بمكان "فالإنسان بطبيعته النفسية يتأثر بما يثير الخوف في نفسه، وما يدفع بالأمل في قلبه.

إن الأعمال التي يريد المربي إتيانها من قِبَلِ المتربين لأنها مفيدة لهم أو يقلعوا عنها

---

(١) الدعوة إلى الله، "الرسالة، الوسيلة، الهدف"، د. توفيق الواعي، ص١١٧.

(٢) انظر: دعوة الرسل، د. بكر زكي عوض، ص١٤٠.

لأنها ضارة بهم تحتاج في تنفيذها إلى حوافز وتشجيعات أو إلى نواهٍ وزواجر، ومن هنا تأتي الحاجة إلى الترغيب والترهيب"[١].



(١) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص٢١٧، ٢١٨.

١٢١- باب استحباب التوسط في اللباس

ولا يقتصر على ما يزري به لغير حاجة ولا مقصود شرعي

الحديث رقم (٨٠٣)

٨٠٣- عن عمرو بن شعيب، عن أبيهِ، عن جَدِّهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ اللهَ يُحِبُّ أنْ يُرَى أثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

المعنى الذي يتناوله الحديث يُحدث توازناً بين الافتخار، والزينة، وبين الرثاثة والتبذل بحيث يتخذ المؤمن موقفاً وسطاً يتعامل به مع نعم الله في المطعم، والملبس وكل شؤون الحياة.

وقد جاء المعنى في صورة خبرية مؤكداً بأكثر من مؤكد تعظيماً له ينبع من قلب المتكلم يبعثه بنفس درجة إحساسه به في قلوب المخاطبين، ثم إن مجيء لفظ الجلالة (الله) مسنداً إليه فيه تشويق بالإضافة إلى أن لفظ الجلالة من الألفاظ الموحية بطبيعتها؛ لأنه يوحي بالهيبة، والجلال، والجمال في كل نفس بقدر صفائها، واستعدادها لتقبل وحيها.

أضف إلى ذلك ما تثيره كلمة (يحب)، (وأن يرى) الرؤية يمكن أن تكون بصرية أي تبصر نعمة الله ظاهرة على حاله، ويمكن أن تكون قلبية بأن يستشعرها في قلبه، ويستعظمها على نفسه، وأن يعلم أنه لا حول له، ولا قوة له فيها، بل هي محض فضل الله، وأثر النعمة ما يظهر منها بأن تظهر على مأكله، وملبسه، وصدقته، وزكاته، وتعليمه الناس إن كان عالماً، وخدمته للناس إن كان صاحب منصب، أو حرفة،

---

(١) برقم (٢٨١٩). وقال الحاكم (١٣٥/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

والتعبير بحرف الجر (على) في قوله: (على عبده) يشير إلى كمال الظهور حتى تستعلي عليه، لأن الشيء كلما ارتفع كان أتم في الظهور، وذلك لون من ألوان شكر النعمة.

والتعبير بالعبد تذكير بلوازم العبودية من الذل، والخضوع، وإضافة العبد للضمير العائد على الله تشريف للعبد يقتضي مزيد شكر، وطاعة للمنعم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على إظهار أثر نعم الله على الإنسان.

ثالثاً: من آداب المدعو: التحدث بنعمة الله والشكر العملي لها ببذل المعروف والصلة.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث: "إن الله يحب" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تقنع المدعوين، وتبين مدى ثقة الداعية فيما يقول، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب التوكيد، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾[1]، وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾[2].

(إن التوكيد القرآني كله وحدة متكاملة، منظور إليه نظرة شاملة، وقد روعيت في ذلك جميع مواطنه، فهو يؤكد في موطن ما، مراعياً موطناً آخر قرب أو بعد، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد، ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهاً به، لانعدام موجبه، وترى أنه هنا أكد بمؤكدين، وأكد في موطن آخر يبدو شبيهاً به بمؤكد واحد، لسبب دعا إلى استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له. ولقد جاء التوكيد كله في القرآن كله كأنه لوحة فنية واحدة، فيها من عجائب الفن - وليس فيها إلا العجيب - ما يجعل أمهر الفنانين يقف مبهوراً دهشاً، مقراً بعجز الخلق

(١) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

(٢) سورة التكوير، آية: ١٩.

أجمعين عن استخلاص عجائبه، فضلاً عن الإتيان بمثله)[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على إظهار أثر نعم الله على الإنسان:

حيث جاء في الحديث: "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده". قال المباركفوري: "والمراد بأثر نعمته أي: إحسانه وكرمه تعالى، فَمِنْ شُكْرِها إظهارها ومن كُفْرانها كتمانها. قال المظهر: يعني إذا أتى الله عبداً من عباده نعمة من نعم الدنيا فليظهرها من نفسه، بأن يلبس لباساً يليق بحاله لإظهار نعمة الله عليه، وليقصده المحتاجون لطلب الزكاة والصدقات، وكذلك العلماء يظهروا علمهم ليستفيد الناس منهم"[٢]. هذا وقد امتن الله على عباده بكثير من نعمه، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٣]، وأمر الله بإظهار نعمته والتحديث بها قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٤].

قال السيوطي: عن أبي نضرة قال: "كان المسلمون يرون أن من شكر النعمة أن يُحدِّث بها". وعن عمر بن عبدالعزيز قال: "إن ذكر النعم شكر". وعن الحسن قال: "أكثروا ذكر هذه النعمة فإن ذكرها شكر". وعن قتادة قال: "مِنْ شُكْرِ النعمة إفشاؤها". وعن الحسن بن علي قال: "إذا أصبت خيراً فحدث إخوانك"[٥].

وقال ابن عاشور: "وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٦]، مقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[٧]، فإن الإغناء نعمة، فأمره الله أن يظهر نعمة الله عليه

---

(١) التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، ١٢٥.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢١١١/٢

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٣٤.

(٤) سورة الضحى، آية: ١١.

(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٩١/١٥.

(٦) سورة الضحى، آية: ١١.

(٧) سورة الضحى، آية: ٨.

بالحديث عنها وإعلان شكرها، وليس المراد بنعمة ربك نعمة خاصة، وإنما أريد الجنس، فيفيد عموماً في المقام الخطابي، أي حدث بما أنعم الله به عليك من النعم، فحصل في ذلك الأمر شكر نعمة الإغناء، وحصل الأمر بشكر جميع النعم لتكون الجملة تذييلاً جامعاً"[1]. والمسلم مطالب أن يظهر نعمة الله عليه.

قال ابن القيم: "إن الله سبحانه يحب ظهور اثر نعمته على عبده، فإنه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شكره على نعمه، وهو جمال الباطن، فيحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة، والجمال الباطن بالشكر عليها، ولمحبته سبحانه للجمال، أنزل على عباده لباساً وزينة تجمل ظواهرهم، وتقْوي تجمل بواطنهم، فقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾[2]، وقال في أهل الجنة: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾[3]، فجمل وجوههم بالنضرة، وبواطنهم بالسرور، وأبدانهم بالحرير. وهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والزينة والهيئة، يبغض القبيح من الأفعال والأقوال والثياب والهيئة، فيبغض القبيح وأهله، ويحب الجمال وأهله"[4].

وقد أرشد النبي ﷺ أصحابه إلى أن يظهروا نعمة الله عليهم، فعن أبي الأحوص عن أبيه قال: كُنْتُ جَالِسا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَآنِي رَثَّ الثِّيَابَ فَقَالَ: «أَلَكَ مَالٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ الْمَالِ قَالَ: «فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالاً فَلْيُرَ أَثَرُهُ عَلَيْكَ»، وفي رواية: «فلتر نعمته وكرامته عليك»[5].

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٢ -٣٠/٤٠٣

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

(٣) سورة الإنسان، الآيتان: ١١، ١٢.

(٤) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم ٢٦٢، ٢٦٣.

(٥) أخرجه النسائي ٥٢٢٣، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٤٨٢٠)، وأخرجه الترمذي ٢٠٠٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٢).

ثالثاً- من آداب المدعو: التحدث بنعمة الله والشكر العملي لها ببذل المعروف والصلة:

يتضح هذا من سياق الحديث: فإن الشكر الحقيقي لنعمة الله يكون بالتحدث بها وبذلها للناس إن استطاع، قال ابن القيم: "الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه: شهودا ومحبة، وعلى جوارحه: انقيادا وطاعة"[(١)]. وقد ربط الله سبحانه بين شكر النعمة والزيادة منها، فقال سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[(٢)]، وبين القرآن أن ثمرة شكر النعمة تعود على الشاكر نفسه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[(٣)].

والشكر هو الاعتراف بالإحسان، والمسلم يتحدث بنعمة الله ويشكر ربه عليها "إن الشكر هو ظهور أثر النعم الإلهية على العبد في قلبه إيماناً، وفي لسانه حمداً وثناءً، وفي جوارحه عبادة وطاعة، ويكون القليل من النعمة مستوجباً للشكر الكثير، فكيف بالكثير منها، والشكر شعبة من شعب الإيمان، فالشكر على النعمة يقابله الصبر على الضراء، والشكر صفة من صفات الله عز وجل، فقبل أن يُشَرِّف الحق سبحانه وتعالى عباده بدعوتهم إلى التخلق بالشكر، أخبرهم أنه في حقه صفة من صفات كماله، فمن أسمائه الحسنى "الشكور" لا يبخس العباد أعمالهم، ولا يظلمهم حقهم، بل يجزي بالحسنة أضعافها، ويجزي بالسيئة مثلها، وقد يعفو ويغفر. والشكر خلق من أخلاق الأنبياء عليهم السلام فهم أول من اقتبس من نور هذه الصفة الإلهية، فشكروا الله تعالى فشكر الله لهم"[(٤)].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢٤٤.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٢.

(٤) فضيلة الشكر، د. محمد عزالدين توفيق، مقال بمجلة البيان، العدد ١١٤، صفر ١٤١٨هـ/ يوليو١٩٩٧، ص٦٨، ٦٩.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده"، وإذا علم العبد أن الله يحب أمراً فإنه يسارع في فعله، وتنفيذه، فأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تدفع المدعو إلى تنفيذ الفعل. "ولما كان الإنسان مجبولاً على حب ما ينفعه، كان لأسلوب الترغيب والترهيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله، فإن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله أمر مطلوب، حتى يبادر العبد إلى الطاعة"[1].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[3].

---

(١) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي، ١٩٣.

(٢) سورة محمد، آية: ١٢.

(٣) سورة المطففين، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

لا يعني النهي عن اتخاذ فاخر الثياب كبراً أو شهرة أن يلبس الإنسان ردّي الثياب ورثه، بل الإسلام أذن بلبس ما يحسن لبسه وحرم التبذل في الملبس لمن كان ميسور الحال وبهذا تقوم التربية الإسلامية على:

أولاً- التربية على الوسطية والاعتدال والتوازن في جميع ميادين الحياة:

إن من ينظر في حديث الباب والأبواب التي قبله من كتاب اللباس ليلمس بحسه دعوة الإسلام وتربية أتباعه على الوسطية والاعتدال.

ففي الوقت الذي دعا إلى عدم التظاهر والمبالغة في استخدام الطيبات كما في قوله ﷺ "من جر ثوبه خيلاء" وقوله: "من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها"، يدعو إلى تلبية حاجات الإنسان وإظهار نعم الله عليه، فقال ﷺ "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده".

لقد ربى الإسلام أتباعه على اتخاذ التوازن والاعتدال منهجاً وسلوكاً، وذلك من دلائل كمال المنهج الإسلامي وعجز الأنظمة الأخرى، "فلقد عجز الإنسان على مر العصور عن وضع نظام متوازن يطبقه في واقعه، كما نجد أنه ليس هناك منهج أو نظام بشري يخلو من الإفراط أو التفريط، وهذا ما أثبته لنا التاريخ ويريه لنا الواقع" [(١)].

أما الإسلام بتوازنه فإنه يتناول عناصر الشخصية جميعها واحتياجاتها ومتطلباتها لا يغفل عن شيء منها، وما يتطلبه كل عنصر من مستلزمات ومناخ يزاول فيها نشاطه دون أن يكون هناك تعارض مع العناصر الأخرى، والذي جعل الإسلام هكذا لأنه دين الله الخالق، وهو أعلم بخلقه[(٢)].

---

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص٢٧.

(٢) انظر: معالم في التربية، د. عجيل جاسم النشمي ص١٢١.

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[١].

وهكذا نرى أن الإسلام ربى الإنسان بطريقة متوازنة[٢]، وكان نتاج ذلك إيجاد مجتمع متوازن وإنسان متوازن وشخصية إسلامية متوازنة في كل شيء في المادة والروح في الدنيا الآخرة، في الروح والعقل والجسم بعيدًا عن الغلو، دونما إفراط أو تفريط.

ثانياً- الابتعاد عن إيلام النفس وتعذيبها:

لقد جاء الحديث حاملاً دعوة الإسلام لأن تظهر نعم الله على من أنعم عليه، ومن مظاهر ذلك الاستمتاع بما خلق الله وأنعم في المباحات في حدود الضوابط المشروعة، فقال ﷺ: "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده".

وبذلك يظهر فضل الإسلام على غيره من الأديان والمذاهب التي وضعها البشر لأنفسهم، والتي "منها ما نظر أتباعها إلى الدنيا نظرة احتقار وعداوة، فحرموا على أنفسهم طيبات الحياة وزينتها وعطلوا قواهم من عمارتها والإسهام في تنميتها وترقيتها واكتشاف ما أودع الله فيها، كما عُرِف ذلك في برهمية الهند ومانوية فارس، وبدا ذلك بوضوح وجلاء في نظام الرهبانية الذي ابتدعه النصارى فعزلوا به جماهير غفيرة عن الحياة والتمتع بها والإنتاج فيها.

وأصبح الشائع في مفهوم الناس عن الدين والتدين الحق، هو الانقطاع عن العالم، والتفرغ للعبادة، وأن المتدين الحق هو الذي يتبطل فلا يعمل ويتقشف فلا يتمتع، ويتبتل فلا يتزوج، ويتعبد فلا يفتر، يده في الدنيا صفر، وحظه من الحياة خبز الشعير ولبس المرقع واتخاذ الفَلَوَات داراً"[٣].

لقد جاء الإسلام بمنهج يوجه الإنسان إلى الجمع بين الحياة الدنيا وما فيها من المنافع والملاذ والطيبات التي أحلها الله، وبين الحياة الآخرة ومصيرها في وقت واحد[٤]،

---

(١) سورة الملك، آية: ١٤.

(٢) الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد بن مقبل بن محمد المقبل، ص١٠١.

(٣) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص١٤١، ١٤٢.

(٤) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص١٣٧.

قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾[١].

ثالثاً- العناية بالمظهر والملبس:

من المضامين التربوية التي يحملها الحديث ويزجيها للمربين ولمن يتوجون إليهم بالتربية على حد سواء الاهتمام بالمظهر والملبس الطيب الذي يوحي إلى من يراه بعلامات وآثار نعمة الله عز وجل.

"إنه مما ينبغي الحرص عليه الاهتمام بجمال المنظر من حيث النظافة واللبس الحسن، فإن الله تعالى جميل يحب الجمال، نظيف يحب النظافة[٢].

وذلك في حدود القصد والاعتدال والبعد عما حرم الله تعالى.

فأحرى بالمربين والمعلمين ألا يهملوا الاهتمام بالجانب الجمالي، فإن الاعتناء بالجانب الجمالي أمر ضروري لتكوين إنسان متكامل وشخصية مثالية في كل شيء حتى في جانب الملبس والمظهر.

رابعًا- حفظ الهيبة وبقاء الكرامة:

من المحاسن التربوية التي يحملها الحديث التربية على حسن الهيئة والهندام، فإن ذلك من أسباب حفظ الهيبة، وبقاء الكرامة، فالناس درجوا على احترام صاحب الهيئة الجميلة المسترعية للانتباه والاهتمام، وأحوج الناس إلى تطبيق ذلك هم العلماء والدعاة والمعلمون والمربون، فالناس يرون هيئاتهم قبل أن يسمعوا كلامهم فليكونوا شامة بين الناس.

فما أجمل وأجمل بالمؤمن: "أن يلبس من الثياب ما يحفظ هيبته، ويبقى كرامته، ويتناسب مع مكانته تحدثاً بنعمة الله تعالى، وشكراً له، لا فخراً ولا ترفعاً ولا كبراً على غيره في حدود المعقول والإمكانيات المتاحة له"[٣].



---

(١) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٢) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، محمد بن شاكر الشريف، الطبعة الأولى، مطابع أضواء المنتدى، الرياض، ١٤٢٧هـ، ص٧٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٦٥.

١٢٢- باب تحريم لباس الحرير عَلَى الرجال، وتحريم جلوسهم عليه واستنادهم إليه وجواز لبسه للنساء

الحديث رقم (٨٠٤)

٨٠٤- عن عمر بن الخَطَّابِ ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لاَ تَلْبَسُوا الحَرِيرَ؛ فَإنَّ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

ورد المعنى في صورة إنشائية تصدَّرها أسلوب النهي بـ (لا) الناهية الداخلة على الفعل المضارع (تلبسوا) المتصل بواو الجماعة دلالة على عموم النهي لكل رجال المسلمين، والتعريف بـ (ال) في كلمة الحرير للعهد أي المعهود المعروف لديكم، أو للجنس أي جنس الحرير كله.

ثم جاءت جملة التعليل مرتبطة بما قبلها بفائه لتحقق الإقناع العقلي بالبرهان بعد الإقناع القلبي بالإيمان بضرورة الانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ، ولكي تحقق هذه الجملة الإقناع أكدها بـ (إن) مع اسمية الجملة، ثم الاسم الموصول الذي ينبه على الخطأ، والفعل الماضي الدال على تحقق الوقوع، والجار، والمجرور الدال على العجلة (في الدنيا)، ثم استخدام أداة النفي، والجزم (لم) التي تقرر الحرمان، ولا ننسى أثر المقابلة بين الدنيا، والآخرة التي تقرر عظم الخسارة لمن آثر المتاع الأدنى الفاني على المتاع الأعلى الباقي.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٣٤)، ومسلم (١١/٢٠٦٩) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٢٠).

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم لبس الحرير: أجمع أهل العلم على أن لباس الحرير الخالص، مباح للنساء، محرم على الرجال في غير حالة الحرب أو المرض أو ما في معناهما[١].

٢-حكم افتراشه وتوسده والنوم عليه: ذهب الجمهور إلى أنه يحرم على الرجال أيضاً استعمال الحرير، بوجه من هذه الوجوه، كما يحرم عليه لبسه.

بينما ذهب أبو حنيفة، وابن الماجشون المالكي إلى أنه لا بأس للرجل بافتراش الحرير وتوسده والنوم عليه، لأنه استخفاف به، فلا يكره[٢].

٣-حكم استعماله في الضرورة: ذهب الجمهور إلى أنه يجوز لبس الحرير للتداوي به من الجرب، أو الحكة، أو غيرها من الأدواء التي يفيد فيها لبس الحرير.

وفي رواية عن مالك، وقول للشافعي، ورواية عن أحمد: لا يجوز ذلك، لأن الحرمة الواردة في الأحاديث عامة في الرجال، أما أحاديث الرخصة فيحتمل اختصاصها بعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام[٣].

٤-حكم استعمال أواني الذهب والفضة: وقد سبق بيانه في الأحاديث رقم (٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦).

---

(١) الاختيار ١١/٤، والمقدمات ٤٣١/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٦/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١١/١.

(٢) الاختيار ١١/٤، ١٧، والمقدمات ٤٣١/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٦/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١١/١.

(٣) الاختيار ١١/٤، والمقدمات ٤٣٠/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٧/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١١/١، ٥١٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٣٤/١.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي والتوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تحريم لبس الحرير.

ثالثاً: من آداب الداعية: تحذير المدعو مما يضره في الآخرة.

رابعاً: من واجبات المدعو: السمع والطاعة والانتهاء عما نهى الله ورسوله عنه.

خامساً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي، والتوكيد:

١- النهي: حيث جاء في الحديث "لا تلبسوا الحرير" وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو خطورة المنهي عنه، وضرورة اجتنابه، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب النهي، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[2] وقوله جل شأنه: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَٰبِ﴾[3].

٢- التوكيد: حيث جاء في الحديث "فإن من لبسه في الدنيا" وقوله "إنما يلبس الحرير" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تقنع المدعو، وتبين مدى ثقة الداعية وصدقه، فيما يقول ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب التوكيد، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[4] وقوله جل شأنه ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[5].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تحريم لبس الحرير:

حيث جاء في الحديث "لا تلبسوا الحرير" وقوله "إنما يلبس الحرير من لا خلاق له" ولاشك أن هذا يدل على حرمة لبس الحرير للرجال، قال النووي: وقوله: "لا خلاق له في

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٠٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٠٥، ٨٠٦).

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٤) سورة الانفطار، آية: ١٣.

(٥) سورة البروج، آية: ١٢.

الآخرة" فقيل معناه: من لا نصيب له في الآخرة، وقيل: من لا حرمة له، وقيل: من لا دين له فعلى الأول يكون محمولاً على الكفار، وعلى القولين الأخيرين يتناول المسلم والكافر[١]. وقد جاء في الحديث الشريف عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((أُحِلَّ الذهبُ والحريرُ لإناثِ أُمَّتِي، وحُرِّمَ على ذُكُوْرِهَا))[٢].

جاء في الموسوعة الفقهية: (اتفق الفقهاء على حل الحرير المصمت - أي الخالص - للنساء لبساً واستعمالاً واتفقوا على حرمة لبس الحرير المصمت أي الخالص على الرجال ثياباً وغطاءً للرأس واستعمالاً، ولو بحائل، وذلك للأحاديث التي تصرح بحرمته على الرجال، وهذا في غير حالة الحرب أو المرض أو ما في معناهما)[٣]. وقال ابن مفلح: (وفي اللباس يحرم على كل رجل حر وعبد استعمال ثوب وعمامة وتكة وسراويل وشرابة من الحرير بلا ضرورة، نص عليه الإمام أحمد، وقال الشيخ وجيه الدين بن المنجي: يحرم استعمال الحرير لباساً وافتراشاً)[٤].

قال محمد تقي العثماني: (إن اللباس والزي وإن كان أمراً يتعلق بمظهر الإنسان دون مخبره، غير أن له أثراً عميقاً على سيرته وخلقه وأحواله النفسية، فإن من اللباس ما يغرس في النفوس بذور الكبر والخيلاء، ومنه ما يربي فيها التواضع لله، ومنه ما ينشئ فيها الأخلاق الحسنة، ومنه ما يمهد لها السبيل إلى الإسراف والأشر والبطر وغمط حقوق الناس، فمن زعم أن اللباس ليس إلا مظهراً من المظاهر، ولا صلة له بالسير والأخلاق الكامنة في الصدور، فقد جهل طبيعة الإنسان. ولذلك لم يترك الإسلام أمر اللباس سدى، ولكن وضع له مجموعة من المبادئ، من أهمها أن يكون اللباس ساتراً للعورة، وأن يقصد به الستر والتجمل، وليس الخيلاء والكبر، أو الأشر

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١١.

(٢) أخرجه النسائي ٥١٤٨، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٤٧٥٤).

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠٧/١٧.

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٤٧١/٣.

والبطر أو الرياء وأن لا يقصد التشبه بلباس الكفار، وأن لبس الحرير حرام للرجال دون النساء وكذلك إسبال الإزار إلى الكعبين، لا يجوز للرجال، ويجوز للنساء)[١].

ثالثاً- من آداب الداعية: تحذير المدعو مما يضره في الآخرة:

حيث جاء في الحديث "من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة" وجاء في الحديث أيضاً: "إنما يلبس الحرير من لا خلاق له في الآخرة" ولاشك أن من أهم واجبات وآداب الداعية، هو تحذير المدعو مما يضره في الآخرة، حتى يتنبه ويأخذ حذره، ولا يقع في المحظور، وفي هذا الحديث يخبر النبي ﷺ أن من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة.

قال ابن حجر: (فيكون ذلك عقابه في الجنة، وذلك بأن يصرف الله نفسه عن طلبها لا أنه يحب ذلك، ويمنع منه لأن ذلك يخالف مقتضى تلك الدار من زيادة الإكرام، ومثله ما جاء في شارب الخمر، إذا مات ولم يتب، من أنه لا يشرب الخمر في الجنة. وقد قال ابن العربي: وظاهر حديث شارب الخمر، وحديث لابس الحرير، أنه لا يشرب الخمر في الجنة، ولا يلبس الحرير فيها، وذلك لأنه استعجل ما أمر بتأخيره ووعد به، فحرمه عند ميقاته)[٢].

وقال المباركفوري: (قال القاضي الشوكاني، والظاهر أنه كناية عن عدم دخول الجنة، وقد قال الله تعالى في أهل الجنة ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[٣] فمن لبسه في الدنيا لم يدخل الجنة. وقال السيوطي: تأويل الأكثرين هو أن لا يدخل الجنة مع السابقين الفائزين)[٤]. هذا وقد جاء في القرآن ما يفيد أن لباس أهل الجنة من الحرير، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[٥] وقال سبحانه: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾[٦] وقال

---

(١) انظر: تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ١٠/٧٦-٧٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٢٥.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٣.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢١١٠.

(٥) سورة فاطر، آية: ٣٣.

(٦) سورة الإنسان، آية: ٢١.

تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[(١)].

وبناء على هذا، كان من واجب الداعية وآدابه تحذير المدعوين مما يعود عليهم بالضرر في الآخرة، خاصة وأن النبي ﷺ أخبر في الحديث أن من يلبس الحرير لا خلاق له في الآخرة، أي لا نصيب له في الآخرة.

رابعاً- من واجبات المدعو: السمع والطاعة والانتهاء عما نهى الله ورسوله عنه:

يتضح هذا من سياق الأحاديث، وقد أمر الله بهذا فقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[(٢)] قال السعدي: (وفي هذه الآية أصل عام شامل لأصول الدين وفروعه وظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، ولا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله)[(٣)]. ووصف الله تعالى المؤمنين بقوله عز وجل: ﴿إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(٤)].

قال ابن كثير: (أخبر سبحانه وتعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله الذين لا يبغون ديناً سوى كتاب الله وسنة رسوله، بأنهم يقولون سمعنا وأطعنا، ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح، وهو نيل المطلوب، والسلامة من المرهوب، قال قتادة: وذُكر لنا أن أبا الدرداء قال: لا إسلام إلا بطاعة الله، ولا خير إلا في جماعة، والنصيحة لله ولرسوله وللخليفة وللمؤمنين عامة. والذين يطيعون الله ورسوله هم الذين فازوا بكل خير، وأمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة)[(٥)].

---

(١) سورة الكهف، آية: ٣١.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٨٩.

(٤) سورة النور، آية: ٥١.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٥/٦.

خامساً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث "من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة" وفي الحديث "إنما يلبسه من لا خلاق له في الآخرة" قال ابن عثيمين: (وهذا وعيد يدل على أن لباس الحرير للرجال من كبائر الذنوب، لأن فيه الوعيد في الآخرة، وكل ذنب فيه وعيد الآخرة فهو كبيرة من كبائر الذنوب عند أهل العلم)[1]. وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تخوف المدعو، وتحمل النفس على الطاعة والالتزام بالأوامر، والانتهاء عن النواهي (والترهيب هو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، والأصل في الترهيب أن يكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة)[2].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب، قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾[3] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾[4].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١١١/٢.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ٤٣٧.

(٣) سورة النبأ، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٤) سورة البروج، آية: ١٠.

الحديث رقم (٨٠٥)

٨٠٥- وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((إنَّمَا يَلْبَسُ الحَرِيرَ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

وفي رواية للبخاري[٢]: ((مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ في الآخِرَةِ)). قوله: "مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ"، أي: لا نصيب له.

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر معنى الحديث السابق، وهو النهى عن لبس الحرير للرجال، وهو للراوي نفسه، وهو عمر رضي الله عنه وهذا مما يؤكد معنى ما قاله سابقاً لإحاطته بأطراف الموضوع، وقد جاء في أسلوب مختلف عن سابقه حيث جاء في أسلوب خبري، وهو أسلوب القصر بطريق النفي، والاستثناء، وهذا الطريق من طرق القصر يأتي في المعاني التي يجهلها المخاطب، أو ينكرها مما يشير إلى أنه رأى من يلبسها جهلاً بحكمها، أو إنكاراً لمعناها، أو رأى ما يشبه ذلك فصاغه هذه الصياغة، ومعنى هذا القصر قصر صفة لبس الحرير على موصوف هو من لا خلاق له أي: لا نصيب له، وفي الكلام إيجاز بالحذف تقديره: في الآخرة.

والتعبير بجملة (من لا خلاق له) توحي بأن من يلبس الحرير في الدنيا في أخلاقه نقص من ناحية عدم إتباعه لأمر الله، ونهي الرسول ﷺ، أو من ناحية جهله بما لا يجب أن يجهله من أمور دينه.

واستخدام الاسم الموصول (من) يشير إلى عموم الحكم للرجال، والنساء، وبعض أحاديث الباب تخص النهي عن لبس الحرير بالرجال.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٠٨١، ومسلم ٢٠٦٩/١٠. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٢١.

(٢) برقم ٥٨٣٥. أوردها المنذري في ترغيبه ٣٠٢١.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٠٦)

٨٠٦- وعن أنس ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب خبري خلى من المؤكدات غرضه إثبات مضمونه، هذا في بداية كلام الراوي أما في بدية حديث الرسول فقد بدأ بأسلوب خبري أيضاً بداية بالموصول (مَنْ) الذي تضمَّن معنى الشرط، الذي يربط اللبس للحرير في الدنيا بالحرمان منه في الآخرة، ويفهم منها ضمناً شرط آخر، وهو أن من حرم نفسه منه في الدنيا إرضاءً لربه ألبسه الله إياه في الآخرة فالعلاقة بين الشرط، وجزائه علاقة عكسية إذا انتفى الشرط ثبت الجزاء، وإذا انتفى الجزاء ثبت فعل الشرط.

وفعل الشرط (لبس) الماضي الدال على التحقق والتعريف بـ (ال) في كلمة الحرير للعهد أي المعهود المعروف لديكم، أو للجنس أي جنس الحرير كله، وقوله في (الدنيا) إشارة إلى حرمتها، وأن هذه الحرمة مؤقتة، وأنها ستصير حلالاً في الآخرة إذا صبر المؤمن طاعة لربه، وقوله (فلن يلبسه) الفاء في جواب الشرط، ولن أداة نفي، والفعل المضارع المنفي يقرر حرمان المتعجل لهذه الزينة المخالف لسنة نبيه، ولا ننسى أثر المقابلة بين الدنيا، والآخرة التي تقرر عظم الخسارة لمن آثر المتاع الأدنى الفاني على المتاع الأعلى الباقي.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٥٨٣٢، ومسلم واللفظ له ٢٠٧٣/٢١. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٣٢.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٨٠٦) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٠٤، ٨٠٥).

الحديث رقم (٨٠٧)

٨٠٧- وعن علي رضي الله عنه ، قَالَ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ أخَذَ حَرِيراً ، فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ، وَ[1] ذَهَباً فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: ((إنَّ هذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتي)) رواه أَبُو داود[2] بإسنادٍ صحيحٍ.

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

الشرح الأدبي

يروي الحديث عليٌّ رضي الله عنه بأسلوب خبري يبدأ بفعل الرؤية الذي يدل على تمام العلم، وصيغة الماضي التي تدل على تمام التحقق، ، وقوله (أخذ حريراً) تنكير المفعول للتقليل وكذلك (ذهباً) والجمع بينهما من مراعاة النظير لأنهما من زينة الناس، ومما حرم على الرجال، والطباق بين اليمين والشمال يصور الصنفين مجتمعين مفترقين، مجتمعين في حكم الحرمة مفترقين في يدي الرسول ﷺ.

وقول الرسول ﷺ (إن هذين حرام على ذكور أمتي) توكيد الخبر تعظيم له، وتنبيه إلى خطره، وتعريف المسند إليه بالإشارة لتمييزه أكمل تمييز، وجعله ملأ الأسماع، والأبصار؛ لأن المعنى ثمْ يثبت بحاستي السمع، والبصر، وهما أقوى من حاسة واحدة، وأثبت؛ لأن الإشارة القريبة تلفت النظر إلى المشار إليه فيتقرر به مع السمع، وهذا أقوى في إثبات المعنى.

---

(١) عند أبي داود زيادة: (أخذ).

(٢) برقم ٤٠٥٧. قال عبد الحق في الأحكام ١٨٤/٤: قال ابن المديني: حديثٌ حسنٌ، ورجاله معروفون. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٣٤.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: شد الانتباه والإشارة باليدين.

ثانياً: من واجبات الداعية: البيان والتوضيح لإقرار المعاني في الأذهان.

ثالثاً: من واجبات المدعو: اجتناب الأمور التي حذر منها رسول الله ﷺ.

رابعاً: من أصناف المدعوين: الذكور والإناث من المسلمين.

أولاً- من أساليب الدعوة: شد الانتباه والإشارة باليدين:

ورد ذلك الأسلوب في قول علي بن أبي طالب: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ حَرِيراً فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ وذَهَباً فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «إنَّ هـذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي». وإن شد الانتباه ولفت الأنظار واستعمال الإشارة من أسباب جودة الأداء والعرض لدى الداعي، فإن جودة الأداء تستدعي أن يتذكر الخطيب للحال ما يريد بيانه من المعاني وأن يوصلها إلى السامعين بالصوت الخاص ناطقاً بها، ولا غنى له عن إشارات تؤيد الكلام وتزيد المعاني وضوحاً، وبذلك يصل إلى المقصود من قلوب الحاضرين[2]. فإن من الناس من يعجبه حسن اللفظ، ومنهم من يعجبه الإشارة[3].

ثانياً- من واجبات الداعية: البيان والتوضيح لإقرار المعاني في الأذهان:

إن من أهم الواجبات البارزة التي يجب على الداعية الاضطلاع بها، والتي هي أهم الأسباب في نجاح الدعوة: "البيان والتوضيح"، ولقد أمر الله تعالى الدعاة وعلى رأسهم الأنبياء أن يوضحوا الحق للناس، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[4]، وقال: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[5]، ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٠٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٠٨، ٨٠٩).

(٢) فن الخطابة وإعداد الخطيب، على محفوظ ص ٦٤.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ١٢٦.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٥) سورة النساء، آية: ٦٣.

الوافي، ولا يكون الكلام بليغاً إلا إذا كان واضحاً للنفوس المخاطبة[(١)]، ومن يقرأ الحديث يجد مدى بيان الرسول ﷺ لحكم الذهب والحرير، بالبيان القولي والإشارة وتفصيل الحكم واختلافه بالنسبة للذكور والإناث. "أخذ حريراً فجعله في يمينه وذهباً فجعله في شماله، ثم قال: إن هذين حرام على ذكور أمتي"، وفي رواية أبي موسى الأشعري: "حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لإناثهم".

وفي ذلك تصوير عملي وتشخيص واقعي أعلن رسول الله ﷺ حرمة الذهب والحرير على الرجال لغير ضرورة، فعلى لابسيه أن يخلعوه[(٢)]، لذا ينبغي على الداعية أن يبلغ الدعوة تبليغاً مبيناً، لا يستعصى على فهم، ولا يقف على عقل، وأن يتخذ من الوسائل والأساليب ما يعينه على ذلك. وذلك من واجبات الداعية. يقول عبدالرحمن حسن حبنكة: (فتبليغ نصوص الدين وبياناته وتعليماته تبليغاً يوصل المعاني إلى فهم المبلغين فهماً صحيحاً وافياً، أول واجبات حملة رسالة الدعوة إلى الله، وإلى صراطه المستقيم مع دعوتهم إلى الدخول في الإسلام، وإشعارهم بأنهم بعد البلاغ يحملونهم مسؤولياتهم تجاه ربهم، وعليهم أن يتحملوا نتائج ما يختاروا لأنفسهم، من استجابة وطاعة، أو رفض ومعصية)[(٣)].

ثالثاً: من واجبات المدعو: اجتناب الأمور التي حذر منها رسول الله ﷺ

إن من صحة الإسلام وكمال الإيمان طاعة رسول الله ﷺ، بامتثال أمره واجتناب نهيه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[(٤)]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[(٥)]، أي مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٦-٢٧.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٦٦.

(٣) فقه الدعوة ١/١٦، ١٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٥) سورة الحشر، آية: ٧.

بخير وإنما ينهي عن شر[(١)].

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه"[(٢)]. ومن الأمور الواجب اجتنابها، ما جاء في الحديث من تحريم لبس الحرير والذهب على الذكور، فقال صلى الله عليه وسلم "إن هذين حرام على ذكور أمتي".

ولقد أعطانا الصحابة رضي الله عنهم مثالاً يحتذى في الاستجابة المطلقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ومن دلائل ذلك ما روى عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال يعمِد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده، فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم»[(٣)]. وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطنع خاتماً من ذهب فكان يجعل فصه في باطن كفه إذا لبسه فصنع الناس، ثم إنه جلس على المنبر فنزعه فقال: إني كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصه من داخل فرمى به ثم قال: والله لا ألبسه أبداً، فنبذ الناس خواتيمهم»[(٤)].

وقال القاضي عياض: (وقوله: "فنبذ الناس خواتيمهم" فيه امتثال ما يلزمهم من الاقتداء بأوامر النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وقوله في حديث الرجل "لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم" مبالغة في امتثال طاعته واجتناب نهيه)[(٥)].

رابعاً- من أصناف المدعوين: الذكور والإناث من المسلمين:

إن مراعاة تصنيف الداعي للمدعوين من الأمور التي تعين على نجاح الدعوة، فما

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/٨.

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٨٨، ومسلم ١٣٣٧

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٩٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢٠٩١.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦٠٤/٦، ٦٠٥.

يقال للمشركين لا يقال لأهل الكتاب، وكذلك ما يقال لأهل الكتاب غير ما يقال ويوجه به المسلمون، وكذلك تصنيف المسلمين إلى رجال ونساء، وكذلك تصنيفه لهم إلى مؤمنين صادقين، ومحسنين، ومسلمين لا يتصفون بهذه الصفات، وغير ذلك من تصنيفات تساعد الداعي على معرفة الداء والدواء المناسب لها، وعوامل الانتصار والهزيمة[1]، وقد جاء الحديث موجهاً للذكور والإناث من المسلمين في مجال الملبس والزينة، فقال ﷺ: مبيناً حكم الحرير والذهب: «إنَّ هذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي»، وقال: " حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لإناثهم".

---

(١) فقه الدعوة والإعلام، د. عمارة نجيب ص ٣٢.

الحديث رقم (٨٠٨)

٨٠٨- وعن أَبي موسى الأشْعَري رضي الله عنه : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((حُرِّمَ لِبَاسُ الحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، وَأُحِلَّ لإنَاثِهِمْ)) رواه الترمذيُّ[1] ، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

أسلوب أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أسلوب خبري مؤكد تعظيماً للخبر، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم خبر مجرد عن التوكيد قائم على أسلوب الطباق الذي يعتمد تقرير المعنى عن طريق الجمع بين المتضادين وقوله: صلى الله عليه وسلم (حرم لباس الحرير وَالذَّهَب عَلَى ذُكُور أُمَّتِي وَأُحِلّ لإنَاثِهِمْ) فيه مطابقة بين الفعلين حُرم، وأحُل، وبين الذكور، والإناث، وهذا الطباق يوحي بعدة دلالات منها:

أن مسألة التحريم، والتحليل تشريع فوق اختيار الفرد بل، وفوق اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لأنها تشريع من الله - عز وجل - وهذا ما يؤكده بناء الفعلين لما لم يسم فاعله، وفيها إيجاز بحذف الفاعل للعلم به أي: حرم الله، وأحل الله.

ومنها أن هذا الطباق يقرر المفارقة بين الجنسين تبعاً لطبيعة كل منهما فما يصلح للرجال قد لا يصلح للإناث، والعكس، وهذا ليس تمييزاً لجنس على جنس، وإنما رعاية لطبيعة كل منهما.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ١٧٢٠. سعيد بن أبي هند لم يلق أبا موسى الأشعري، كما قال أبو حاتم في المراسيل لابنه ص ٧٠، وقال الدارقطني في العلل ٢٤٢/٧: سعيد بن أبي هند لم يسمع من أبي موسى شيئا، وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص ٥٣/١: ومشى ابن حزم على ظاهر الإسناد فصحّحه، وهو معلول بالانقطاع.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٠٩)

٨٠٩- وعن حُذَيْفَةَ ﵁، قَالَ: نَهَانَا النَّبيُّ ﷺ أنْ نَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وأنْ نَأْكُلَ فِيهَا، وعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ وَالدِّيبَاج، وأنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

الدِّيباج: نوعٌ من الحرير، هو الإبرسيم، وقيل: هو أحسن الحرير[2].

الشرح الأدبي

يروي الحديث حذيفة ﵁ بأسلوب خبري مجرد عن التوكيد، وقد نقل النهي عن النبي ﷺ بأسلوب خبري دون صيغة النهي الإنشائية، وقوله (نهانا النبي ﷺ) فيه توكيد للنهي من ناحية صيغة الماضي التي تقرر تمام الفعل، ثم إيقاع الفعل على ضمير الجماعة دون المفرد، مما يشير إلى عمومه، وقوله (أن نشرب)، وأن، وما دخلت عليه في تأويل مصدر أي: الشرب، ولم يعبر بالمصدر الصريح (الشرب) لأن التعبير ب (أن) والفعل المضارع مع إفادته لما يفيده المصدر، فإنه يستحضر صورة الفعل، وما فيه من تعالٍ وغرور، وما يثيره في مشاعر الفقراء الذين لا يجدون قوتهم الضروري، وهو أقوى في التنفير من الفعل المنهي عنه، والتي تقرره الظرفية المفهومة من حرف الجر، وإضافة الآنية للذهب، والفضة في قوله: (في آنية الذهب والفضة)، وقوله: (عن لبس الحرير والديباج) فيه إيجاز بحذف الفعل بتقدير، ونهانا، وفي الحديث مراعاة النظير، وهو الجمع بين الشيء وما يناسبه فقد جمعت حرمة الاستعمال بين (الذهب - الفضة - الحرير - الديباج)، بالإضافة إلى كونها مظاهر فخر، وكبر، كما جمع بين الأفعال

---

(١) برقم ٥٨٣٧. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٢٨.

(٢) ل في (د ب ج)، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (إ ب ر س ي م).

المتعلقة بها، والتي اكتسبت الحرمة من هذا التعلق، وهي: (نشرب - نأكل - - نجلس)، وقد استخدمها في صيغة الفعل الدال على التجدد، والحدوث بينما عبَّر في جانب اللباس بالمصدر (لُبْس) الدال على الثبوت، والدوام؛ لأن ملازمة اللباس للبدن دائمة بعكس البقية فإنها منقطعة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٨٠٩) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٠٧، ٨٠٨).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

للسرف مظاهر شتى منها: الإنفاق فوق الطاقة، التبذير في المال من طرق شتى، منها لبس الذهب للرجال وكذا الحرير، كما أن الرجولة تتطلب الخشونة ولا تأذن بالتميع، ولهذا أوجب الإسلام:

أولاً- تربية الذكور على الرجولة والابتعاد عن مظاهر الميوعة:

جاءت أحاديث الباب موجهة الذكور بالارتفاع والتعالي بسلوكهم على مظاهر التخنث والميوعة.

ومن مظاهر ذلك لبس الذكور للذهب والحرير. فجاءت أحاديث الباب محرمة لهما على الذكور، كما في قوله ﷺ: «حُرِّمَ لِبَاسُ الْحَرِيرِ والذَّهَب على ذُكُورِ أُمَّتِي وأُحِلَّ لإِنَاثِهِمْ».

والعلة في تحريمها على الذكور هو البعد عن مظاهر التخنث التي لا تليق بشهامة الرجال ومحاربة الترف الذي يؤدي إلى الانحلال.

لقد جاءت أحاديث الرسول ﷺ حاملة التوجيهات القيمة الداعية إلى حياة الجد والرجولة المحذرة من الميوعة والانحلال.

إن من المعلوم بداهة أن الولد إذا نشأ على الميوعة والانحلال وتربى على الفجور والمنكر ودرج على الهزل وعدم الاكتراث فإن شخصيته تتحطم، ونفسيته تتعقد وجسمه يتعرض لأخطر الأسقام والأمراض.

لهذا كله كان لزاماً على المربين -ولاسيما الأمهات- أن يتعهدوا أولادهم منذ الصغر، وأن يغرسوا في نفوسهم أنبل معاني الرجولة والخشونة والإباء والشمم والخلق العظيم.

كما أن عليهم كذلك أن يبعدوهم عن كل ما يحطم الرجولة والشخصية ويقتل

الفضيلة والأخلاق[1] كالتشبه بالنساء في لبس الحرير والتزين بالذهب وغير ذلك من الأمور الخاصة بهن.

"إن تربية الولد على الميوعة وتعويده على الترف والنعيم والبذخ يجعله ينشأ مترفاً مُنَعَّماً همّه خاصة نفسه فحسب فلا يهتم بالآخرين ولا يسأل عن إخوانه المسلمين، لا يشاركهم أفراحهم ولا يشاطرهم أتراحهم، فتربية الأولاد على هذا النحو مما يفسد الفطرة، ويقتل الاستقامة ويقضي على المروءة والشجاعة"[2].

ثانياً- مراعاة الفروق الجنسية:

من المضامين التربوية المستنبطة من هذا الباب مراعاة الفروق الجنسية من خلال التفرقة في التربية والمعاملة بين الجنسين "الذكر والأنثى"، ومراعاة ما بينهما من فوارق في النوع والفطرة والوظيفة التي خُلق من أجلها، ومن مظاهر ذلك تحريم الذهب والحرير على الذكور وتحليلهما للإناث، وذلك "مراعاة لأنوثة المرأة وتنمية لغريزة حب التملك فيها وتلبية لفطرتها في حب الزينة وتشويقاً للزوج حين يراها في أبهى منظر وأجمل هيئة"[3]، بخلاف الرجل الذي فطر على القوة والخشونة.

إن المربي إذا ما استحضر الفوارق النوعية بين مَنْ يربيهم وما بينهم من فوارق واختلافات، في الخلق والفطرة والطباع والشخصيات، "فإذا ما وُفّق المربي لتلك الأمور وعامل المتربين بذلك المقتضى كان حرياً بأن يحسن تربيتهم وأن يسير بهم على الطريقة المثلى"[4].

ثالثاً- التربية الاقتصادية:

من المضامين التربوية التي تشتمل عليها أحاديث الباب وتزجيها لنا من بين طياتها التربية الاقتصادية والمحافظة على المال، لأن المال وظيفته إنما تكمن في استثماره

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢١٣/١، ٩٦٥/٢.

(٢) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٠٠.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٩٦٧/٢.

(٤) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٤٢.

ودورانه لا في كنزه ووضعه على الأيدي والصدور، فإن ذلك تعطيل للمال عن وظيفته وحرمان للمجتمع من استثماره وفوات الانتفاع به، وإذا كان الإسلام قد أحَل لبس الحرير والتزين بالذهب للنساء فإنما كان ذلك رعاية لما جبلن عليه، وذلك في حدود الاعتدال والمعقول، أما الرجال فحرم عليهم ذلك تحريماً قاطعاً، كما جاء ذلك في صريح أحاديث الباب.

إن من أهم أعمدة الاقتصاد الإسلامي الحفاظ على الثروات من التبديد والإهدار، وكذلك من الاكتناز والتعطيل عن المهمة التي من أجلها خلقت واستخلف الإنسان فيها، وذلك له أكبر الأثر في استتباب الأمن الاقتصادي والاجتماعي والحفاظ (والحرص على الشخصية المسلمة أن يستذلها الفقر أو يهينها السؤال)[1]، فإذا بقي المال مصوناً من العبث والتعطيل بقيت شخصية المسلم كريمة الجاه عزيزة السلطان.

رابعاً- من أساليب التربية: الحرمان:

وذلك ما يمكن لنا أن نراه في معاقبته للابس الحرير والمتزين بالذهب من الرجال من الحرمان بالتحلي والاستمتاع بهما في الآخرة، كما قال ﷺ: «لاَ تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ. فَإِنَّهُ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ».

"والحرمان أن تجعل العقوبة من جنس العمل أي أن يكون قاسم مشترك بين العقوبة وبين الفعل الخطأ، وفي ذلك فائدة كبيرة في تربية الأتباع على ضبط النفس، وعدم تجاوز الحدود حتى يكون ذلك درساً لهم ولغيرهم"[2].

واستخدام المربي لأسلوب الحرمان إنما يكون في مرحلة لا يستخدمها إلا إذا أعيته ما قبلها من الأساليب العقابية، كعدم الرضا والتقريع وغير ذلك.

لكن ينبغي على المربي أن يستحضر أن أسلوب الحرمان، برغم قوة تأثيره، إلا أن التمادي فيه بمجاوزة الحد، له انعكاسات خطيرة على سلوك المتربي، فقد تؤدي به إلى الانحراف السلوكي من أجل إشباع ما حُرم منه، كما أنه لا يُعمد لهذا الأسلوب إلا إذا

---

(١) انظر: التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، محمد أحمد جاد صبح، ٢٥١/١.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٤٧٠.

أعيته الوسائل التربوية الأخرى ولوقت يسير"[1].

خامساً- من أساليب التربية: إظهار المُحَرَّم والمنهي الذي يُزْجر عنه:

من أساليب التربية الناجعة اطلاع المتربين على الأشياء المحرمة ورؤيتهم لها لتأكد معرفتهم بها "ليقرر لهم الشيء المنهي عنه بالقول والمشاهدة، ليكون ذلك أزجر للنفوس وأقطع في الدلالة على التحريم"[2]، كما رأينا ذلك في أحاديث الباب من إتيان رسول الله ﷺ بالذهب والحرير وإمساكهما بيديه "إن نبي الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه وأخذ ذهباً فجعله في شماله ثم قال:...".

"إن استخدام مثل هذه الأساليب الحسية في التربية لها أكبر الأثر في نجاح العملية التعليمية والتربوية، كما أن استخدام الوسائل والأساليب التربوية الحسية "يثير اهتمام الطلاب والمتربين، ويثير لديهم الرغبة في التعلم، وبذلك يكون دافعاً وحافزاً على التعلم، كما يكون مبعداً للملل والسأم اللذين ينتابان المتعلمين بسبب الرتابة اللفظية والتجريدية المعقدة، كما أنها تساعد على ترسيخ آثار التعلم وتجعل الخبرات باقية ومساعدة على عدم النسيان"[3].



---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٤٠٤.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٢٠.

(٣) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور، ص٤٨١، ٤٨٢.

١٢٣- باب جواز لبس الحرير لمن به حكة

الحديث رقم (٨١٠)

٨١٠- عن أنسٍ ﷺ، قَالَ: رَخَّصَ رسولُ الله ﷺ لِلزُّبَيْرِ وعَبْدِ الرَّحْمن بن عَوْفٍ رضي الله عنهما في لُبْس الحَرِيرِ لِحَكَّةٍ كَانَتْ بهِما. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

لحكة كانت بهما: الحكة: الجرب ونحوه[٢].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري ساقه الراوي مساق الخبر المأنوس المعلوم حقيقة أو تنزيلاً، وقد حمل مظهراً من مظاهر رحمة الإسلام بالمسلمين، وعطف الرسول ﷺ، ورحمته بأمته، والذي يعكسه قول الصحابي: (رخص) والتي توحي بأنه كان محرماً، وتسميته لأصحاب الرخصة، وسببها حتى لا يتذرع متذرع بفعلهما، فيدعي حِلَّه على الإطلاق، وقوله (لحكة بهما) فيه إيجاز بالحذف أي: لوجود حكة، وهي مرض الجرب، فالداعي للرخصة هو المرض، وهو عذر شرعي أُحل لهما بسببه استعمال الحرير، وقد رحم الإسلام أصحاب الأعذار، وأباح لهم ما لم يبح لغيرهم كإباحة الإفطار في رمضان للمريض والمسافر، ثم يقضيان، وترك الصلاة للمرأة في حيضها، وغيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٣٩)، ومسلم (٢٠٧٦/٢٥). واللفظ له

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣١٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: اليسر ورفع الحرج عن أصحاب الأعذار.

ثانياً: من فقه الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين.

ثالثاً: من خصائص الدعوة: المرونة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: اليسر ورفع الحرج عن أصحاب الأعذار:

جاء الحديث بترخيص رسول الله ﷺ في لبس الحرير لمن به داء جلدي، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "رخص رسول الله ﷺ للزبير وعبدالرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة بهما"، وفي ذلك أتم دليل على تيسير الإسلام، ورفعه الحرج والمشقة عن أصحاب الأعذار، وذلك بناء على التيسير والتسهيل على الناس الذي هو مراد الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1].

وما شرعت الرخص إلا لرفع المشقة والحرج عن العباد، وهو أمر مقطوع به ومعلوم من الدين بالضرورة، وذلك كرخص الفطر في رمضان، والقصر والجمع في الصلاة في حالات السفر والمرض، وتناول المحرمات عند الضرورة[2]، كما جاء في الحديث الرخصة بلباس الحرير لمن به علة من الرجال. واستدل بذلك أن الإنسان إذا كان به علة تضطره إلى لبس الحرير، ويرجى بلبسه خفتها، أنه يجوز معها لباسه[3]، وذلك من دلائل التيسير والسماحة في الإسلام، ومظاهر التيسير في الإسلام كثيرة ومتنوعة والنماذج على ذلك أكثر من أن تحصى، لقد كان النبي ﷺ يأمر أصحابه بالتخفيف، وينهاهم عن سلوك سبيل التعمق والغلو، والتشدد، ويوجههم إلى طريق اليسر والاعتدال، والأحاديث على ذلك كثيرة، منها ما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم من الأعمال بما يطيقون قالوا: إنا لسنا كهيئتك

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٢) مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام ص ١٢.

(٣) إكمال المعلم، القاضي عياض، ٦/ ٥٨٥.

يارسول الله إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وماتأخر فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا))[١]. فكأن القوم فهموا أن الأخذ بالأشد هو الأتقى وهو الأقرب إلى الله سبحانه، لكن الرسول ﷺ أوضح لهم أن الطريق الصحيح هو في الاتباع والاقتداء، وأن اتباع اليسر والسهولة، والأخذ برخص الله، هو منهج رسول الله ﷺ فهو أعلم الناس بشرعه وأشدهم له خشية[٢].

هذه هي سنة رسول الله ﷺ وطريقته: سلوك الطريق الوسط واتباع التيسير، فالسهولة والرفق، والأخذ بالأيسر، ومراعاة الأحوال، ديدنه عليه أفضل الصلاة والسلام، مما يؤكد سير الشريعة على الطريق السهل، وعلى السماحة التامة والبعد عن التكلف[٣].

ثانياً- من فقه الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين:

إن من أبرز الدلائل على فقه الداعية: مراعاته أحوال المخاطبين، ومراعاته لمشاكلهم، وما ينزل بهم[٤]، وذلك يؤخذ من الحديث من ترخيصه ﷺ لمن به علة جلدية وله حاجة إلى لبس الحرير بالاستثناء من التحريم. "رخص رسول الله ﷺ للزبير وعبدالرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة بهما". وفي ذلك دعوة إلى الداعي أن يحرص على مراعاة أحوال المخاطبين في الدعوة والإفتاء، وإذا سئل عن شيء فلا يكون همه المبادرة إلى الإجابة عنه، من غير النظر إلى الأمور التي تجب مراعاتها قبل الإفتاء وعند الإفتاء[٥].

يقول الإمام السنوسي: (إن المصالح تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٠.

(٢) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبدالله بن حميد، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الكتاب الثلاثون ص٨٢.

(٣) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري، ص١٢٨.

(٤) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٦.

(٥) من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين، د. فضل إلهي ص ١٦٢.

والأعراف، وحتى في الفتاوى، كما ذكره المتأخرون من أنها إذا كانت مبنية على العرف، ينبغي أن تتنوع بتنوعه، ولا يوقف فيها مع نصوص المتقدمين التي بنوها على عرفهم المنقضي، وهو تحقيق من النظر، وكذا ينبغي للواعظين أن ينوعوا الوعظ بحسب ما تدعو الحاجة إليه بتعليم الناس ما جهلوه، وتذكيرهم ما نسوه وتحريضهم على ما أهملوه، قالوا: ولهذا جرت عوائد خطباء المشرق وقدماء الأندلس بتنويع الخطب بحسب الحاجة الوقتية للتنبيه على ما يفعل الناس لذلك، فيحصل للسامعين أعظم منفعة أو أكبر فائدة وأهمل هذا البعض، بل طالما أنكره وانتقده من ينتمي منهم للعلم، ولو علم هذا ما اشتملت عليه خطبة ﷺ وخطب خلفائه رضي الله عنهم وأئمة الصدر الأول من ذلك لما أنكره)[١].

لذا كان مما ينبغي على الداعية الحرص على مراعاة أحوال المدعوين وظروفهم وأزمنتهم وأمكنتهم ومجتمعاتهم، ما لم يؤد ذلك إلى المساس بالثوابت الدينية.

ثالثاً- من خصائص الدعوة: المرونة:

إن ما جاء في الحديث من ترخيص رسول الله ﷺ في لبس الحرير لمن به علة دليل على ما اتصف به الإسلام من مرونة في تشريعاته، ورفعه الحرج عن أصحاب العلل والأعذار "رخص رسول الله ﷺ للزبير وعبدالرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة بهما"، فإن من ينظر في تشريعات الإسلام يجد مرونة سمحة تتمثل في تشريع الرخص في الصلاة والصيام وغيرها، مثل رخص المرض والسفر والخطأ والنسيان والإكراه وغير ذلك. ومن ذلك تشريع التيمم عند فقد الماء، أو التضرر باستعماله، وكذلك ما جاء في الحديث من ترخيص لبس الحرير لمن اضطر إلى ذلك[٢]، وذلك من مظاهر قوة الإسلام، فهو دين مرن يتسع لكل ما فيه مصلحة وعدل[٣]، مع المحافظة على ما فيه من الثوابت التي لا يجوز لأحد المساس بها.

---

(١) مكمل إكمال الإكمال ٢٢٦/١.

(٢) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٢٣١.

(٣) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ١٧٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

اليسر ورفع الحرج من خصائص شريعة الإسلام، وإذا كانت المحرمات محدودة في الإسلام، فإن تناول بعضها مباح بحسب الضرورة والتي تقدر بقدرها، ولهذا وجب بيان منهج الإسلام في هذا الجانب على النحو التالي:

أولاً- من خصائص التربية الإسلامية: التيسير ورفع الحرج والواقعية:

لقد جاءت نصوص الإسلام تعلي من قيمة التيسير على الناس وترفع من شأنها، خاصة لذوي الأعذار، ومن دلائل ذلك ما جاء في حديث الباب من ترخيص النبي ﷺ لمن به حكة أو مرض جلدي بلبس الحرير المحرم على الرجال، كما حدث للزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما.

لقد جاءت الشريعة الإسلامية آمرة بالتيسير ورعاية واقع الناس، ومن الواقعية الملموسة في ذلك "أنها قدرت الضرورات التي تعرض للإنسان وتضغط عليه، حق قدرها فرخصت في استخدام المحرمات، وتناولها على قدر ما توجب الضرورة"[1].

وكما هو مقرر عند علماء المسلمين أن الضرورات تبيح المحظورات.

لذا ينبغي للمربين مراعاة أحوال أصحاب الحاجات وذوي الأعذار، إذ أن التربية لم تقم على "المبادئ التربوية الخيالية التي يصعب أو يستحيل تطبيقها وتنفيذها على الواقع وإنما جاءت بما يكفل البناء الحقيقي للمجتمع"[2]. متوافقة مع ما فطر عليه الإنسان وخُلق، ومراعاة منهج الإسلام في التربية كفيل ببناء مجتمعٍ سليم وواقعي.

ثانياً- العناية بصحة المتربين:

من المضامين التربوية المهمة التي يحملها الحديث الحفاظ والعناية بصحة المتربين، وذلك ما يمكن أن نلاحظه في ترخيص النبي ﷺ للزبير بن العوام، وعبدالرحمن ابن

---

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص١٧١.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص٢١٥.

عوف رضي الله عنهما في لبس الحرير، رعاية لحالتهما الخاصة، وما ألمَّ بهما من علة مرضية.

إن العناية بصحة الأولاد والمتربين من الأهمية بمكان، وإهمالها إيراد للمتربين موارد الهلكة، "فكم من الناس من قد فرط بهذا الأمر، ولم يرعه حق رعايته، فالأولاد أمانة، ومن الأمانة أن يعتني الوالد والمربي بصحتهم خصوصاً وهم صغار، لأن كثيراً من العاهات، والأمراض تبدأ مع الأولاد وهم صغار، فإذا أُهمل علاجها لازمت الأولاد طيلة أعمارهم وربما قضت عليهم.

ومما يحسن بالوالدين في هذا الصدد أن يقوموا على شؤون الأولاد إذا أصيبوا بعاهات مزمنة أو إذا ولدوا وهم معاقون، أو مصابون ببعض التشوهات الخَلْقية، أو ما شاكل ذلك، فحري بالوالدين أن يقوموا على رعاية الأولاد، وأن يحسنوا تربيتهم وأن يشعروهم بمكانتهم، كما يحسن بالوالدين أن يحتسبوا الأجر عند الله، وأن يحذروا كل الحذر من التسخط والاعتراض على قضاء الله تعالى وقدره، بل عليهم أن يحمدوا الله على ما أتاهم، وأن يتحروا الخِيرَة فيما قضاه الله، فربما كانت الخيَرةُ خفية، وربما أن الله يرحم الأسرة جميعها ويدر عليهم الأرزاق، ويرفع عنهم صنوف البلايا" [(١)].

ثالثاً- تنمية الثقافة الدينية عند المربين:

إن مما ينبغي على المعلمين والمربين الإحاطة بأكبر جانب ممكن من الثقافة الدينية خاصة في المجال العقدي والفقهي، حتى إذا ما عَنَّت قضية أو وجدت حالة أو عرض سؤال، أو طلب تأصيل أو تحليل أو ما شاكل ذلك أمكن للمربي بالاضطلاع في ذلك، فلو أصيب متربي بعلة ما كما جاء في الحديث من إصابة عبدالرحمن بن عوف أو الزبير رضي الله عنهما، أو ما شاكل ذلك أمكن للمربي أن يجيب أو على الأقل يحيل على أهل التخصص.

فلا شك أن لدراسة العلم الشرعي أكبر الأثر في حياة المربين والمتربين على حد سواء، فلدراسة التوحيد مثلاً "أهمية كبرى في تعليم الجيل المسلم الإيمان الله على بصيرة فيسلموا من الشرك والابتداع.

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٥١، ١٥٢.

وللفقه أيضاً أهمية في تعليم الطهارة والصلاة، وأحكامها والصيام، مع التركيز على التربية بالقدوة من قِبَل الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات ليقتدي بهم أولادهم وبناتهم، وهذا سيكون له أثرهُ -بإذن الله- في حمل الناشئة-على الخصال النبيلة والعادات الحميدة"[١].

إن العناية بالثقافة الدينية عند المعلمين والمربين وإعدادهم الإعداد الكامل أمر بالغ الأهمية، وإلا عاد الأمر بالسلب على التربية والمتربين.

"إن المشتغلين بالتربية والتعليم يقولون بعد دراسة وخبرة ومعاناة: إن المعلم هو العمود الفقري في عملية التربية، وهو الذي ينفخ فيها الروح ويجري في عروقها دم الحياة، مع أن في مجال التعليم والتربية عوامل شتى ومؤثرات أخرى كثيرة، من المنهج إلى الكتاب إلى الإدارة إلى الجو المدرسي إلى التوجيه أو التفتيش، وكلها تشارك في التوجيه والتأثير بنسب متفاوتة، ولكن يظل المعلم هو العصب الحي للتعليم"[٢].



(١) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٣٣، ٣٤.

(٢) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي، ص٦.

١٢٤- بـاب النهي عن افتـراش جلود النمور والركوب عَلَيْهَا

الحديث رقم (٨١١)

٨١١- عن معاوية رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسـول الله ﷺ : ((لاَ تَرْكَبُوا الخَزَّ وَلاَ النِّمَارَ))

حديث حسن، رواه أَبُو داود[١] وغيره بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

معاوية بن أبي سفيان: هو معاوية بن أبي سفيان: صخر بن حرب القرشي الأموي المكي أمير المؤمنين.

ولد قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنوات، أظهر إسلامه يوم فتح مكة وقيل: إنه أسلم قبل ذلك.

كان طوالاً جسيمًا أبيض مُجيدًا للكتابة والحساب فصيحًا حليمًا وقورًا.

كان من كتّاب النبي ﷺ الذين يكتبون الوحي، دعا له النبي ﷺ فقال: ((اللهم علّمه الكتاب والحساب وقه العذاب))[٢]. وكذلك قال ﷺ ((اللهم اجعله هاديًا مهديًا واهد به))[٣].

وقال ابن عباس: كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله ﷺ وقال اذهب وادع لي معاوية. فجئت فقلت: هو يأكل. ثم قال لي: اذهب فادع لي معاوية. فجئت فقلت: هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه[٤].

---

(١) برقم ٤١٢٩.

(٢) أخرجه أحمد ١٢٧/٤ رقم ١٧١٥٢ وابن خزيمة ١٩٣٨ عن العرباض بن سارية. وقوّى الذهبي إسناده في السير ٣٨٢/٢٨.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٨٤٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣٠١٨).

(٤) أخرجه مسلم ٩٦-٢٦٠٤، وقال بعض العلماء: هذا الحديث فضيلة لمعاوية، لأنه يكون قربة له يوم القيامة، لقول النبي ﷺ (اللهم إنما محمد بشر فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤٠٢/١١، والسير ١٢٤/٣. والحديث أخرجه البخاري ٦٣٦١، ومسلم ٢٦٠١.

شارك في الفتوحات، وقد رأى منه عمر حزمًا وعلمًا فولاه دمشق، ثم أصبح واليًا على الشام كله، فقام بالفتوحات، وفتح جزيرة قبرص، فكان أول مسلم ركب البحر المتوسط للغزو.

قال الذهبي في السير: "وحسبك بمن يؤمره عمر ثم عثمان على إقليم -وهو ثغر- فيضبطه ويقوم به أتم قيام، ويرضى الناس بشجاعته وحلمه. وإن كان بعضهم تألم مرة منه، وكذلك فليكن الملك. وإن كان غيره من أصحاب رسول الله ﷺ خيرًا منه بكثير وأفضل وأصلح. فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله، وفرط حلمه وسعة نفسه وقوة دهائه ورأيه، وله هنات وأمور والله الموعد"(١).

وظل على الشام واليًا، حتى وقع الخلاف بينه وبين علي بن أبي طالب، فدار بينهما القتال حتى قُتِل عليٌّ على يد أحد الخوارج. فلما تولى ابنه الحسن صالح معاوية وبايعه بالخلافة سنة ٤١هـ فسمى عام الجماعة لاجتماع المسلمين على إمام واحد.

قال ابن كثير عن خلافته: "فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل وصفح وعفو"(٢).

وقد أطلق عليه عمر بن الخطاب كسرى العرب، ووصفه ابن عباس بأنه فقيه(٣)، وفي رواية وصفه بأنه صحب رسول الله ﷺ(٤).

وتوفي سنة ٦١هـ وقد مكث في ولاية الشام ٢٠ سنة وفي الخلافة ٢٠ سنة كذلك.

رضي الله عنه وأرضاه، فقد كان من كبار الفاتحين في الإسلام ومن صحابة رسول الله ﷺ الواجب علينا تعظيمهم، والكف عما وقع بينهم. قال الإمام أحمد بن

---

(١) السير ٣/١٣٢-١٣٣.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١١/٤٠٠.

(٣) قول ابن عباس أخرجه البخاري ٣٧٦٥.

(٤) أخرجه البخاري ٣٧٦٤.

حنبل: إذا رأيت رجلاً يذكر أحدًا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام[١].

ونحن بدورنا نقول كما علمنا ربنا ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٢].

غريب الألفاظ:

الخزُّ: ثياب تنسج من صوف وإبريسم[٣].

النمار: جمع نمر وهي السباع المعروفة. والمراد: النهي عن استعمال جلودها[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يمتاز بالقصر، والإيجاز، ويعتمد أسلوب النهي في قوله: (لا تركبوا الخز، ولا النمار) وأسلوب النهي على حقيقته، والخز: ثِيَاب سَدَاهَا مِنْ حَرِير، وَلُحْمَتهَا مِنْ غَيْره، وَقِيلَ تُنْسَج مَخْلُوطَة مِنْ حَرِير، وَصُوف أَوْ نَحْوه، وَقِيلَ أَصْله اِسْم دَابَّة يُقَال لَهَا الْخَزّ سُمِّيَ الثَّوْب الْمُتَّخَذ مِنْ وَبَره خَزًّا لِنُعُومَتِهِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى مَا يُخْلَط بِالْحَرِيرِ لِنُعُومَةِ الْحَرِير، وقوله: (ولا النِّمَار) نهي آخر على حقيقته أَيْ جُلُود النُّمُور وَهِيَ السِّبَاع الْمَعْرُوفَة وَاحِدهَا نَمِر إِنَّمَا نَهَى عَنْ اِسْتِعْمَالهَا لِمَا فِيهَا مِنْ الزِّينَة وَالْخُيَلَاء وَلِأَنَّهُ زِيّ الْأَعَاجِم أَوْ لِأَنَّ شَعْره لا يَقْبَل الدِّبَاغ[٥].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣٢/٣، ٤٠٦/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٦٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٠١/٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٥٩، والسير ١١٩/٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٥٣/٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٠٧/٤، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢٦١/٧، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٧٩٨/٣.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ز ز).

(٤) المرجع السابق في (ن م ر).

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي حديث (٣٥٢١).

ومن الملاحظ في أكثر النواهي أنها نهت عن نوعية من الثياب تضر الباطن بينما تزين الظاهر؛ لأنها تورث الزهو، والكبر، والخيلاء.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم الانتفاع بالخز[١]: اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب الحنفية والشافعية والحنابلة وابن حبيب من المالكية إلى إباحته، لأنه لا سرف فيه ولا خيلاء، وقد لبسه الصحابة رضوان الله عليهم.

بينما ذهب الإمام مالك إلى كراهته[٢].

٢-حكم الانتفاع بجلود السباع: ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز الانتفاع بجلود السباع إذا دبغت، وذهب الحنابلة إلى أنه لا يجوز الانتفاع بها قبل الدبغ ولا بعده لعموم النهي في ذلك[٣].

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التواضع والبعد عن الخيلاء ومظاهر التكبر.

ثالثًا: من آداب المدعو: عدم التشبه بالكفار وغير المسلمين.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد أسلوب النهي في الحديث في قوله ﷺ: «لاَ تَرْكَبُوا الخَزَّ وَلاَ النِّمَارَ». وفي

---

(١) وهو ما كان منسوجًا من الحرير وغيره أو كان سداه من إبرسيم ولحمته من الصوف أو القطن. الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٩/١١٤-١١٥.

(٢) الاختيار ٤/١٢، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٤/٣٠٦، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٤٤٩، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٥١٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢/٢٦٧، ٢٦٨.

(٣) مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر، داماد أفندي ٨/٥٨، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١/٣٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١/٢٢٠، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٧٩.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨١١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨١٢).

الرواية الأخرى: أن رسول الله ﷺ: "نهى عن جلود السباع"، وأسلوب النهي من أكثر أساليب الدعوة ورودًا واستعمالاً، لما فيه من بيان المنهي عنه، وحمل المدعوين على اجتنابه والابتعاد عنه، وقد أشار القرآن إلى أسلوب النهى واستعمله في كثير من آياته، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1]، ومثل نهيه في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[2]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التواضع والبعد عن الخيلاء ومظاهر التكبر:

لقد أمر الإسلام بالتواضع ورغب فيه، ونهى عن التكبر وكره فيه، وإن من الأدلة العملية على ذلك، ما جاء في الحديث: ((لاَ تَرْكَبُوا الْخَزَّ وَلاَ النِّمَارَ))، "أن رسول الله ﷺ نهى عن جلود السباع"، وقد ذكر الإمام العظيم آبادي العلة في هذا النهى فقال: "إنما نهى عن استعمالها لما فيها من الزينة والخيلاء، ولأنه زى الأعاجم"[4]. ولما فيه من زى المترفهين والمتكبرين بالتفاخر على غيرهم[5]، فإن البعد عن الخيلاء ومظاهر التكبر من لوازم التواضع وخفض الجناح، قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[6]، وقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً﴾[7]، إذ أن التواضع، وخفض الجناح، ولين الجانب، كل ذلك له مكانته في المجتمع الإسلامي، فهذا المجتمع لا يتكبر فيه فرد ولا يختال، ولا يزهو بنفسه، فإن

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٣.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٧.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٦١.

(٦) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٧) سورة الإسراء، آية: ٣٧.

الكبر والخيلاء والعجب تغرس الفرقة والعداوة، فضلاً عن أنها تحول بين المتكبر وبين إصلاح نفسه لتعاميه عن عيوبه ونقائصه، واعتقاده الكمال في نفسه ورضاه عنها[١].

إن التخلق بالتواضع والابتعاد عن الكبر من الأهمية بمكان في حياة الأفراد والمجتمعات، إذ أن الكبر إذا شاع في مجتمع، دب الخوار في جسمانه، وسرى التفرق في بنيانه، فلا يمكن أن نتصور حياة مستقيمة لمجتمع ليس فيه احترام، ولا هيبة ولا حرمة ولا أدب.

فضلاً عما يُحْرَمُ منه يوم القيامة من الفوز بالجنان، التي يُحْرَمُ من دخولها المتكبرون فهم ليسوا لها بأهل، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، (فالتواضع والبعد عن الكبر، والتبرؤ منه طريق موصل إلى مرضاة الله وجنانه، وهو سبيل من سبل القرب إلى الله، ومن ثم القرب إلى الناس، وبالجملة فإن التواضع عنوان سعادة العبد في الدارين)[٣].

ثالثًا- من آداب المدعو: عدم التشبه بالكفار وغير المسلمين:

إن مما ينبغي على المسلم أن يحتفظ بشخصيته الإسلامية المستقلة، فلا يكون تبعًا لغيره، ولا ينتهج نهجه، خاصة في الأمور التي حرمها الدين الإسلامي، والحديث مظهر من مظاهر الحفاظ على شخصية المسلم. فقال ﷺ: ((لاَ تَرْكَبُوا الخَزَّ وَلاَ النِّمَارَ))، "نهى عن جلود النمار"، وذكر العلماء الحكمة في ذلك أنه زى المترفهين والمتكبرين وأهل العجم[٤]. وذلك أن التشبه بغير المسلمين، والتقليد الأعمى لهم، دليل الهزيمة الروحية والنفسية، وعدم الإيمان بالذات، بل فيه معنى ذوبان الشخصية، وفقدان

(١) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ١٨٥.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٣ .

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ١٢٦٨/٤.

(٤) انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٧٧، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٦١.

الذاتية في بوتقة من يحب، وفي كيان من يقلد[١]، وجاءت النصوص تنهي عن التشبه بالغير، فروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ))[٢]. وتنهي عن التبعية والانقياد الأعمى للغير، وتأمر بمحافظة المسلم على شخصيته، فقال ﷺ: ((لا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِن أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا))[٣].

إن الإمعة والتبعية للغير دليل على ضعف صاحبها عقلاً ورأيًا ودينًا، إضافة إلى ما يورثه ذلك من ذلٍّ ومهانة، وطريق إلى التردي في مهاوى الضلالة. ويبين لنا علي بن أبي طالب حقيقة الإمعة التابع لغيره، ويكشف لنا عن شخصيته مبينًا أنواع الناس في ذلك، فيقول: (إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعية للخير، والناس ثلاثة: فعالم ربانيّ، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، إلى أن قال: أف لحامل حق لا بصيرة له، ينقدح الشك في قلبه بأول عارضٍ من شبهة، لا يدري أين الحق، إن قال أخطأ وإن أخطأ لم يدر، مشغوف بما لا يدري حقيقته فهو فتنة لمن فتن به)[٤].

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٩٤٣.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٠٣١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٠١).

(٣) أخرجه الترمذي ٢٠٠٧، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٣٤٥).

(٤) الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت: بدون تاريخ، ٢/٣٥٨.

الحديث رقم (٨١٢)

٨١٢- وعن أَبي المَلِيحِ، عن أبيه ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ نَهَى عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ والنسائيُّ[1] بأسانيد صِحَاحٍ.

وفي رواية للترمذي[2]: نَهَى عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ أنْ تُفْتَرَشَ.

ترجمة الراوي:

أبو أبي المليح: هو أسامة بن عُمير بن عامر بن الأُقَيشِر الهذلي البصري.

وهو والد أبو المَليح الراوي عنه، ولم يرو عنه إلا هو، واسمه مختلف فيه فقيل: عامر. وقيل: زيد.

أسلم وشارك في المغازي والغزوات، فشهد الحديبية وحنينًا، قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ زمن الحديبية ومُطرنا، فلم تبل السماء أسافل نعالنا، فنادى منادي النبي ﷺ أن صلُّوا في رحالكم[3].

وقال كذلك: إنه شهد رسول الله بحنين في يوم مطير أمر مناديه فنادى: إن الصلاة في الرحال[4].

وذات يوم ركب خلف النبي ﷺ على بعيره. فعثر فقال: تعس الشيطان، فعلمه النبي ﷺ القول الصحيح فقال له: ((لا تقل تعس الشيطان، فإنه يستعظم حتى يكون مثل البيت ويقول: بقوتي. ولكن قُلْ: بسم الله. فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب))[5].

ولما فتح العراق وبنيت البصرة نزلها وسكن فيها[6].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤١٣٢، والترمذي ٣/١٧٧٠، والنسائي في المجتبى ٤٢٥٣، وفي الكبرى ٤٥٦٥ ولفظهم سواء. وقال الحاكم ١٤٤/١: هذا الإسناد صحيحٌ.

(٢) برقم (٢/١٧٧٠).

(٣) أخرجه أبو داود ١٠٥٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٩٣٢).

(٤) أخرجه أبو داود ١٠٥٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٩٣٠).

(٥) أخرجه أبي داود ٤٩٨٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٦٨).

(٦) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٤/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٩٨/١، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٣٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٧٠/١، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٠٩/١، ٥٩٣/٤.

الشرح الأدبي

حرص الرسول ﷺ على كل ما يحفظ على المؤمن دينه، ويحفظ قلبه مطمئنًا مقبلاً على ربه، والإنسان يتأثر بالبيئة المحيطة به فما بالك بثيابه الملاصقة لجسمه؟، فثوب مريح يسكن النفس، وثوب يدعو إلى الزهو، والخيلاء ينظر الناس إليه فيعجبه ذلك من نفسه، ثم يصير عادة تطغى على نفسه، لذلك نهى الرسول ﷺ عن تلك النوعية في غير حديث منها هذا الحديث الذي نحن بصدده، وقد ورد الحديث في صورة خبرية، مؤكدة بأكثر من مؤكد لغرابة الخبر، أو لتعظيمه عند المخاطب، وفيه إيجاز بالحذف تقديره: لبس، أو افترش، والنهي: يَحْتَمِل أَنَّه وَقَعَ لِمَا يَبْقَى عَلَيْهَا مِنْ الشَّعْر لأَنَّ الدِّبَاغ لا يُؤَثِّر فِيهِ. وَقِيلَ: يَحْتَمِل أَنَّ النَّهْي عَمَّا لَمْ يُدْبَغ مِنْهَا لأَجْلِ النَّجَاسَة، أَوْ أَنَّ النَّهْي لأَجْلِ أَنَّهَا مَرَاكِب أَهْل السَّرَف وَالْخُيَلاء.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

عرف العرب الفخر من طرق شتى، منها ملبسهم وأثاثهم ومركبهم، ولم يكن شيء من ذلك ابتغاء مرضات الله، بل ليقال عنهم كذا وكذا، وقلد الأبناء الآباء، والفقراء الأغنياء، لهذا كانت دعوة الإسلام إلى:

أولاً- التربية على الاستقلال في الذات وعدم التقليد للكفار والمتجبرين:

جاء في حديثي الباب ضمنيًا الدعوة إلى استقلالية الشخصية الإسلامية، وعدم تقليد الغير خاصة في المظاهر التي نهى الإسلام عنها، ورهب منها كالترف المبالغ فيه والتجبر والذي من مظاهره استعمال الحرير وجلود السباع.

"إن تقليد الغير دليل على ضعف الشخصية واهتزازها، وعدم الاعتزاز بالقيم الإسلامية".

ولعل السبب في نمو ظاهرة التقليد كثرة وسائل الاتصالات وتنوعها ما بين قراءة واستماع ومشاهدة واحتكاك بالمجتمع الخارجي فيوقعهم ذلك في مجال تأثيرها الجاذب مما يدفع بهم في النهاية إلى تقليد الكفار والفساق والمجّان في لبسهم، وفي طريقة أكلهم وشربهم، وفي قصات شعورهم، وفي هيئاتهم ومشياتهم.

فينبغي على المربي أن يتنبه لذلك، وأن يحذره كل الحذر، فإن الأمة لا تموت إلا إذا ضعفت شخصية أبنائها، وفقدوا اعتزازهم بتراثهم فذابوا في غيرهم، ولذلك فإن أعداءنا يحرصون كثيرًا على أن يجعلوا من أولادنا نسخة مكررة من أولادهم، فعلى المربي أن يوقظ في نفس المتربي شعوره بذاته، وأنه إنسان مسلم، وأن الإسلام يعلو ولا يُعْلَى عليه وأن المسلم قدوة للبشرية كلها [1]، فهو ليس ضعيف الشخصية ولا العقل والتفكير حتى يقع مأسورًا في تقليد غيره والتشبه به.

ثانيًا- التربية على عدم الاستغراق في النعيم:

لقد نهى الإسلام عن السلوكيات الخاطئة والتي منها المبالغة في الترف والاستغراق

---

(١) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ص١٢١، ١٢٢.

في التنعيم خاصة إذا كان ذلك بشيء حرمه ونهى عنه الإسلام كلبس الحرير، واستخدام جلود النمور والأسود، والسباع للفرش أو غيره.

"إن الاستغراق الزائد في الملاذ والطيبات والتقلب الدائم في النعيم والترف من أسباب الإخلاد للراحة والتقاعس عن واجب الدعوة والجهاد، والانزلاق في متاهات الميوعة والانحلال، وسبب لتفشي الأسقام والأمراض"(١).

والإسلام بمنعه الاستغراق في التَنَعُّم إنما يريد أن يحرر الإنسان من الاستعباد لنفسه، ومن الاستذلال لمطامعها وأهوائها، لأنه لن يبلغ التحرر الوجداني التام، الذي يطمح إليه الإسلام إلا بمجاهدة النفس ولأهميتها، فقد اعتنى الإسلام بها عناية فائقة لدرجة أنه اعتبر جهاد النفس يحتاج إلى عزيمة وإرادة وشجاعة أكثر مما يحتاجه جهاد العدو في ساحة القتال، بل إن طريق النصر الحقيقي على العدو هو الانتصار على النفس.

إن المسلم الحقيقي الحر هو الذي لا ينصاع لرغباته ولا يستذل لشهواته ما دام أنه يشهد أن لا إله إلا الله، فاهِمٌ معناها ومقصدها ومقتنع بما تشمله من حقائق(٢).

ثالثًا- تنمية خلق التواضع وإبراز الدلائل العملية عليه:

لقد أرشد الإسلام أتباعه إلى التخلق بخلق التواضع، لكن مجرد التخلق به لا يكفي بل لا بد من إظهاره عمليًا في سلوك الإنسان وتصرفاته، ومن ذلك البعد والتبرؤ من مظاهر التكبر والتجبر والتي منها استعمال الأدوات والملابس التي تَنُمُّ عن كبر صاحبها وتجبره وترفعه على الناس، وذلك كلبس الحرير وافتراش جلود السباع، والذي ورد النهي عنه في حديثي الباب.

إن غرس خلق التواضع من أعظم الأهداف الخلقية للعملية التربوية، إذ أن "الهدف الأخلاقي، وتهذيب الخلق وتربية الروح يعد من الأهداف الرئيسة من أجل بناء إنسان

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١٨٣/١، ١٨٤.

(٢) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص٣٩٦، ٣٩٧.

على خلق عظيم في إطار القيم الخلقية التي صاغتها العقيدة الإسلامية، ومن هنا فإن أنماط السلوك الخلقي التي تستهدف التربية الإسلامية إكسابها للأفراد تظل ثابتة لا يعتريها التغيير على مدى الأيام لأن مصدرها ثابتٌ، وهو الإسلام.

إن حسن الخلق زينة الإنسان، ومن أسباب سعادته، وسوء الأخلاق من أسباب تفكك المجتمع وسقوط الحضارات، والهدف الأخلاقي للتربية الإسلامية يسعى إلى تطهير النفس وتزكيتها بالفضائل ومكارم الأخلاق، وكراهية الرذائل والشرور والنفور منها والابتعاد عن ممارستها وتكوين بصيرة علمية، وقناعة عقلية بالقيم الأخلاقية الإسلامية.

وقد حدد الإسلام مجموعة القيم الثابتة التي تحكم سلوك الفرد المسلم، ومعاملاته مع الآخرين، ومن هذه القيم الصدق والأمانة وإتقان العمل والتواضع والمحبة والوفاء والوعد والصبر والحلم والتسامح والرحمة، ومراعاة حقوق الغير وفعل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].



(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٦٦، ٦٧.

١٢٥- باب مَا يقول إِذَا لبس ثوبًا جديدًا

الحديث رقم (٨١٣)

٨١٣- عن أَبي سعيد الخدْريِّ ﷺ، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوبًا سَمَّاهُ باسْمِهِ - عِمَامَةً، أَوْ قَميصًا، أَوْ رِدَاءً- يقولُ: ((اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أسْأَلكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

استجد ثوبًا: لبس ثوبًا جديدًا[2].

الشرح الأدبي

عادة النبي ﷺ دوام الاتصال بربه وهو ما جعله يحوِّل كل عادة إلى عبادة، لذلك نجد له عند كل فعل ذكرًا، وعند كل نعمة شكرًا، وهذا الحديث من هذه النوعية التي تهدف إلى ربط المؤمن بربه، وقد بدأ بأسلوب خبري تصدّره أسلوب الشرط الذي يشير إلى أن هذا الدعاء كان عادة الرسول ﷺ عند كل ثوب جديد، وتصدير الدعاء بلفظ (اللهم) يعطيه خصوصية؛ لأنها مجمع الأسماء الحسنى كما ذكر الحسن البصري، وقوله: (لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ) أسلوب قصر لصفة الحمد على الله لا تتعداه لغيره، وقوله (أنت كسوتنيه) تقديم المسند إليه يحتمل الاختصاص، أو تقوية الحكم، وقوله: (أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ) لفظه إنشاء، ومعناه خبر؛ لأنه مقصود به الدعاء،

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٠٢٠، والترمذي واللفظ له ١٧٦٧، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٥٤٢٠، وقال الحاكم ١٩٣/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج د د).

وتصويره في صورة الفعل المضارع يستحضر صورة الافتقار، والمسكنة إليه، وكذلك: (وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ) أي أطلب منك العوذ، فهو طلب في المعنى، وخبر في اللفظ، وصيغة هذا الدعاء فيها حمد لنعمة الله، واستعانة به على حسن استعمالها، وتلك نعمة أخرى، مع تفويض الله في دفع ما يخشاه من ضر، وما يرجوه من خير، وهو ما يدل عليه الطباق بين الخير، والشر، وبين الطلب، والاستعاذة التي كالضد له؛ لأنها دفع للأذى.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

سنن اللباس وآدابه:

أ-تسمية الثوب الجديد، باسمه المتعارف عليه، الموضوع له، سواء أكان قميصًا أم إزارًا، أم رداء، أم عمامة، وهكذا.

ب-يستحب تسمية الله تعالى عند لبسه.

ج-يستحب الدعاء -بعد لبسه- بالمأثور من أذكار اللباس.

د-كما يستحب أن يبدأ وهو يلبس ثوبه بميامنه، وعند خلعه بالشمال ثم اليمين[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: شكر النبي ﷺ لله تعالى عند لبس الثوب الجديد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل شكر الله على نعمه.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء برسول الله ﷺ في الشكر عند اللباس الجديد.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٤٢/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٦٠/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٤/١.

أولاً- من موضوعات الدعوة: شكر النبي ﷺ لله تعالى عند لبس الثوب الجديد:

لقد كان شأن رسول الله ﷺ حمد الله على أحواله كلها، والحديث بيَّن شكر النبي ﷺ لله تعالى على الثياب الجديدة؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا استجدَّ ثوبًا سماه باسمه عمامة أو قميصًا أو رداءً يقول: اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له" وذلك مَثَلٌ تطبيقي وسنة عملية دالة على ما كان عليه ﷺ من شكر لربه على نعمه وآلائه[1]، وكان ﷺ لا يقتصر شكره لله على نعمه على مجرد التلفظ بل كان يدفعه ذلك إلى الإكثار من العبادة لدرجةٍ أثارت شفقة الصحابة رضي الله عنهم عليه، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: ((إنْ كان النبيُّ ﷺ لَيَقومُ - أو لَيُصلِّي- حتى تَرِم قدماه - أو ساقاه- فيقالُ له، فيقول: أفلا أكونُ عبدًا شكورًا))[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل شكر الله على نعمه:

جاء في الحديث الترغيب في شكر الله على نعمه وآلائه، خاصة إذا أنعم الله على الإنسان بشيء جديد من ثوب ونحوه، والشكر من أعلى المنازل، وقد أمر الله تعالى به ونهى عن ضده، قال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[3] وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ﴾[4] وجعل الله الشكر سببًا للمزيد من فضله، وحارسًا وحافظًا لنعمته، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٤٠٦/٤.

(٢) أخرجه البخاري ١١٣٠، ومسلم ٢٨١٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة النحل، الآيتان: ١٢٠، ١٢١.

لَشَدِيدٌ﴾[١] وجعله الله سببًا لرضاه عن عبيده ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[٢][٣] وقال ﷺ ((إِنَّ اللَّه لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا. أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا))[٤].

فحمد الله على الملبس والطعام والشراب وما شاكل ذلك من ألوان شكر الله على نعمائه والاعتراف بها، فالشكر معرفة إحسان المحسن والتحدث به، والشكر بالفعل أظهر منه بالمقال[٥] قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[٦] أي قلنا لهم اعملوا شكرًا على ما أنعم به عليكم في الدنيا والدين، قال أبو عبدالرحمن الحُبُلي: الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعمله لله شكر، وأفضل الشكر الحمد.

وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل، وقد كان آل داود عليه السلام كذلك قائمين بشكر الله قولاً وعملاً[٧] فظاهر القرآن والسنة أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان، فالشكر بالأفعال عمل الأركان، والشكر بالأقوال عمل اللسان[٨].

ثالثًا- من آداب المدعو: الاقتداء برسول الله ﷺ في الشكر عند اللباس الجديد:

لقد أمرنا الله بالاقتداء بالنبي ﷺ والائتساء بسنته المطهرة[٩] فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[١٠] ومن

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٢) سورة الزمر، آية: ٧.

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم، ٥٧٢/٢، ٥٧٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٣٤.

(٥) إكمال المعلم، القاضي عياض، ٣٥٥/٨.

(٦) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٧) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٥٠٠/٦، ٥٠١.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٧٧/١٤/٧.

(٩) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٣٠٢/٢١/٨.

(١٠) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

ذلك ما ورد في الحديث من سنته ﷺ عند لبس الشيء الجديد "كان رسول الله ﷺ إذا استَجَدَّ ثوبًا سماه باسمه عمامة أو قميصًا أو رداءً ثم يقول: "اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له" فإن الاقتداء برسول الله ﷺ في شؤونه كلها، حتى في ملبسه وتنعله ونحوهما، لمن أقوى الأدلة العملية على محبة المسلم لرسول الله ﷺ، فإن أقوى شاهد على صدق الحب هو موافقة المحب لمحبوبه، وأقوى دليل على صدق الحب لرسول الله ﷺ هو طاعته واتباعه[١].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إنَّ في نقل الصحابة رضي الله عنهم لما كان عليه ﷺ من أخلاق وآداب، ترغيب في الاقتداء به ﷺ واتباع سنته، ومن ذلك ما جاء في الحديث في بيان سنته ﷺ عند لبسه لشيء جديد "كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا سماه باسمه..." وأسلوب الترغيب من أشد الأساليب الدعوية تأثيرًا في نفوس المدعوين، لما جبل عليه الإنسان من حبٍ لنفسه، وما من شك أن تلك الغريزة تدفعه إلى أن يحقق لنفسه كل الخير[٢].

لذا ينبغي على الداعية الأخذ بهذا الأسلوب، وتذكير المدعوين بما أعده الله لعباده المؤمنين الصادقين من نعيم مقيم، لأن هذه الدنيا قد تغر الإنسان بزخارفها، وتلهيه بملذاتها الزائلة فيركن إليها، فإذا ذُكِّر المسلم بمصير أهل الإيمان، وأن الفوز ليس بجمع الأموال وكثرة الأولاد، وإنما الفوز بدخول جنة النعيم، وبما أعده الله للمؤمنين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد من البشر، أفاق من رقاده وشمَّر العمل لذلك اليوم العظيم.

---

(١) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٥.

(٢) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٥٠٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

يوظف الإسلام كل شيء للتذكير بالله، ويحرر النفس من نسبة الفعل إليها، لأن ذلك سبب الهلكة كما حدث لإبليس وفرعون وقارون، والكسب الظاهري دون إرادة الهبة لا يجلب لصاحبه شيئاً، ولهذا وجب علينا:

أولاً- التربية على الحمد والشكر والاعتراف بالجميل ورد الفضل إلى أهله:

وذلك ما يلحظه القارئ للحديث في هديه ﷺ إذا استجد ثيابًا يحمد الله عليه، ويرد الفضل ويعترف بالجميل للمنعم الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى قائلاً " اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أنْتَ كَسَوْتَنِيهِ".

وما جاء في الحديث بيان لأحد طرق الحمد والشكر على النعمة وهو "إظهار الحمد لله تعالى، والتلفظ به اعترافًا بنعمه، كذلك من سبل شكر النعمة التحدث بها، إظهارًا لفضل الله واعترافًا بكرمه دون مباهاة وتكاثر، بل يعزو ما هو فيه من نعمة إلى الله تعالى[1]".

لذا ينبغي على المربين غرس مثل هذه القيم الخلقية في نفوس المتربين فإن المربي والمعلم المخلص عليه أن يكون واعيًا بتلك القيم والأخلاق تمامًا فاهمًا لأبعادها وما تمثله، مُنَمِّيًا في الطالب الحساسية الاجتماعية، وحسن التعامل مع الآخرين وكيفية التعامل معهم وحسن التحدث وسلامة الأسلوب ورقة العبارة[2] ورقيَّ التعامل، ورد الفضل لأهله والثناء عليهم وشكرهم والاعتراف لأهل الفضل بالإحسان والجميل، وهذا له أكبر الأثر في علو النفس وسمو التربية.

ثانيًا- التربية على ذكر الله:

لقد جاءت شريعة الإسلام حاثة على ذكر الله تعالى في جميع الأحوال والأحايين،

---

(١) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العُمري، ص٩١.

(٢) انظر: المعلم، المناهج وطرق التدريس، د. محمد عبدالعليم مرسي، ص٤١، ص٣١٤.

ومن ذلك ما ورد في حديث الباب من ذكر الإنسان لله عندما يلبس ثوبًا جديدًا لأول مرة وحمده وشكره، مقتديًا برسول الله ﷺ قائلاً: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهِ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ».

لذا ينبغي على المعلمين والمربين أن يربطوا المتربين بذكر الله تعالى وينشئونهم عليه استحضارًا وقولاً وفعلاً، فذكر الله علاج للقلوب وإحلال للطمأنينة.

"والأذكار القولية التي ينبغي للمربي أن يحرص -أشد الحرص- على تلقينها للناشئة كثيرة منها أذكار الصباح والمساء وأدعية البدء قبل تناول الطعام، والفراغ منه، وأدعية النوم، واليقظة، وأدعية، دخول المنزل والخروج منه، ودعاء دخول الخلاء والخروج منه، وأدعية الركوب، وما يقال عند الوضوء والأذكار التي تسن بعد الصلاة[1]، ودعاء لبس الجديد الذي جاء في حديث الباب.

إن الأذكار وترديدها هي "أشبه بصندوق من أغلى الجواهر والمطاعم والمشارب، حيث يتربى المسلم على ذكر الله تعالى وأسمائه وصفاته، فإن كانت من صفات القهر خضع لها وخشع، وإن كانت من صفات الجلال تعزز وتهيب، وإن كانت هكذا من صفات الرحمة تاب وأناب، وإن كانت من صفات الجلال تعزز وتهيب، وهكذا يتربى الإنسان بالأذكار وما تحمله من آداب.

إن الذكر يدفع عن الإنسان خواطر وهواجس النفس والشيطان، فتتهذب أخلاق الإنسان، وتترقى، ويرتفع العبد فوق الشهوات، وتصفو نفسه ويطهر قلبه، ويتخلق بالأخلاق الحسنة من خلال بقائه ذاكرًا لله تعالى باللسان والقلب والجوارح[2]".

ثالثًا- التربية الجسدية والعناية بالملبس والزينة والمظهر:

من المضامين التي يمكن استنباطها من حديث الباب العناية بالملبس والزينة والمظهر، وذلك ما نلحظه في قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه "كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا..." فرسول الله ﷺ لم يأت برهبانية، ولم يأمر بتعذيب الجسد وحرمانه،

---

(١) الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد بن مقبل بن محمد المقبل، ص٧٤، ٧٥.

(٢) انظر: محاضرات ودراسات في أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص٦٦، ٦٧.

أو جلد النفس والقسوة عليها، وإنما جاء بوسطية سمحة تعطي كل شيء حقه، فليس من الإسلام لبس المرقعات أو الإهمال في الجسد وتجميله.

إن "الإسلام بمبادئه السمحة أباح للمسلم أن يظهر في ملبسه وهندامه أمام المجتمع بمظهر لائق كريم، ومن أجل هذا خلق الله كل ما يتمتع به الإنسان من زينة ولباس ورياش، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا﴾[1]، وقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[2]، على أن يكون حظه من هذه الزينة المباحة في حدود الوسطية، والاعتدال تحقيقًا لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾[3][4]، فما أحرى المسلم أن يكون ذا زينة حسنة ومظهر جميل لائق ورائحة زكية طيبة "فذكر الله تعالى الدائم يجعل الإنسان يشعر بقرب الله منه وحمايته له وهذا له أثره النفسي الحسن عليه، إذ يجعله يشعر بالثقة في نفسه، وبالقوة التي يستمدها من الله تبارك وتعالى[5]".

رابعًا- من المضامين التربوية: توجيه الهمم إلى طلب الخير والبعد عن الشر:

إن من المضامين التربوية التي يمكن الإفادة منها وغرسها في نفوس المتربين والناشئة توجيه الهمم والحث على التطلع إلى الخير والأفضل والبعد عن الشر وطلب العون على العوذ منه والابتعاد عنه، وذلك ما نلحظه في قوله: "أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له"، "فإن في كل شيء جانبين: جانب خير وجانب شر، وعلى الإنسان أن يتوجه بهمة إلى جانب الخير ويسأل الله العون والتوفيق"[6].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٧.

(٤) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٩٦٣/٢، ٩٦٤.

(٥) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص٥٦٥.

(٦) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٦٨.

لذا ينبغي على المربين الاستفادة من هذا الجانب ويعملون على إثارة الهمم عند المتربين وتوجيههم إلى الخير والتطلع إلى الأسمى والأرقى دائمًا، وذلك من "القيم التربوية الطيبة التي يحسن الحرص عليها"(١) والاستفادة منها.



(١) انظر: المعلم، المناهج وطرق التدريس، د. محمد عبدالعليم مرسي، ص٣١١.

١٢٦- باب استحباب الابتداء باليمين في اللباس

هَذَا الباب قَدْ تقدم مقصوده وذكرنا الأحاديث الصحيحة فِيهِ[١].

(١) انظر الأحاديث ٧٢١ - ٧٢٧.